بنية الأفعال العربيّة في معاجم الأفعال

دراسة صوتيّة صرفيّة

إعداد

ريم فرحان عودة المعايطة

إشراف

الدكتور جعفر عبابنة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه

في اللغة العربية وآدابها

كليّة الدراسات العليا

الجامعة الأردنيّة

تموز ٢٠٠٣

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٢٠٠٣/٧/٢

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
الدكتـــــــور جعفـــــر عبابنـــــة	المشرف رئيساً	.....
الأستاذ الدكتـــــور نهـــاد الموسى	عضواً	.....
الأستاذ الدكتـــــور إسماعيل عمايرة	عضواً	.....
الأستاذ الدكتـــــور حســـن الشاعر	عضواً	.....

إهداء

إلى الذي غاب ... فازداد حضوراً

مضى طاهر الأثواب لم تبق روضةٌ

غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبرُ

إلى روح والدي وهو ناعمٌ في عليين , بإذن الله

أهدي هذا العمل

شكر و تقدير

يطيب لي أن أقدم شكراً جزيلاً إلى أستاذي الفاضل الدكتور جعفر عبابنة , الذي كان لي شرف إشرافه على هذه الرسالة فقد انتفعت من خلقة وعلمه وكتبه وبحوثه .

كما أقدم شكراً حسناً إلى أساتذتي الفضلاء أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور : نهاد الموسى و الأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة و الأستاذ الدكتور حسن الشاعر , الذين تفضلوا بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة , إذ كانت ملحوظاتهم لي مصابيح أستنير بها , فالله يجزيهم خير الجزاء .

ولا بد من أن أشكر للأستاذ الدكتور يحيى عبابنة تلطفه بتزويدي عدداً من الكتب التي احتجت إليها في أثناء إعداد هذه الرسالة , من مكتبته الخاصة , فله مني كل الاحترام والتقدير .

ولا يفوتني أن أقدّم شكراً جزيلاً إلى والدتي و إخوتي وأخواتي , الذين كان لهم دور كبير في تشجيعي ودعمي , فشحذوا همتي وسرتُ بمضاء وعزيمة, ولن أبلغ أدنى شكرهم وتقديرهم مهما طاوعني البيان .

وشكرُ خاص لزوجي الدكتور عمر الفجاوي , الذي رافقني بإخلاص وأمانة , ومنحني وقته وجهده ؛ فله احترامي وإجلالي ما حييت .

فهرس المحتويات

الموضوع **رقم الصفحة**

المقدمـــــــة **١**

التـــمهـــيـــد..... **٥**

الفصل الأول :..... **١٣**

الإبدال الصوتي التاريخي في معاجم الأفعال

الفصل الثاني :..... **٥٠**

المخالفة الصوتيـــــة في معاجم الأفعـــــال

الفصل الثالث :..... **٧٠**

القلب المكاني في معاجم الأفعال

الفصل الرابع **٨٥**

التبدلات غير القياسية في الهمزة و في أصوات العلّة

الفصل الخامس **١٠٦**

الأصل المفترض للأفعال الجوفاء والناقصة

الفصل السادس **١١٩**

ثنائية الألفاظ في معاجم الأفعال

الفصل السابع **١٣٣**

نشوء الفعل الرباعي

الفصل الثامن **١٦٢**

المجرد والمزيد في معاجم الأفعال

الفصل التاسع **١٨٤**

تحولات الصيغ

الفصل العاشر **١٩٤**

الشذوذ الصرفي في معاجم الأفعال

الخـــــاتمـــــة.....**٢٣٥**

مصادر الدراسة و مراجعها **٢٣٨**

الملخص باللغة الإنجليزية **٢٥٦**

الملخص

بنية الأفعال العربية في معاجم الأفعال

دراسة صوتية صرفية

تبحث هذه الدراسة في بنى الأفعال في معاجم الأفعال الآتية : الأفعال لابن القوطية (٣٦٧ هـ) والأفعال للسرقسطي (بعد ٤٠٠هـ) والأفعال لابن القطاع (٥١٥هـ), وترصد التغيرات الصرفية والصوتية لها موازنة ذلك بما جاء في لسان العرب وكتب الصرف وفقه اللغة العربية القديمة والحديثة .

وينبغي الإشارة إلى أن طبيعة هذه الدراسة تفرض في معالجة قضاياها المزج بين الأنظار الوصفية التحليلية والأنظار التاريخية .

وقد جاءت في تمهيد وعشرة فصول وخاتمة , أما التمهيد , فيعرف بكتب الأفعال وأهميتها , ويعرف بأصحابها تعريفاً سريعاً .

وأما الفصل الأول فيتحدث عن الإبدال الصوتي التاريخي في معاجم الأفعال , ويتحدث الفصل الثاني عن المخالفة الصوتية فيها , والفصل الثالث عن القلب المكاني في هذه المعاجم , أما الفصل الرابع فهو عن التبدلات غير القياسية في الهمزة وأصوات العلة , ويتحدث الفصل الخامس عن الأصل المفترض للأفعال الجوفاء والناقصة , أما السادس فيتناول ثنائية الألفاظ في معاجم الأفعال , ويدرس الفصل السابع نشوء الفعل الرباعي .

ويتناول الفصل الثامن " المجرد والمزيد في معاجم الأفعال " , فيما يتناول الفصل التاسع تحولات بعض الصيغ في معاجم الأفعال , ويدرس الفصل الأخير الشذوذ الصرفي في معاجم الأفعال .

أما الخاتمة فقد تضمنت أهم نتائج الدراسة .

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين , محمد ابن عبد الله , وعلى آله وصحبه أجمعين , وبعد .

فتبحث هذه الدراسة موضوع بنية الفعل في ثلاثة من معاجم الأفعال هي:" الأفعال " لابن القوطية (٣٦٧هـ)، و" الأفعـــال"للسرقسطـــي(بعد٤٠٠هـــ) و"الأفعـــال " لابن القطاع (٥١٥هـــ) , ولعل أهمية هذه المعاجم تكمن في احتوائها على عدد هائـــل من الأفعال العربية , فهي معاجم متخصصة , تجمع أكبر قدر ممكن من الأفعـــال الشـــائعة والشاذة والنادرة والمهجورة , غير أنها لم تلق العناية اللائقة بها,و لم تُسْـــتَنْطَق بمـــا فيـــه الكفاية لمعرفة مدى الصحة أو الخطأ في أحكام الصرفيين عن الأفعال بعامة , فثمة قضـــايا في كتب الصرف القديمة , نأخذها على أنها مسلمات , ولكنها لا تستطيع الصمود أمام الدراسة المتأنية المستقصية في معاجم الأفعال , لذا أكدت هذه الدراســـة بعـــض تلـــك المسلمات,وعدّلت بعضها الآخر.

وتظهر معاجم الأفعال أن مجموعة من بنى الأفعال في اللغة العربية تعرضـــت لتحولات صوتية صرفية , قادت إلى تعدد صور الفعل الواحد , فأوهمت بتعدد الجذور في العربية , وقد حاولت الدراسة رد بعضها إلى بعض .

واعتمدت الدراسة منهجية قوامها رصد التغيرات الصرفية والصوتية لبنيـــة الفعـــل العربي في المعاجم المدروسة,ثم عمدت إلى تحليل تلك التغيرات,وتفسيرها,وموازنة ذلك بما جاء في لسان العرب , وكتب الصرف وفقه اللغة والإبدال اللغوي العربية القديمة والحديثة .

وتفرض طبيعة هذه الدراسة , في معالجة قضاياها , المزج بين الأنظار الوصفية التحليلية والأنظار التاريخية, هذا وقد تناول عددٌ من الدراسات الحديثة بعض ما يتعلق بموضوع هذه الدراسة , فعالج جوانب منها إما عرضاً وإما مباشرةً . وهذا نابعٌ مـــن طبيعة اللغة العربية ذاتها , إذ يجد الباحث في قضاياها الصوتية والصرفية نفسَه موزّعاً بـــين التناول التاريخي التعاقبي والتناول الوصفي الآني , ولا بدّ له من المراوحة بينهما .

ومن هذه الدراسات :" المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية الســـامية " للأب , أ . س مرمرجي الدومنكي , وفيه يحاول إصلاح المعجمية العربية على ضوء الثنائية

والألسنية السامية ويرى أن الأصول في العربية و أخواتها السامية ليست الألفـــاظ ذات الأحرف الثلاثة , بل ذوات الحرفين وكذلك يثبت كتاب " نشوء اللغة العربية ونموّهـــا واكتهالها " للأب أنستاس ماري الكرملي الثنائية في اللغة العربية ويحاول تفسير تعـــدد الصيغ للفعل الواحد , ورد بعضها إلى بعض .

أما بحث " تحرير المشتقات من مزاعم الشذوذ " لمحمد بهجة الأثري فيحاول نفي الشذوذ عن بعض صيغ اسم الفاعل واسم المفعول .

ويعرض كتاب"فصول في فقه اللغة "لرمضان عبد التواب بعض قضايا تلك الدراسة,نحـــو حديثه عن طرق نشوء الفعل الرباعي, وعن تحولات الصيغ افعَلَّ وافعالَّ وافعللَّ وافعَهَلَّ.كما يصف في كتابه " مشكلة الهمزة في العربية " الهمزة مفسراً اضطرابها وتعرّضها للسقوط مـــع التعويض عنها,أو دون التعويض عنها, مفسراً أيضاً همز بعض الصيغ غير المهموزة في اللغـــة العربية.وظهرت بعض موضوعات هذه الدراسة أيضاً في كتاب" الفعل زمانه وأبنيته " لإبراهيم السامرائي,نحو علاقة الثلاثي بالمادة الثنائية,وموضوع نشوء الفعل الرباعي .

أما كتاب " معالم دارسة في الصرف العربي, الأقيسة الفعلية المهجورة " لإسماعيل عمايرة فهو دراسة تأصيلية لبعض معالم الصرف العربي على ضوء المنهج التاريخي , وقد عرض لأنماط الأقيسة الفعلية المهجورة . ووصل إلى أن الأصول الرباعية والخماسية قد نشأت مع الزمن بتأثير عوامل متعددة منها : النحت , والقلب المكاني , والتبادل الصوتي , والتخلص من الصعوبة النطقية , والقياس الخاطئ . ويعرض إسماعيل عمايرة أيضاً في كتابه " تطبيقات في المناهج اللغوية " لبعض موضوعات هذه الدراسة في أثناء حديثه عن نموّ الجذور اللغوية , ومحاولة تأصيلها في المعجم العربي في سبيل معجم تاريخي , إذ توصل إلى أنّ كثيراً من الألفاظ تعود إلى أصل واحد , وقد أدى التطوّر اللغوي عبر مراحل الزمن إلى تفاقم الخلاف بينها لفظاً ومعنًى . وأسباب هذا الخلاف عنده , في الأغلب , صوتية, نحو التقارب الصوتي, وفك الإدغام والقلب المكاني والتباين اللهجي . كما أن بعض المواد اللغوية تعود عنده إلى أصول ثنائية , ثم تتسع فتصبح ثلاثية .

ويثبت كتاب " ثنائية الألفاظ في المعاجم العربية وعلاقتها بالأصول الثلاثية " لأمين فاخر أنّ الثنائي في كثير من مواد اللغة أصل للثلاثي . أما رسالة محمد سليم للماجستير " ظاهرة القلب المكاني في اللغة العربية " وكتاب " ظاهرة القلب المكاني في

العربية " لعبد الفتاح الحموز , فيبحثان مفهوم تلك الظاهرة عند القدماء والمحدثين وأنماطها وأسباب حدوثها .

ويعرض عمر عكاشة في رسالته للماجستير " الفعل الرباعي في لسان العرب , دراسة تأصيلية " لطرق نشوء الفعل الرباعي في العربية وقد توصل فيها إلى أنّ عدداً هائلاً من الأفعال الرباعية يمكن ردّها إلى أصول ثلاثية أو ثنائية . ويدرس حسين رفايعة في رسالته للماجستير " ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي " كثيراً من شواذ الصرف العربي , نحو : شواذ المشتقات وشواذ المصادر , وشواذ الأفعال ... الخ .

أما رسالة آمنة الزعبي للدكتوراه " التغير التاريخي للأصوات في العربية و اللغات السامية , دراسة مقارنة " فتهدف إلى إظهار طريقة اللغات السامية في التعامل مع الأصوات منذ أقدم العصور , إلى أن تشكلت اللغة العربية في مستواها الفصيح . وحاولت الكشف عن التشابه والاختلاف بين هذه اللغات في تعاملها مع الأصوات .

و لم أجد – فيما علمت – دراسة خاصة بمعاجم الأفعال , تتناول الموضوعات التي سأتناولها ؛ على أن إشارات كثيرة تتصل بالأفعال قد تناثرت في كتب الصرف والمؤلفات اللغوية الحديثة , دون أن تتخذ منطلقها من معاجم الأفعال كما حاولت هذه الدراسة أن تفعل . وقد عملت على تتبع هذه الإشارات وتنظيمها والمقابلة بينها و نقدها للخروج برأي تطمئن إليه النفس .

وقد قسمْتُ الدراسة إلى تمهيد و عشرة فصول , وخاتمة , عرّفت في التمهيد بكتب الأفعال وأهميتها , وأصحابها .

أما الفصل الأول فهو بعنوان " الإبدال الصوتي التاريخي في معاجم الأفعال " , وفيه وضحت مفهوم الإبدال الصوتي التاريخي وأسباب حدوثه ونوعيه : المطلق والمقيد , ثم حاولت حصر أمثلة هذا الإبدال في معاجم الأفعال .

والفصل الثاني بعنوان " المخالفة الصوتية في معاجم الأفعال " , وفيه وضحت مفهوم هذه الظاهرة وسبب حدوثها وأنواعها في معاجم الأفعال .

و أفردت الفصل الثالث لـ " القلب المكاني في معاجم الأفعال " فوضحت مفهوم هذه الظاهرة أيضاً وسبب حدوثها , ثم مثلت عليها من معاجم الأفعال .

أما فصل " التبدلات غير القياسية في الهمزة وأصوات العلة " فهو الفصل الرابع , ويقسم إلى قسمين: الأول بعنوان " التبدلات غير القياسية في الهمزة " , ويضم وصف صوت الهمزة ثم تبدلاتها مع بعض الأصوات الصحيحة ثم سقوطها ثم إقحامها , والقسم الثاني بعنوان " التبدلات غير القياسية بين صوتي الواو والياء" .

أما الفصل الخامس فدرست فيه الأصل المفترض للأفعال الجوفاء والناقصة ,ودرست في السادس" ثنائية الألفاظ في معاجم الأفعال",فعرفت بهذه النظرية,و وضحت رأي القدماء والمحدثين فيها,ثم مثلت عليها من معاجم الأفعال ,ثم حاولت الرد على بعض آراء أصحاب تلك النظرية .

ودرست في الفصل السابع موضوع" نشوء الفعل الرباعي " الوارد في معجمي السرقسطي وابن القطاع , أما ابن القوطية فلم يحوِ معجمه الأفعال الرباعية , لذا اقتصر هذا الفصل على الأفعال الرباعية الواردة في معجمي السرقسطي وابن القطاع , ويضم هذا الفصل أصل الفعل الرباعي عند القدماء من علماء العربية , وعند المحدثين من العلماء , ثم يعرض طرق نشوء الفعل الرباعي في معجمي: السرقسطي وابن القطاع .

أما الفصل الثامن فهو " المجرد والمزيد في معاجم الأفعال " , وهو يدرس بعض القضايا المتعلقة بالمجرد والمزيد , مع التمثيل عليها من المعاجم المدروسة , وهذه القضايا هي : مفهوما المجرد والمزيد وأقسامهما , والفعل المجرد الذي ليس له مزيد يتفق معه في المعنى , والفعل المزيد الذي ليس له مجرد يتفق معه في المعنى , ومجيء (فعل) و (أفعل) بمعنى واحد , ومجيء (فعل) المجرد متعدياً و مزيده (أفعل) لازماً خلافاً للمعتاد.

والفصل التاسع هو " تحولات الصيغ " ويدرس رأي القدماء والمحدثين في الصيغ : (افعالّ) و (افعلّ) و (افعألّ) و (افْعَعَلّ) و (افْعَهَلّ) مع التمثيل على هذه الصيغ من معاجم الأفعال . والفصل الأخير جاء بعنوان " الشذوذ الصرفي في معاجم الأفعال " , وهو يتناول بعض الظواهر التي أُخِذَتْ على أنها مسلّمات في كتب الصرف مثل حديثها عن شواذ أبواب الفعل الثلاثي, والأفعال المماتة , و شواذ المشتقات كالصفة المشبهة , وأفعل التفضيل واسم الفاعل واسم المفعول , والمصدر الميمي .

أما الخاتمة فقد ضمنتها نتائج الدراسة التي توصلت إليها ,ثم أتبعتها ثَبَتاً للمصادر والمراجع العربية والأجنبية .

وبعد,فأسأل الله التوفيق إن أصبت والعفو إن سهوت أو أخطأت,وكل ابن آدم خطاء.

التمهيد

يتناول هذا التمهيد تعريفاً موجزاً بهذه المعاجم [١] وأصحابها , ويحاول الوقوف على قيمتها في العمل المعجمي العربي .

أولاً : التعريف بابن القوطية وبكتابه " الأفعال ":

هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم , الأندلسي الإشبيلي الأصل , القرطبي المولد والدار . يقول عنه ابن خلكان : " وكان من أعلم أهل زمانه باللغة العربية , وكان مع ذلك حافظاً للحديث والفقه , و الخبر والنوادر , وأروى الناس للأشعار , وأدركهم للآثار , ولا يلحق شأوه , ولا يشقّ غباره ... وكانت كتب العربية أكثر ما تقرأ عليه , وتؤخذ عنه " [٢] .

عُمَّر ابن القوطية فسمع الناس منه , ورووا عنه , وقد ألف في اللغة كتباً منها : كتاب " الأفعال " وكتاب " المقصور والممدود " , توفي سنة سبع وستين وثلثمائة بمدينة قرطبة [٣].

و كتاب " الأفعال " لابن القوطية من أقدم المعاجم العربية التي تناولت أبنية الأفعال الثلاثية (فعل) بفتح العين وضمها وكسرها ,و الأفعال الرباعية (أفعل) .

وضع ابن القوطية لكتابه مقدمة تحدث فيها عن عدد من القضايا الصرفية والنحوية , مثل تقسيم الفعل إلى ثنائي مضعّف , وثلاثي صحيح وثلاثي معتل , ومثل الحديث عن أبواب الفعل الثلاثي في صيغتي الماضي والمضارع , ومثل ذكر مصادر الثلاثي , ومصادر بعض الأفعال الرباعيّة , والمصدر الميمي , واسمي الزمان والمكان ,

---

(1) ممن بحث في نشأة هذه المعاجم وتطورها أحمد مختار عمر في كتابه " معاجم الأبنية في اللغة العربية " ومالك ياسين في رسالته للماجستير " معاجم الأبنية في التراث العربي , نشأة وتطوراً ", جامعة حلب , ١٩٩٣ .

(2) ابن خلكان , وَفَيات الأعيان : ٣٦٨/٤ وانظر: الزركلي , الأعلام : ٦ / ٣١١ – ٣١٢ , وبروكلمان , تاريخ الأدب العربي : ٢ / ٩٢ – ٩٣ .

(3) انظر : الثعالبي , يتيمة الدَّهر : ٢ / ٨٤ , وابن خلكان , وفيات الأعيان : ٤ / ٣٦٨ – ٣٦٩ وحاجي خليفة , كشف الظنون : ١ / ١٣٣ , والزركلي , الأعلام : ٦ / ٣١٢ , وبروكلمان, تاريخ الأدب العربي : ٢ / ٩٣ .

ومثل الحديث عن التعدي واللزوم في الأفعال الثلاثية , وذكر كيفيّة صوغ اسم المفعول واسم الفاعل من الثلاثي وغير الثلاثي ...[١]

ثم قسم ابن القوطية كتابه إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي :

١. ما جاء على فَعَل وأفعل [٢] .

٢. الرباعي , وقد أراد به ما جاءَ على أفعل فقط [٣].

٣. الأفعال الثلاثية الخاصة [٤].

ويشغل القسمان الأول والأخير معظم الكتاب , إلا أن الأول يتفوق في ذلك على الأخير , أما القسم الثاني فهو قليل جداً قياساً بهما , وقد يعود السبب في ذلك إلى أنه ضمّ الأفعال التي على زنة (أفعل) , ولا مجردَ مستعملاً لها .

وقد رتّب المؤلف كلَّ قسمٍ منها وفق حروف الهجاء الآتية :

(أ – هـ – ع – غ – خ – ح – ج – ق – ك – س – ش – ص – ض – ل – ر – ن – ط – ظ – ذ – د – ب – ت – ث – ز – ف – م – و – ي). فاعتمد بذلك الترتيب المخرجي , إلاّ أنه وضع ما تشابه منها في الصورة معاً .

وجعل المؤلف لكل حرف منها باباً , جمع فيه الأفعال التي تبدأ بهذا الحرف , كما قسّم الأفعال إلى مضاعف وصحيح ومهموز ومعتل بالنظر إلى الحرفين الثاني والثالث , وقد كان يفصل بين الفعل الواوي والفعل اليائي , وبين ما كان مكان حرف العلّة فيه العين أو اللام و ما أُعلّ حرف علّته , وما بقي دون إعلال.

ويختلف القسم الأول عن الآخرين في أن كل حرف فيه مقسمٌ بدايةً إلى فصلين : الأول لما جاء على فعل وأفعل بمعنى واحد [٥], والثاني لما جاء على فعل وأفعل باختلاف معنى [٦] .

---

(1) انظر: ابن القوطية , الأفعال : ١ – ٩ .

(2) انظر: المصدر السابق : ٩ – ١٦٢ .

(3) انظر: نفسه : ١٦٣ – ١٧٥ .

(4) انظر: نفسه : ١٧٦ – ٣٠٤ .

(5) انظر مثلا : ابن القوطية : ٣٠ .

(6) انظر مثلا : المرجع السابق : ٣١.

كما أن لكل فعل في القسمين الأول والأخير– مهما كان ضبطه – عنواناً خاصاً, وهو يحشد أفعال كل عنوان , فيقول في القسم الأول مثلاً :" الثلاثي الصحيح على فَعَلَ:ثَمَنْتُ القومَ أثْمِنهم ثَمْناً : صرْتُ ثامنَهم ..." [١], ويقول في القسم الثاني مثلاً : " وعلى فَعُلَ و فَعِل : ثَقُفَ الشيءُ ثقافة : صَلُبَ , وثَقِفْتُ الشيء ثَقْفاً : أخذته ..." [٢].

ثانياً : التعريف بالسرقسطي وبكتابه " الأفعال " :

هو أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري اللغوي القرطبي السرقسطي , المعروف بابن الحدّاد , والمنبوز بالحمار , لصبره وشجاعته . لم تحدد كتب التراجم تاريخ مولده. كان أشهر تلاميذ ابن القوطية , وكان قد تتلمذ أيضاً على كتب مكتبة قرطبة , روى عن شيوخ المدرستين البصرية والكوفية , وكان عالماً باللغة , والنحو وعلوم القرآن وعلوم الحديث . آثر الجهاد في سبيل الله وقد توفي شهيداً بعد الأربعمائة في إحدى الوقائع [٤].

ثمّة أسباب دفعت السرقسطي إلى تأليف كتابه "الأفعال ", من أبرزها وفاؤه لشيخه ابن القوطية,ورغبته الصادقة في استكمال عمله الذي اقتصر على فعلت و أفعلت , وتَرَكَ ما جاوز ذلك من الأفعال الرباعية الأصلية ,مثل دحْرَجَ ,وما جاوزها بالزيادة و مثل: اقشعرَّ,واحْرَنْجَمَ واحمارَّ,ومن هذه الأسباب أيضاً رغبته في تبسيط الكتاب, وتيسيره ليخفف على الدارس,ويسهل على الطالب,ورغبته في الوصول به إلى درجةٍ من الكمال [٥].

ويبحث هذا الكتاب في أفعال العربية , ومعرفة أبنيتها , وقياس تصرّفها , ويبيّن الصحيح منها والمعتل,وأقل أصول الفعل ,والمجرد والمزيد, وأبواب الزيادة, وأبنية الأفعال الثلاثية , والمتعدي واللازم , وأبواب الماضي مع المستقبل, ومصادر الفعل الثلاثي,والمصدر الميمي , وأسماء الفاعلين والمفعولين ...[٥] ثم يحاول حصر أفعال العربية وأبنيتها , مؤيداً ذلك كله بما نقله عن العلماء والأعراب , وما أثبته من شواهد.

---

(1) ابن القوطية : ١٣٥ .

(2) المصدر السابق : ٢٨٥.

(3) ابن بشكوال , الصلة : ١ / ٣٣٤ – ٣٣٥ , والسيوطي , بغية الوعاة : ١ / ٥٨٩ , وحاجي خليفة , كشف الظنون : ١ / ١٣٣ , والزركلي , الأعلام : ٣ / ١٠١ , وبروكلمان , تاريخ الأدب العربي : ١ / ٦١٣ .

(4) انظر: السرقسطي , الأفعال : ١ / ٥٢ – ٥٤ .

(5) انظر: السرقسطي : ١ / ٥٥ – ٦٤ .

وقد رتب السرقسطي كتابه على مخارج الحروف , على النحو الذي وضعه سيبويه[١] , وحشد تحت كل حرف منها الأفعال التي تبدأ به , مُقسماً إيّاها إلى أربعة أقسام , مرتبةً على النحو الآتي [٢]:

- الثلاثي على فَعَل وأفعل باتفاق معنى.
- الثلاثي على فَعَل وأفعل باختلاف معنى .
- الثلاثي المفرد.
- الرباعي المفرد , وما جاوزه بالزيادة مما لم يُستعمل ثلاثيه في معناه .

وقسم كل قسم من أقسام الثلاثي على النحو الآتي : المضاعف ثم الثلاثي الصحيح ثم الثلاثي المهموز ثم الثلاثي المعتل , وذلك بالنظر إلى الحروف التي تلي الحرف الأول , وقد استقام للسرقسطي هذا التقسيم في أكثر الحروف .

كما جعل لكل قسم من أقسام الثلاثي – السابقة الذكر – أبواباً , وفقاً للصيغ المختلفة : فعَل – بفتح العين , فعَل وفعِل – بفتح العين وكسرها , وفعِل وفعُل – بكسر العين وضمّها ... الخ , وقد التزم بها في كتابه , وما تخلّف من ذلك فلعدم وجود أفعال تُمثله في الحروف .

وقسّم الرباعي المفرد لكل حرف وما جاوزه بالزيادة مما لم يستعمل ثلاثيه في معناه إلى أبواب وفق الصيغ : أفعل و فَعْلَلَ و تَفَعْلَلَ وفَعَّلَ , و تَفَعَّلَ وافْعَلَلَّ , وافْعَنْلَلَ , وافْعَوْعَلَ ... الخ , غير أنه اضطرب في هذا الترتيب , فلم يلتزمه في كل الحروف , وقد أوردَ تحت كل صيغة من هذه الصيغ ما جاءَ منه مكرراً أو مهموزاً أو معتلاً .

ثالثاً – التعريف بابن القطاع وبكتابه " الأفعال " :

ابن القطاع هو أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي الصقلي المعروف بابن القطاع , ولد بصقلية سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة , وتوفي بمصر سنة خمسَ

---

(١) السرقسطي : ١ / ٥٤ , وترتيب سيبويه (٤ / ٤٣١) هو (أ – هـ – ع – ح – غ – خ – ك – ق – ض – ج – ش ي – ل – ر – ن – ط – د – ت – ص – ز – س – ظ – ذ – ث – ف – ب – م – و) ولكن السرقسطي قدّم الخاء على الغين , والقاف على الكاف , وجعل الياء آخر الحروف ؛ بعد الواو

(٢) انظر: السرقسطي , مقدمة المحقق : ٢٦ – ٢٧ , وأحمد مختار عمر , معاجم الأبنية في اللغة العربية : ١٦٨ – ١٧٠ , ومالك ياسين , معاجم الأبنية في التراث العربي , رسالة ماجستير : ٩٩ – ١٠٠ .

عشرةَ وخمسمائة , كان أحد أئمة اللغة والأدب , فقد أجاد في النحو , وعُرف عنه نظم الشعر [١] . له تصانيف في اللغة والأدب , منها : كتاب " الأفعال " , و كتاب " أبنية الأسماء " و كتاب " الدرّة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة " أي صقلية , وكتاب " لمح الملح " [٢].

أما كتابه فقد ذكر في مقدمته أنه سمّاه " تهذيب كتاب الأفعال " , أي كتاب ابن القوطية , فكان بذلك سبب تأليفه العيوب التي وجدها في كتاب ابن القوطية , فيقول : " وهذا الكتاب في غاية الجودة والإحسان , لو كان ذا ترتيب وبيان ... لأنه قد أربى فيه على كل من ألّف في معانيه , إلاّ أنه لم يذكر فيه سوى الأفعال الثلاثية وما دخل عليها من الهمزة , و لم يستوعب ذلك وترك نحواً مما ذكر , وخلط في التبويب , وقدم وأخّر في الترتيب ... فأتعب الناظر , وأنصب الخاطر , وصار الطالب للحروف يجده متفرّقاً في الكتاب في عدّة أبواب , و لم يذكر فيه الأفعال الرباعية الصحيحة ولا الخماسية و السداسية المزيدة ولا الثنائية المكررة ؛ فأجبتك إلى ما سألت وأسعفتك بما أوردت على ما في ذلك من التعب الطويل والنصب الجزيل ..."[٣] .

ثم لخص جهوده في تهذيب هذا الكتاب , فقال : " فرددتُ كل فعلٍ إلى مثله , وقرنت كل شكل بشكله , ورتبته خلاف ترتيبه , وهذبته خلاف تهذيبه , وذكرت ما أغفله من الأفعال الثلاثية , والمزيدة بالهمزة , والثنائية المكررة . وأوردت الأفعال الرباعية الصحيحة , والأفعال الخماسية والسداسية المزيدة , وأثبتها على حروف المعجم حتى لا يحتاج الناظر أن يخرج من باب إلا وقد استوعب جميع الأفعال على التمام والكمال , وأعلمت على ما أورده بحرف (القاف) وعلى ما أوردته أنا بحرف (العين) ليعرف بذلك ما أورده ,وما أوردت ,وما ترك وما زدت ... و لم أورد فيه سوى المعروف المستحسن وعديته عن الحوشي المستهجن "[٤].

---

[1] انظر : ابن خلكان , وفيات الأعيان : ٣ / ٣٢٢ – ٣٢٤ , وحاجي خليفة , كشف الظنون : ١ / ١٣٣ وفيه جاء أن ابن القطاع توفي سنة ٥١٤هـ , وانظر: الزركلي , الأعلام : ٤ / ٢٦٩ , وبروكلمان , تاريخ الأدب العربي : ٣ / ٣٤٢ .

[2] انظر : ابن خلكان , وفيات الأعيان : ٣ / ٣٢٣ , والزركلي , الأعلام : ٤ / ٢٦٩ .

[3] ابن القطاع : ١ / ٦ – ٧ .

[4] ابن القطاع : ١ / ٧ – ٨ .

وقد قسم ابن القطاع كتابه إلى أقسام بعدد حروف الهجاء , ورتبها وفق الترتيب الهجائي المعروف , كما قسم كل حرف إلى أقسام هي:

١. فعل وأفعل من الثلاثي الصحيح بمعنى واحد وبغيره , وفيه أدخل كل ما ذكره ابن القوطية من الثلاثي الصحيح تحت أبواب " فعل وأفعل بمعنى واحد " و " فعل وأفعل بمعنى مختلف " و " فعل " فقط و " أفعل " فقط .
٢. باب الثنائي المضاعف , ووضع تحته مضعف الثلاثي , و مزيده بالهمزة .
٣. باب المهموز : وأراد به المهموز من الثلاثي فقط ومزيده بالهمزة .
٤. باب المعتل : ويشمل عنده الأجوف والناقص واللفيف من الثلاثي والمزيد بالهمزة .
٥. باب الثنائي المكرر , ويضم مضعف الرباعي , نحو : بَخْبَخَ .
٦. باب الرباعي الصحيح , وهو ما جاء على زنة فعلل وتفعلل , والثلاثي المزيد بحرف – ما عدا أفعل – نحو فاعل , ويشمل المهموز , مثل : بلأص , والملحق بالرباعي , مثل : بيقر و المعتل ... الخ .
٧. باب الخماسي والسداسي سواء أكانا من مزيد الثلاثي أم من مزيد الرباعي , ومن الصحيح أو المهموز أو المعتل .

قيمة كتب الأفعال في العمل المعجمي العربي :

توجه معاجم الأفعال عنايتها لأبنية الأفعال فقط , وقد عنى ابن القوطية ببناءيْن منها , فاهتم من الأفعال الثلاثية بما جاء منها على صيغة (فعل) بفتح العين وضمها وكسرها , ومن الأفعال الرباعية بما جاء منها على صيغة (أفعل) فقط ؛ لذا عُدّ معجمه من كتب الصيغ الخاصة من الأفعال .

وقد ذكر ابن القوطية الماضي والمصدر من كل ما أورده , ومعانيهما الكثيرة, ولكن الشواهد قليلة عنده , كما لم يذكر أسماء اللغويين الذين اعتمد عليهم , وقد بلغ من شهرة هذا الكتاب في عصره أن نسي الناس ما قبله , واتخذه أساساً أكبر

معجمين للأفعال , هما كتابا السرقسطي وابن القطاع , فقد درساه وهـذباه وأكمـلاه , وتلافيا ما اختل منه [١].

ولقد ذكر السرقسطي أفعالاً لم يتعرض لها ابن القوطية,وفسّرها واستشهد عليها ,ونسب بعضها إلى قائليه , فانفرد بذلك " بما لا تُحصى من شواهد الشعر قصيده ورجزه , والقرآن الكريم , والحديث , والأمثال , وفصيح الكلام العربي , وفسّر الغريب , وشرح المُعَمَّى , وحدد القراءات , وعنى بشروح الحديث , و روى مضرب الأمثال , والطرف والنوادر , وأغنى كتابه بالظواهر الأدبية , والفوائد اللغوية , والنحوية , والصرفية , والعروضية , والاشتقاقية , واهتم بذكر أيام العرب ولغات قبائلها , واللغات الدخيلة عليها "[٢] وهذا مما لا نجده في كتاب ابن القوطية .

فيما بحث ابن القطاع في كتابه جميع أبنية الأفعال أيضاً , واستدرك فيه على ابن القوطية , الذي ترك كثيراً من صيغ الأفعال , و لم يرضَ عن ترتيب الكتاب , وفقـاً لمخارج الحروف ؛ فغيره إلى الترتيب الهجائي المعروف , ليسهل العودة إليه[٣] .

وقد ذكر ابن خلكان أن تأليف ابن القطاع أجود من تأليف ابن القوطيـة , وإن كان ابن القوطية قد سبقه إليه [٤].

وصفوة القول أن كتابي السرقسطي وابن القطاع أوسع وأشمل كتابين تحـتفظ بهما المكتبة العربية في الأفعال , إلا أن كتاب السرقسطي مـع قيمتـه العلميـة في موضوعه أغفله كثير من أصحاب التراجم , و أغفلوا صاحبه , مقارنةً بكتابي ابن القوطية وابن القطاع [٥] .

ويفوق كتاب ابن القطاع كتابي ابن القوطية والسرقسطي شهرةً بين معاجم العربية ؛ لسهولته وعدم تعقّد ترتيبه الهجائي قياساً بهذين الكتابين اللذين اعتمـدا ترتيب الحروف على المخارج , ولأنه أوفى من معجم ابن القوطية الـذي ترك كثيراً

---

(1) انظر: السرقسطي , مقدمة المحقق : ١ / ٢٩ وحسين نصار , المعجم العربي , نشأته وتطوره : ١ / ١٤٧ – ١٤٨ .

(2) انظر: السرقسطي , مقدمة المحقق : ١/ ٢٩ وحسين نصار , المعجم العربي : ١ / ١٥٠ .

(3) انظر: حسين نصار , المعجم العربي : ١ / ١٥١ .

(4) ابن خلكان , وفيات الأعيان : ٣ / ٣٢٣ .

(5) السرقسطي , مقدمة محقق كتاب : ١ / ٢٠ , ٢٩ .

من صيغ الأفعال , ولإلغائه التقسيمات الكثيرة التي جاء بها السرقسطي في كتابه [١].

وقد استعانت بعض المعاجم المتأخرة بمعجمي ابن القوطية وابن القطاع , فعلى سبيل المثال استعان ابن منظور في معجمه بكتاب ابن القطاع في بضعة وعشرين موضعاً , وبكتاب ابن القوطية في بضعة مواضع , أما السرقسطي فلم يستعن به , كما أظهرت ذلك فهارس لسان العرب [٢].

وقد ذكر الزَّبيدي في مقدمته المصنفات التي اعتمد عليها في مؤلفه , ومنها " الأفعال " لابن القطاع [٣], وممن استعان بها جميعاً الفيومي في المصباح المنير , فهي من المصنفات التي جمع أصل معجمه منها [٤].

---

[1] انظر: أحمد مختار عمر, معاجم الأبنية في اللغة العربية : ١٧٩.

[2] انظر: فهارس لسان العرب : ٣٥٥ , ط ١ , دار إحياء التراث , ١٩٩٩م.

[3] الزبيدي , مقدمة تاج العروس : ١ / ٥ .

[4] الفيومي , المصباح المنير : ٢ / ٩٧٨ .

الفصـــــــــل الأول

الإبدال الصّوتيّ التّاريخيّ في معاجم الأفعال

ويدرس هذا الفصل المحورين الآتيين:

١. الإبدال الصوتي التاريخي : مفهومه وأسباب حدوثه ونوعيه.

٢. أمثلة من الإبدال الصوتي التاريخي في معاجم الأفعال .

١.مفهومه وأسباب حدوثه ونوعاه

مفهوم الإبدال الصّوتي التّاريخيّ :

هو جعل صوت مكان صوت غيره , في كلمات معينّة مع بقاء الأصوات الأخرى فيها , ومع اتفاق المعنى . وقد اهتمّ علماء العّربية القدامى بهذه الظاهرة , وعدّوها ظاهرة لغويّة شائعة , وألفوا فيها المؤلفات [١] .

وقد عرّف بعض المحدثين من علماء العربية هذه الظاهرة الصوتية بقولهم : إنها "التغيير المنتظم الذي ينتاب صوتاً من الأصوات في كل سياقاته اللغويّة [٢] , أو" التغييرات التي تحدث من التحّول في النظام الصوتي للغة ؛ حتى يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته صوتاً آخر ", ويرتبط هذا التغيير بمكان وزمان معيّنين [٣].

فالإبدالُ نتيجةَ التطوّر الصوتي, يحدثُ لتسهيل النطق في الغالب , وتحقيق نوع من الاقتصاد في عمليّات النطق المتتابعة [٤] . ولا بدَّ لحدوثه من التقارب في المخرج أو الصفات بين الأصوات التي يحدث بينها تغيّر [٥].

وقد يكون الإبدال التاريخي في بدايته من باب التعدد اللهجي ؛ لاختلاف القبائل المتكلمة به , فالعرب لا تتعمد تعويض حرف من حرف , بل هي " لغات مختلفة لمعانٍ متفقة , تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد , حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد[٦] ".

---

(١) نحو كتاب (الإبدال) لأبن السكيت , وهو أول من أطلق على هذه الظاهرة اسم " الإبدال " , وكتاب " الإبدال والمعاقبة والنظائر " لعبد الرحمن الزجاجي , وكتاب " الإبدال " لأبي الطيب اللغوي . وقد أشار ابن جني إلى شيء من ذلك في كتابه " سر صناعة الأعراب " : ١٨٠/٢

(٢) صلاح الدين حسنين , المدخل إلى علم الأصوات , ٦٧

(٣) رمضان عبد التواب , التطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه , ١٧, وانظر آمنة الزعبي , التغيّر التاريخي للأصوات في العربية واللغات الساميّة (رسالة دكتوراه) ٨ – ١٩ .

(٤) انظر : إبراهيم أنيس , من أسرار اللغة , ٧٥ , عبد الصبور شاهين , المنهج الصوتي للبنية العربية , ١٦٨ .

(٥) إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ١٨٣ .

(٦) السيوطي , المزهر : ٤٦٠/١ , وهذا الكلام لأبي الطيب اللغوي كما يذكر السيوطي .

وقد يحدث الإبدال الصوتي التاريخي أيضاً لتحقيق الوضوح السمعي [١] . ويقتصر على النقل والسماع , دون أن يكون قياساً يسمح للناطق بصوغ أمثلة جديدة في اللغة[٢] في الغالب , وقد تكون بعض أمثلته وليدة التصحيف و التحريف اللذين ابتليت بهما العربية . وقد يحدث نتيجة عوامل عدة متشابكة منها الاجتماعية والنفسية والفسيولوجية [٣] .

ويختلف الإبدال التاريخي عن الإبدال التركيبي , فالتركيبي يقُصد به " تلك التغيرات التي تُصيب الأصوات من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة , فهي لذلك مشروطة بتجمّع صوتي معيّن , وليست عامّة في الصوت في كل ظروفه وسياقاته اللغويّة [٤] . وهو يتطلب لحدوثه بيئة صوتيّة معينّة , فتتغيّر صفاته تغيّراً تركيبيّاً آنيّاً , يزول بزوال تلك البيئة , كما في كلمة (اصْطفى) وما هو نحوها , إذ إنّ أصل الطاء تاء مُرققة , أُبدلت لمجاورتها صوتاً مفخّماً , وهو الصاد [٥] .

ويراد من هذه التبدّلات التركيبيّة تحقيق الانسجام الصوتي , والسهولة والتيسير , ولعلّ أهمّ قوانين الإبدال التركيبي قانونان , هما : قانون المخالفة الصوتية [٦] , وقانون المماثلة , الذي يدعو صوتين مختلفين إلى التماثل أو التقارب[٧] .

والإبدال التاريخي عامل فاعل من عوامل نمو اللغة , ساهم في إغناء المعاجم العربيّة بألفاظ متشابهة في المبنى وفي المعنى , حتى إنّ المعجميين جعلوا لكل لفظ منها مدخلاً خاصاً في المعجم العربي .

---

(١) صالحة آل غنيم , اللهجات في كتاب سيبويه , ص ٢٣٥ .

(٢) عبد الصبور شاهين , القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : ٧٣

(٣) انظر: محمد الأنطاكي , الوجيز في فقه اللغة : ٢٦٩ , ٢٧٧ - ٢٨٤.

(٤) رمضان عبد التواب , التطوّر اللغوي : ٢٢.

(٥) محمد الأنطاكي , المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : ١/١١٣ – ١١٤.

(٦) اظر : فصل المخالفة الصوتية من هذه الدراسة .

(٧) رمضان عبد التواب , التطوّر اللغوي : ٢٢ – ٤٦

أنواع الإبدال الصوتي التاريخي :

ينقسم الإبدال الصوتي التاريخي إلى نوعين : [١]

١. الإبدال المطلق : وهو الذي يصيب صوتاً من الأصوات , فيحوّله إلى صوت آخر في جميع سياقاته اللغوية , فيضيع من النظام الصوتي لهذه اللغة .
٢. الإبدال المقيّد : وهو الذي يصيب صوتاً من الأصوات فيحوّله إلى آخر في بعض سياقاته اللغويّة , مع محافظة اللغة على الصورة القديمة في سياقات أخرى .

وسينصب جلّ اهتمامنا في هذه الدراسة على التغير المقيّد .

٢.أمثلة من الإبدال الصوتي التاريخي في معاجم الأفعال :

حفظت معاجم الأفعال كثيراً من أمثلة هذا التغيّر,يمكن دراستها على النحو الآتي :

أ. تبدّلات الأصوات الحنجريّة والحلقيّة .
ب. تبدّلات الأصوات الأقصى حنكيّة .
ج. تبدّلات الجيم .
د. تبدّلات الأصوات الأسنانيّة – اللثويّة و اللثويّة .
هـ. تبدّلات الأصوات بين الأسنانيّة .
و. تبدّلات الأصوات الشفويّة .
ز. تبدّلات الأصوات المائعة .

وقد اعتُمد في حصر أصوات كل مجموعة معاً على المخارج ما عدا " تبدّلات الأصوات المائعة " إذ جمعت معاً اعتماداً على كونها مائعة .

(١) صلاح الدين حسنين , المدخل إلى علم الأصوات ٧٣ – ٧٤ .

ـــ. تبدّلات الأصوات الحنجريّة والحلقيّة :

وهذه الأصوات هي : الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين [١] . وقد امتازت بصعوبة نطقها ,وعمق مخارجها ؛ لذا ظهر ميل إلى التخلص منها في أغلب اللغات السامّية . إلا أنّ العربيّة احتفظت بها جميعها , ولكنها أيضاً مالت إلى إبدالها , فجاء هذا الإبدال مقيّداً ببعض الأمثلة [٢] .

سجّلت معاجم الأفعال أنماطاً كثيرة ظهرت فيها التحوّلات الحادثة بين هذه الأصوات , وهي تحوّلات ساهمت في إغناء المعاجم العربيّة بكلمات جديدة , وهذه الأنماط هي :

١. الهمزة والهاء
٢. الهمزة والعين .
٣. الهمزة والحاء
٤. الهمزة والغين .
٥. الهاء والحاء.
٦. الهاء والعين
٧. الهاء والخاء
٨. الهاء والغين .
٩. العين والحاء.
١٠. العين والخاء .
١١. العين والغين .
١٢. الغين والخاء.
١٣. الحاء والخاء .
١٤. تحولات بعضها مع صوتي القاف والكاف .

أما تحولات صوت الهمزة مع كل من الهاء والعين والحاء والغين , فستبحث في فصل التبدلات غير القياسية في الهمزة وفي أصوات العلة [٣] .

إن إمكان حدوث تبادل صوتي بينهما أمر وارد ؛ لأنهما قريبان في المخرج , فمخرج الهاء هو الحنجرة , ومخرج الحاء هو وسط الحلق .

---

(١) إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية : ٨٧ .

(٢) بروكلمان , فقه اللغات السامية : ٤٨ – ٤٩

(٣) انظر : فصل (التبدلات غير القياسية في الهمزة وفي أصوات العلة) من هذه الدراسة

وقد سجلت معاجم الأفعال أمثلة كثيرة ظهر فيها تعاقب هذين الصوتين , منها : أحمّني الأمر وأهمّني [١] , وأَنَهَ وأَنَحَ بمعنى تَنَحْنَحَ أو صوّت بطنه [٢]. وبَدَحَهُ بأمر مثل بدهه , وبالأمر باح به [٣] .وسَهَكَت الريح التراب : سحقته [٤] وغير ذلك من الأمثلة .

إنّ الهاء صوت حنجري والعين صوت يخرج من وسط الحلق , لذا فهما متقاربان , ولكن معاجم الأفعال لم تسجل إلا أمثلة قليلة جداً على هذا الإبدال , نحو : سرعف وسرهف والسرعفة والسرهفة حسن الغذاء والنعمة [٥] . وهبِلتْه أُمّه : فقدته , ويُقال : هُبلتِ المرأة وعُبلت سواء [٦] . وجَلَعَ وجَلَه و جَلِح , بمعنى انحسر ونحّى ونزع [٧] .

ويتقارب مخرج الهاء مع مخرج الخاء [٨] , كما أنهما يشتركان في الرخاوة و الهمس, إلا أنّ الأمثلة على تعاقبهما المدوّنة في معاجم الأفعال قليلة منها : سَنِه الطعام وسنِخ إذا تغيّر , ويُقال أيضاً زنِخَ [٩] . وجَخْجَخَ وجَهْجَه بمعنى صاح [١٠] , وأطْهَت السماء : ألبسها الطَّهاء , وهو كالطَّخاء [١١] . واطْلخَمَّ الرجل واطْرَخَمَّ واطْرهمَّ واطرغمَّ بمعنى تكبر [١٢] , إذ حدث تعاقب صوتي بين اللام والراء في (اطْلخَمَّ و اطْرَخَمَّ) وحدثت أيضاً تبدّلات بين الخاء والهاء والغين لما بين مخارجها من تقارب .

---

(١) ابن القوطية : ٣٩ , وابن القطاع : ٢٤٢/١ وابن قتيبة , أدب الكاتب , ٣١٦ .

(٢) ابن القوطية , ص ١٧٧ , والسرقسطي : ١/ ٩٤ – ٩٥ , وابن القطاع : ٣٩/١ وانظر : ابن منظور (أنه) ٤٧٢/١٣ .

(٣) ابن القطاع : ٨٤/١.

(٤) ابن القوطية , ص ٢٣٢ والسرقسطي : ٣/ ٥٤٧ , وابن قتيبة , أدب الكاتب , ٣١٧ , وابن منظور (سهك) ٤٤٥/١٠.

(٥) ابن القطاع : ١٧٣/٢ وانظر : ابن منظور (سرعف) ١٥١/٩ , و (سرهف) ٩/ ١٥١ .

(٦) السرقسطي : ١٧٢/١ .

(٧) ابن القطاع : ١٧٠/١.

(٨) سيبويه : ٤٣٣/٤ , ٤٣٤ .

(٩) السرقسطي : ٣ /٥٥٨ .

(١٠) المصدر السابق : ٢/ ٣١٦ – ٣١٧ .

(١١) نفسه : ٣ / ٢٦٢ و الزجاجي , الإبدال والمعاقبة والنظائر , ٥٣ .

(١٢) ابن القطاع : ٣١٧/٢ , وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٣٤٨/١ وأبو علي القالي , الأمالي : ١٥٥/٢ والسيوطي , المزهر : ٤٦٦/١ .

و قد يتبادل صوتا الهاء والغين للقرب المخرجي بينهما ,فمخرج الهاء هو الحنجرة ومخرج الغين هو أدنى الحلق , وقد تبدل الغين هاءً أيضاً تخلّصاً من صفة الجهر , التي تكلّف الناطق جهداً إضافياً لجعل الوترين الصوتيين يهتزان , وقد تبدل الهاء غيناً أيضاً سعياً للوضوح السمْعي الذي يميّز الغين .

وقد حفظت معاجم الأفعال أمثلة قليلة جداً على تعاقب هذين الصوتين , منها : رَفُه العيش ورَفُغَ : اتّسع , والرفاغية والرفاهية : السعة [١]. وأهمّني الأمر مثل أغمّني [٢].

يشترك صوتا العين والحاء في المخرج , و هو من وسط الحلق , وهذا سهّل التعاقب بينهما . وقد سجّلت معاجم الأفعال أمثلة على التعاقب بين هذين الصوتين,منها : بحثر الشيء وبعثره بمعنى بدّده [٣] . ودَحَّ بيده مثل دَعَّ بمعنى الضرب بالكف منشورة [٤] . وضَبَحت الخيل وضَبَعت : صوّتت , وليس بصهيل ولا حمحمة [٥], وعاكَ وحاكَ : مشى وحرّك منكبيه [٦] , وغير ذلك .

يشترك صوتا العين و الخاء في قرب مخرجيهما , لذا فاحتمال تعاقبهما ممكن في اللغة العربية .

---

(١) ابن القوطية , ١٠٢ – ١٠٣ , والسرقسطي : ٤١/٣ وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٣٣٦/٢.

(٢) ابن القوطية , ١٢.

(٣) ابن القطاع : ١ / ١١١ وابن منظور (بعثر) ٤ / ٧٢ والسيوطي , المزهر: ٤٦٦/١.

(٤) السرقسطي : ٣/ ٣١٣ .

(٥) ابن القوطية , ٢٤٥ , والسرقسطي :٢٢٥/٢ ,وابن القطاع : ٢ /٢٧١ , وابن منظور (ضبح) ٥٢٤/٢ , (ضبع) ٢١٦/٨, والسيوطي , المزهر : ٤٦٦/١.

(٦) ابن القطاع : ٣٩٨/٢ – ٣٩٩ .

وأمثلة هذا التعاقب في معاجم الأفعال قليلة,منها : اجلعدَّ واجلخَدَّ, إذا سقط على قفاه [١] . ورَدَخ الشيء بمعنى شَدَخه , وفي لغة هذيل رَدَعَه [٢] .ويجعل ابن منظور هذا التعاقب بين الخاء والغين المعجمة , فيقول :" والرَّدَخ : مثل الرَّدَغ , عمانيّة" [٣] . ومن أمثلته أيضاً : طَعَرَ المرأة وطَخَرَها بمعنى نكحها [٤] .

أشرنا سابقاً إلى أن الغين صوت مجهور مخرجه أدنى الحلق من الفم ,أما العين فصوت مجهور يخرج من وسط الحلق , ولذلك سهل التبادل بين هذين الصوتين لقرب مخرجيهما واشتراكهما في صفة الجهر .

وأمثلة هذا التبادل كثيرة في معاجم الأفعال , منها: ثَلَغَ رأسه وثَلَعَه بمعنى شَدَخَه[٥] , و زَغَفَ في الحديث مثل زعف : لغتان بمعنى زاد فيه وكذب [٦],وفَلَغَ رأسه بالحجر والسيف وفَلَعَه بمعنى شَقّه [٧].و مَعَا الهِرُّ مُعاءً ومغا : صاح [٨] .

وربما فُسر هذا التعاقب بأنه من باب التصحيف بين هذين الصوتين اللذين لا يختلفان من حيث الشكل إلا في النقط .

إن الغين والخاء صوتان يخرجان من مخرج واحد هو أدنى الحلق , لذلك صار من الممكن التعاقب بينهما .

ومن أمثلة التعاقب بين هذين الصوتين , الواردة في معاجم الأفعال : ختر وغَدَر [٩] , إذْ تعاقبت الخاء مع الغين , والتاء مع الدّال , ويسوغ ذلك قرب المخارج . وزاخ وزاغ بمعنى مال [١٠], وغطر بيده في المشي مثل خطر [١١], واطرخمَّ واطْرغمَّ

---

(١) ابن القطاع : ١ / ٢٠١ .

(٢) السرقسطي : ٧٦/٣ , وانظر : ابن القوطية : ٢٥٥ , وابن القطاع : ٢ / ٣٨ .

(٣) ابن منظور (ردخ) ٣ / ١٨ .

(٤) السرقسطي : ٣/ ٢٦٩ .

(٥) ابن القطاع : ١/ ١٣٣

(٦) السرقسطي : ٤٦٠/٣ .

(٧) السرقسطي : ٤٠/٤ , وابن القطاع : ٤٦٩/٢.

(٨) السرقسطي : ١٦٩/٤ , وابن القطاع : ٣/ ٢٠٥ , و أبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢/ ٣٠٥ . ابن القوطية , ٢٠٣.

(٩) ابن القوطية : ٢٠٣.

(١٠) ابن القطاع : ٢ / ١٠٨ .

(١١) السرقسطي : ٢ / ٣١.

بمعنى تكبّر[١] , وزلغ المرأة وزخبها : نكحها [٢], فربما تعاقبت الغين مع الخاء , واللام مع الباء , تعاقباً يسوغه قرب المخارج , ثم حدث قلب مكاني بين صوتين متجاورين , إذ حلّت لام الفعل محل عينها . ولعلّ (زخب) هي الأصل , وسعياً للسهولة والتيسير حلت الباء محل الخاء لتقارب مخرجي الزاي والباء فأصبحت (زبخ) , ثم أبدلت الباء لاماً , فأصبحت (زلخ), وبتأثير قوانين المماثلة أثر الجهر الذي في الزاي في الخاء المهموسة فقلبت الخاء إلى نظيرها المجهور , وهو الغين , فتشكل الفعل (زلغ).

يشترك صوتا الحاء والخاء في صفتي الرخاوة والهمس , وفي قرب مخرجيهما , فمخرج الحاء وسط الحلق . ومخرج الخاء أدنى الحلق من الفم , لذا فإن تعاقبهما تقرّه القوانين الصوتية .

وقد سجلت معاجم الأفعال كثيراً من الأمثلة على هذا التعاقب , منها : بَحْبَحَ وبخبخَ بمعنى اتّسع [٣], وجَخْجَخَ الرجل وجَحْجَحَ :إذا لم يُبْدِ ما في نفسه [٤], ودَخَمَ ودَحَم : إذا دفع بإزعاج [٥] , وغير ذلك كثير .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التصحيف ربما كان سبباً في انقلاب الحاء خاء و العين غيناً, وذلك نظراً لاختلافهما كتابةً في النقط وعدمه .

تحوّلات بعض الأصوات الحلقيّة مع القاف والكاف :

وصف علماء الأصوات المحدثون القاف بأنه صوت شديد مهموس لهويّ [٦] , يقترب مخرجياً من الأصوات الحلقية , وهذا يسوغ إمكان حدوث تبدلات صوتية بينه وبينها.ومن هذه الأصوات صوت العين .

---

(١) السرقسطي : ٣ / ٢٨٧ , وابن منظور (طرغم) ٣٦٢/١٢ .

(٢) ابن القطاع : ٢ / ٩٧ .

(٣) السرقسطي : ١ / ١٠٨ .

(٤) ابن القطاع : ١ / ١٩٤ .

(٥) السرقسطي : ٣ / ٣٢٥ .

(٦) إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية : ٨٤ , ٨٧ .

وقد سجلت معاجم الأفعال أمثلة قليلة جداً على تعاقب هذين الصوتين منها : ابذَقرَّ القوم وابْذعَرّوا : إذا تفرّقوا [١] . وقد تكون صيغة (ابذعرَّ) بدورها ناشئة من ابذأرّ , نتيجة المبالغة في تحقيق الهمزة بقلبها عيناً [٢] .ومنها أيضاً : نَعْثَلَ الرجل ونَقْثَلَ : إذا مشى يُقلّب قدميه , كأنه يغرف بهما [٣] . وقد يكون هذا التعاقب حادثاً بين العين المجهورة والقاف بصورتها المجهورة التي وصفها سيبويه .

ومن هذه الأصوات أيضاً الغين , والأمثلة على تعاقب القاف مع الغين قليلة جداً أيضاً, نحو : تزيّغت المرأة وتزيّقت بمعنى تزيّنت [٤]. ومن هذه الأصوات أيضاً صوت الحاء , والأمثلة على تعاقبه مع القاف نادرة في معاجم الأفعال , منها : حَصَلَ وقَصَل لما بقي بعد ذهاب غيره [٥], وقد تتعاقب الغين مع الكاف , وهو تعاقب نادرٌ أيضاً في معاجم الأفعال , و من أمثلته : كَبَنْته وغَبَنْتُهُ [٦] .

ب . تبدلات الأصوات الأقصى حنكيّة :

والمقصود بالأصوات الأقصى حنكية هنا الكاف , وهو صوت شديد مهموس , والقاف التي وصفتها كتب القراءات بالجهر , وتنطق الآن صوتاً شديداً مهموساً [٧] . والفرق بين القاف والكاف هو الجهر في القاف والهمس في الكاف , وللقرب في مخرجيهما , والاتفاق في صفة الشدّة تكاد تكون الكاف هي النظير المهموس للقاف التي وصفها سيبويه , غير أن الدراسات الصوتية الحديثة تصف القاف بالهمس وهو أمر يزيد في التقارب بين الصوتين .

---

(١) السرقسطي : ٤ /١٣٤ .

(٢) بحث أصل هذا الفعل وما هو نحوه في فصل (تحولات الصيغ في معاجم الأفعال) من هذه الدراسة .

(٣) السرقسطي : ٣/٢٤١ , وأبو الطيب اللغوي , كتاب الإبدال : ٢ / ٣١٢ .

(٤) ابن القطاع : ٢ / ١١٤ .

(٥) السرقسطي : ٢ /٦٤ .

(٦) المصدر السابق : ٢/ ١٨٧ .

(٧) إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ٨٣ – ٨٤ .

وقد سجلت معاجم الأفعال أمثلة على التعاقب بين الكاف والقاف منها : ركَّ الشيء ضعف وأيضاً رقّ [١] . وسقع وسكع بمعنى ذهب , وما أدري أين سكع وسقع ؟ أي ذهب [٢]. وقد يُعدّ هذا من قبيل الإتباع , وعكل الإبل والخيل : جمعها في سَوْقِه , والبعير عَقَله [٣]. وكهره لغة في قهره [٤] .

ج. تبدلات الجيم :

الجيم صوتٌ مركب في العربية المعاصرة , من الدال الشديدة والشين الرخوة . ووصفه سيبويه بأنه غاريّ شديد , ولعله لم يلتفت إلى الزائدة الشينية , أو أن تعطيش الجيم لم يكن فاشياً في زمن سيبويه .

تعاقب صوت الجيم مع مركبه الأول (صوت الدال) , و من الأمثلة عليه في معاجم الأفعال : بَلِدَ مثل بَلِجَ بمعنى أعيا و لم ينفُذ في الأمور [٥] , وجَرْجَمْتُ اللقمة وجَرْجَبْتُها وجَرْدَ بْتُها بمعنى أكلتها [٦], وفَجَسْتُ الشيء : إذا شَدَخته,لغة يمانية [٧] . وورد عند السرقسطي في مدخل منفصل : فَدَشْتُ الشيء : شَدَخته [٨] , فتعاقبت الجيم مع الدال والسين مع الشين .

و لم أجد في معاجم الأفعال أي أثر لتبادل الجيم مع الشين على الرغم من أن مخرجهما واحد .

وقد تعاقبت الجيم المركبة مع صوت الياء [٩] في: يَصَّصَ الجرو وجَصَّصَ , إذا فتح

---

(١) ابن القطاع : ٢ / ٥٥ – ٥٦ .

(٢) ابن القوطية , ٢٣١.

(٣) المصدر السابق , ١٨٨ , انظر: و الزجاجي , الإبدال والمعاقبة والنظائر , ٨١ .

(٤) ابن القوطية , ٢٢٧ , انظر: و الزجاجي , الإبدال والمعاقبة والنظائر , ٧٨ – ٧٩ .

(٥) ابن القوطية : ١٣١, والسرقسطي : ٤ / ٨٧ , وابن القطاع : ١ / ٧٧ .

(٦) السرقسطي : ٢ / ٣١٥ .

(٧) المصدر السابق : ٤/ ٤٥ .

(٨) نفسه : ٤/ ٤٦ .

(٩) ولعل هذا التعاقب من أهم الظواهر الفونولوجية لكثير من لهجات شبه الجزيرة العربية انظر: (ت . م . جونستون , " تغير الجيم إلى ياء في لهجات شبه الجزيرة العربية " ترجمة سعد مصلوح , مجلة مجمع اللغة العربية , الجزء السادس والعشرون , مايو ١٩٧٠ , ص ١٨٣ .

عينيه أول ما يفتح وهو صغير,ويَصَّصَ فلان على القوم وجَصَّصَ: إذا حمل عليهم [١] . وهذا التعاقب تقره القوانين الصوتية , فالصوتان من مخرج واحد , وهو الغار أو من سقف الحنك الصلب ,كما أنهما يشتركان في صفة الجهر [٢] , فسهولةً وتيسيراً , تبدل الجيم ياءً لصعوبتها الناجمة عن التركيب فيها .

وتشيع هذه الظاهرة في عصرنا الحالي أيضاً في بعض قرى جنوبي العراق , وبعض بلدان الخليج العربي , فيقولون في مسجد مثلاً : مسيد , وفي دجاج : دياي , وغير ذلك [٣] .

كما أن الياء قد تبدل جيماً , وفي هذا سير معاكس تماماً للظاهرة الأولى, وتعرف ظاهرة إبدال الياء جيماً بظاهرة العجعجة , التي تنسب إلى قُضاعة , لما في صوت الجيم من شدّة تتفق وطبيعة الأداء البدوي , ومن الأمثلة عليها قولهم في عليّ (علّج) وفي تميميّ (تميمجّ) [٤] .

وتعاقب صوت الجيم المركب مع الكاف في جَمَعْتُ البعير وكَمَعْتُ : إذا جعلت على فيه ما يمنعه الأكل والعضّ [٥], ولعله نمط لغوي يحافظ على الصورة الأصلية لنطق الجيم , أي الصورة الخالية من التعطيش , التي تشبه الكاف, أو قد يكون هذا التعاقب من باب السهولة والتيسير , فالكاف أسهل نطقاً من الجيم المركبة .

أما تعاقب صوت الجيم المركب مع القاف فمما تقرّه القوانين الصوتية أيضاً , لأنهما من مخرجين متقاربين , فالجيم من غار الفم والقاف من اللهاة [٦] ,كما أن صوت القاف أسهل نطقاً من صوت الجيم المركب , وقد اختلف وصف القدماء

---

(١) السرقسطي : ٤ / ٣٠٠ – ٣٠١ .

(٢) بروكلمان , فقه اللغات السامية , ٤٨ , ورمضان عبد التواب , فصول في فقه العربية ١٣٢ .

(٣) رمضان عبد التواب , فصول في فقه العربية , ١٣٣.

(٤) السيوطي , المزهر : ١ / ٢٢٢ , ٢ /٨٨ ورمضان عبد التواب , فصول في فقه العربية , ١٣٠ – ١٣١ وصالحة آل غنيم , اللهجات في " الكتاب " لسيبويه أصواتاً وبنية , ٢٩٢ .

(٥) نفسه ٢٦٧/٢ .

(٦) رمضان عبد التواب , المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي , ٥٠ – ٥١ , ٥٤ .

للقاف عنه عند المحدثين , فالقاف عند القدماء مجهورة , و عند المحدثين مهموسة . فربما حدث الإبدال بين الجيم القاهرية الخالية من التعطيش المجهورة , والقاف المجهورة التي وصفها سيبويه [١], وهي القاف التميميّة , إذ إن الفرق بينهما في السماع لا يكاد يُذكر .

ومن الأمثلة على تعاقب هذين الصوتين في معاجم الأفعال : باجت عليه بائجة وباقت عليه بائقة, أي نزلت الداهية [٢], وجَلَم الشيء وقَلَمه بمعنى قطعه وقصّه [٣], وسرجَنَ الأرض وسرقنها بالسرجين والسرقين : إذا أصلحها بالزِّبل [٤].

وفي ظننا أن تعاقب الجيم مع الكاف والقاف قد جرى في مرحلة سحيقة من عمر اللغة حينما كانت الجيم العربية أقصى حنكية كالجيم السامية الأولى , وأن تعاقب الجيم مع الدال والياء قد جرى في مرحلة تاريخية لاحقة حينما انتقل مخرج الجيم العربية من الحنك الأقصى إلى منطقة الغار وأصبحت صوتاً مركباً [٥] .

د. تبدّلات الأصوات الأسنانيّة – اللثويّة واللثويّة :

١.الأصوات الأسنانيّة اللثويّة:

وتضم الدال والضاد والتاء والطاء , واللام والنون والراء . وستُبحث تبدّلات اللام والنون والراء عند الحديث عن تبدّلات الأصوات المائعة . وتتّحد الدّال والتّاء والطّاء والضّاد في صفة الشدّة , وفي مخارجها .

٢. الأصوات اللثويّة :

وتضم السين والزاي والصاد , وتشترك جميعها في المخرج , وفي صفة الرخاوة و في الصفير الذي يُسمع عند النطق بها .

وسندرس التبدّلات الصوتيّة لأصوات هاتين المجموعتين فيما بينهما , وتبدّلاتها مع ما يقاربها من الأصوات في المخارج , وهي:

---

(١) سيبويه : ٤ /٤٣٣ – ٤٣٤ .

(٢) ابن القطاع : ١ / ١٠٥ , ١٠٦ .

(٣) السرقسطي (قلم) ٢/١٠٥ – ١٠٦ , و (جلم) ٢ / ٢٨٩ .

(٤) المصدر السابق : ٣ / ٥٧٢ , و ابن منظور (سرجن) و (سرقن) ١٣ / ٢٠٨ .

(٥) بروكلمان , فقه اللغات السامية : ٤٨ , ورمضان عبد التواب , التطور اللغوي : ١٨, ٩٢ , وسمير استيتيه , معالم جديدة للمنهج المقارن بين اللغات السامية , ص:٦٥ – ٦٦ , مجلة مجمع اللغة العربية الأردني , المجلد العاشر , العدد الثلاثون , ١٩٨٦ .

١. التاء والدال
٢. التاء والسين
٣. التاء والصاد
٤. الطاء والتاء
٥. الطاء والدال
٦. السين والزاي
٧. السين والشين
٨. الصاد والشين
٩. الصاد والسين
١٠. الصاد والزاي
١١. الضاد والصاد
١٢. الضاد والظاء
١٣. الضاد والزاي
١٤. حالات نادرة لتبدل الضاد مع كل من الطاء والتاء والدال و الذال .

ولا شك أن التبدلات الصوتية لأصوات هاتين المجموعتين فيما بينهما أو مع ما يقاربهما من الأصوات عائدةٌ إلى الاتحاد أو القرب في المخارج,وإلى الاتحاد في بعض الصفات .

أما التاء والدال فيتحدان في المخرج فكلاهما أسناني لثوي , كما يتحدان في صفة الانفجارية , لذا أصبح الإبدال بينهما ممكناً .

ومن أمثلة هذا الإبدال في معاجم الأفعال : ستَّيْتُ الثوب وسدَّيْته [١],وأسديْتُ النخل وأستَيْته , أقمت سداه , وهو قائمه , وأسدى النخل , طاب سداه , وهو البلح [٢], وهذا الإبدال للدال من باب المماثلة الصوتية , لاتصال الفعل بتاء المتكلم , فأثرت تلك التاء في الدال , و هذا تغير تركيبي سياقي قد يسجل على أنه تغير تاريخي (اتفاقي) فتروى الكلمة بالتاء تارة وبالدال تارة أخرى[٣] . ومن أمثلته أيضاً : فدكْتُ القطن بمعنى نفشته , وفتكْته أيضاً لغة أزديّة [٤].وفَدَغَ الشيء وفَتَغَه بمعنى كسره[٥], وكلت وكلد بمعنى جمع [٦].

(١) السرقسطي : ٣ / ٥٧٥ ,و ابن منظور (ستي) ١٤ / ٣٧٠ .
(٢) ابن القطاع : ٢/ ١٦٩ .
(٣) آمنة الزعبي , التغير التاريخي للأصوات في العربية واللغات السامية , دراسة مقارنة : ١٠٣.
(٤) ابن القطاع : ٤٧٧/٢.
(٥) المصدر السابق : ٢ / ٤٧١ .
(٦) نفسه ٩٥/٣ , و ابن منظور (كلت) ٨٠/٢.

و يتقارب صوتا التاء والسين في مخرجيهما , فالتاء صوت أسناني لثوي والسين صوت لثوي . وقد سهل هذا التقارب أمر الإبدال بينهما.

ومن أمثلة هذا الإبدال في معـــاجم الأفعال : أختّ الله حظّه مثل أخَسَّـــهُ بمعـــنى نقصـــه [١].وقسَّ الإنسان وقتّ بمعنى نمَّ واغتاب [٢]. وثاخ العجين وتاخ وساخ [٣], فربما حدث تعاقب بين السين والتاء , أو ربما تطورت الثاء إلى التاء أو تطورت الثاء إلى السين لقرب المخارج,والميل للسهولة والتيسير .

ويطلق على ظاهرة قلب السين تاءً مصطلح (الوتم) , وتُعزى هذه الظاهرة إلى اليمن , ويُستَشهْد عليها بقول عِلْباء بن أرقم :

يا قَبَّحَ اللهُ بني السَّعْلاتِ
عَمْرَو بنَ يَرْبوعٍ شرارَ الناتِ
ليسوا أعفّاءَ ولا أكياتِ

يريد بالنّات : الناس , وبالأكيات : الأكياس [٤]. ويرى ابن منظور أن ذلك علـــى البدل الشّاذّ [٥] .

و قد تتعاقب التاء مع الصاد لقرب مخرجيهما , فالتاء صوت أســـناني لثـــويّ, والصاد صوت لثويّ , كما أنهما يتفقان في صفة الهمس , ولكن أمثلتـــه نـــادرة في معاجم الأفعال , منها عَرِص الرمح وعرت بمعنى اهتّز [٦] .

و جعل سيبويه مخرج الطاء والتاء واحداً , وهو " مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا" [٧], وقد سهل هذا الاتحاد في المخرج أمر تبادلهما .

---

(١) ابن القوطية , ص ٣١ وانظر : ابن قتيبة , أدب الكاتب , ص ٣١٦ وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ١ / ١١٨ .
(٢) السرقسطي (قتّ) ٥٦/٢ , (قسّ) ٩٥/٢ و أبو الطيب اللغوي , الإبدال : ١ /١١٩.
(٣) السرقسطي : ٣ / ٣٦٩ , وابن القطاع : ١ / ١٢٦ .
(٤) انظر: ابن السكيت , الإبدال : ١٠٤ ,والزجاجي , الإبدال والنظائر والمعاقبة : ٥٤ , وأبو الطيب اللغوي ,الإبدال : ١ / ١١٧ – ١١٨ , و الثعالبي , فقه اللغة وأسرار العربية , ٢٢٨ , وابن عصفور , الممتع في التصريف : ١ / ٣٨٩ .
(٥) ابن منظور (أ نس) ٦ / ١١ .
(٦) ابن القوطية , ١٩٣.
(٧) سيبويه : ٤٣٣/٤ , ٤٣٤ .

وقد حفظت معاجم الأفعال أمثلة على هذا الإبدال منها : طَلَعَ فلان وتَلَع : إذا أخرج رأسه من شيء كان فيه , إلا أن طلع أعم [١],وهذا يؤيّد إبدال الطاء تاء.

وذأته وذأطه بمعنى خنقه , وكذلك زعته وزأته , وذعته وزعطه [٢] . ولعل هذه الأفعال تعود لأصل واحد هو (ذأط) إذ تعاقبت الهمزة مع العين , والذال مع الزاي , والطاء مع التاء , وهي تبدّلات تاريخية تقرّها القوانين الصوتية لقرب المخارج,و وفقاً لقانون السهولة والتيسير يمكن تفسير هذا التعدد في صور الفعل على النحو الآتي :

ومن أمثلته أيضاً : طاح وتاه بمعنى اضطرب عقله [٣] , وهتل الدمع والمطر وهَطَل [٤].

تختلف الطاء القديمة المجهورة , التي وصفها سيبويه , عن الدال في صفة الإطباق فقط, فلولا الإطباق لصارت الطاء دالاً [٥]. ومن أمثلة هذا الإبدال في معاجم الأفعال : ادرغشَّ الرجل واطرغشَّ : إذا برئَ من مرضه [٦] , وطَغَره لغة في دَغَرَه : إذا اقتحم عليه وسلبه [٧] . وقطّ الشيء وقدّه بمعنى قطعه , وبعضهم حاول أن يفرق بينهما بفروق دقيقة , فجعل القدّ طولاً , والقطّ عرضاً [٨] , وليس ذلك إلا من باب تخصيص الدلالة.

---

(١) السرقسطي : ٣/٣٥٧.

(٢) السرقسطي : ٣ / ٦٠٣ , ٤٦٦ وابن القطاع : ١ / ٣٩٩ , ٢ / ٩٨ .

(٣) السرقسطي : ٣ / ٢٧٨, وابن القطاع : ٢ / ٣١١ .

(٤) السرقسطي (هتل) ١ / ١٥٨ , (هطل) ١ / ١٥٥ و الزجاجي , الإبدال والمعاقبة والنظائر : ٤٥ .

(٥) سيبويه : ٤ / ٤٣٦ .

(٦) السرقسطي : ٣ / ٢٨٧ , ٣٥١ , ابن منظور (درغش) ٦ / ٣٠١ .

(٧) السرقسطي : ٣ / ٢٧٠ .

(٨) المصدر السابق : ٢/ ٩٦ – ٩٧ , وأبو علي القالي , الأمالي ٢ /١٥٥.

و يشترك صوتا السين والزاي في المخرج , فكلاهما لثويّ احتكاكيّ, ويفترقان في الهمس والجهر [١], فالسين هي النظير المهموس للزاي ,وقد تجهر فتتحول إلى زاي , بتأثيرالبيئة الصوتية المحيطة بها , أي بتأثير قانون المماثلة الصوتية , فيكون تغيرها تغيراً سياقياً في أول الأمر , ثم يتخذ الطابع التاريخي , فيما بعد .

وقد تهمس الزاي فتتحول إلى السين بتأثير قانون السهولة والتيسير , إذ يحتاج الصوت المهموس إلى جهد نطقي قليل قياساً بالصوت المجهور .

وقد حفظت معاجم الأفعال أمثلة على هذا التبادل , منها خَسَقَ وخَزَق , وذكر بعضهم أن الخَسْق ما ثبت , والخَزْق ما نفذ في رمية أو غَرَض [٢]. ولعل ذلك الفرق الدقيق من باب تخصيص الدلالة . والمرجّح أن الفعل (خَسَقَ) هو الأصل , أُبدلت فيه السين زاياً لمجاورتها القاف , وأزعف له العطاء : أعطاه وأيضاً أسعفه بحاجته [٣]. وربما كان هذا الإبدال إبدالاً تركيبياً ناجماً عن مجاورة السين المهموسة للعين المجهورة , فأبدلت السين إلى نظيرها المجهور , وهو الزاي, ومن أمثلته أيضاً : شَئِسَ المكان وشَئِز بمعنى خَشُنَ بكثرة حجارته [٤] .وفَجَسَ وفَجَزَ : تكبر [٥] .

و يشترك صوتا السين والشين في أنهما رخوان ومهموسان [٦],ولسهولة كليهما لا يُرجَّح وقوعهما تحت تأثير قانون السهولة والتيسير ,مع أن أمر إبدال أحدهما من الآخر , مما تقرّه القوانين الصوتية , فضلاً عن العلاقة التاريخية بين هذين الصوتين , إذ تحولت الشين السامية إلى سين في العربية [٧] .

وثمة تداخل في النطق بين هذين الصوتين ,ولعل كثرة الأمثلة على تعاقب هذين الصوتين تؤكد " أن العربية كانت تملك صوتاً بين الشين والسين , وقد تعامل العرب معه تعاملاً مزدوجاً,فبعض البيئات حولته إلى السين,وحولته بيئات أخرى إلى الشين.مما

---

(١) كمال بشر , علم اللغة العام , الأصوات العربية ١٢٠.

(٢) ابن القوطية , ٢٠١ , وابن القطاع : ١ / ٢٩٧ – ٢٩٨ .

(٣) ابن القطاع : ٨٩/٢.

(٤) ابن القوطية , ٢٤٠ و السرقسطي : ٣٩٣/٢ , وابن القطاع : ٢ /٢١٦ ,وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ / ١٠٧ .

(٥) ابن القطاع : ٢ / ٤٧٠ .

(٦) إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية : ٧٥ , ٧٦ – ٧٧ .

(٧) فوزي الشايب , أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية , ٤٠.

أسهم في توليد كلمات رويت بالسين والشين معاً,و لم تكن هذه الكلمات قليلة,حتى إن بعض العلماء خصّص لها رسالة مستقلة ,كما فعل مجد الدين الفيروز أبادي صاحب معجم القاموس المحيط الذي كتب رسالة طويلة في الفروق بين هذين الصوتين "[١].

وورد في معاجم الأفعال أمثلة كثيرة على تعاقب هذين الصوتين , تثبت هذا التداخل التاريخي, وربما نجم بعضها عن التصحيف , ومن هذه الأمثلة : ابْرَنْشق وابرنسق بمعنى فرح [٢],وجُحِشَ الرجل خُدِش , وبالسين أيضاً [٣] , وحَمِشَ الرجل وحَمِس : غضب , وحَمِشَ الشرّ وحَمِسَ : اشتدّ [٤], و دَنْقَسَ ودَنْقَشَ بمعنى نظر وكسّر عينيه[٥].

و قد يكون الإبدال بين الصاد والشين من باب التداخل , الذي أُشير إليه عند الحديث عن تبادل السين والشين , فالصاد هي النظير المفخّم للسين , وربما كانت الصاد مرحلة أولى ,تحولت إلى السين في مرحلة ثانية , ثم إلى الشين في مرحلة ثالثة,وقد يكون السبب في هذا الإبدال القرب المخرجي بين صوتي الشين والصاد , والاشتراك في صفتي الرخاوة والهمس .

والإبدال بينهما نادر في معاجم الأفعال , ومن أمثلته : بشَّ الشيءُ وبصَّ بمعنى برق [٦] . ونهصل ونهشل بمعنى اضطرب من الكبر [٧], وقد تَعلَّل هذه الندرة بميل الصاد في العربية إلى التحول إلى أصوات أخرى من أبرزها السين والزاي .

كما توصف الصاد بأنها النظير المفخّم للسين,وعليه فإبدال الصاد سيناً مسوغٌ ,يفسره قانون السهولة والتيسير,فالصاد أصعب نطقاً من السين بسبب التفخيم فيها,الذي يكلف الناطق جهداً إضافياً .

---

(١) آمنة الزعبي , التغير التاريخي للأصوات في العربية واللغات السامية , ٢٢٧ , و انظر : الفيروز أبادي , تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين, تحقيق محمد خير البقاعي , دار قتيبة , دمشق , ١٩٨٣ .

(٢) ابن القطاع : ١ / ١١٥ .

(٣) المصدر السابق : ١ / ١٧٥ , وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ / ١٥٨ .

(٤) ابن القوطية : ٣٧ وابن القطاع : ١ /٢٠٣ .

(٥) ابن القطاع : ١ / ٣٨٢

(٦) ابن القطاع : ١ / ٩٧ .

(٧) المصدر السابق : ٣ / ٢٨٦ .

وأما إبدال السين صاداً فممكن , في حال توافر البيئة الصوتية المناسبة الداعية إلى ذلك , بتأثير قوانين المماثلة الصوتية , ثم يصبح هذا الإبدال تاريخياً .

والأمثلة على هذا الإبدال كثيرة جداً في معاجم الأفعال , منها بخَصَ عينه وبخسها , والصاد أجود [١]. واخرمَّس واخرَمَّصَ واخْرَمَّشَ بمعنى سكت [٢], إذ حدث تعاقب بين كل من الصاد والسين والشين ,وهو مسوغ كما ذُكر سابقاً , ودخَصت الجارية ودَخَسَت: امتلأت لحماً [٣] . وسقَع الديك بصوته وصَقَع , صاح [٤], وصَلَغت الشاة وسَلَغت : تمّت أسنانُها [٥] .وما يَنْبِس بكلمة وما ينْبِص : أي ما يتكلم [٦] .

و يتفق صوتا الصاد والزاي في أنهما لثويان احتكاكيان , فمسوّغ الإبدال متوافر .ومن الأمثلة على هذا التبادل في معاجم الأفعال:ازمأكَّ واصمأكَّ : إذا غضب [٧] , وفصَّ الجرح وفزَّ : سال [٨]. ومَصَدَ المرأة: نكحها , ولغة أخرى مَزدها بالزاي , ولغة أخرى مصتها بالتاء [٩] . فربما تأثرت الصاد المهموسة بالدال المجهورة , فانقلبت إلى نظيرها المجهور , وهو الزاي , فأصبحت (مزد) . وربما تأثرت الدال المجهورة بالصاد المهموسة , فانقلبت إلى نظيرها المهموس وهو التاء , فأصبحت (مصت) , ومن الأمثلة أيضاً : نَشَصت المرأة على زوجها ونَشَزَت إذا ارتفعت عليه [١٠], ووخَزَه بالرمح ووخَصَه ؛ بمعنى طعنه [١١].

---

(١) السرقسطي : ٤ / ١٠٧ , وابن القطاع : ١ / ٨٢ , وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ / ١٧٦.

(٢) ابن القطاع : ١ / ٣٣٤ .

(٣) ابن القوطية : ٢٧٦ و السرقسطي : ٣ / ٣٢٤ , وابن القطاع : ١/ ٣٤٠ .

(٤) ابن القطاع : ٢ / ٢٣٣ , وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ / ١٧٤ .

(٥) السرقسطي : ٣ / ٤٠٨ .

(٦) المصدر السابق : ٣ / ٢١٤ , وابن منظور (نبص) ٧ / ٩٥ .

(٧) السرقسطي : ٣ / ٤٩٠ , وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ / ١٢٢ .

(٨) ابن القوطية : ١٤١ , والسرقسطي : ٤ / ٩ , وابن القطاع : ٢ / ٤٧٩ .

(٩) السرقسطي : ١٨٢/٤ .

(١٠) ابن القوطية : ١١٠ , والسرقسطي : ٣ / ١٣٨ , وابن القطاع : ٢٢٧/٣ , ٢٥١ , وانظر: الفراهيدي , العين (نشص) ٢٢٦/٦ , وأبو الطيب اللغوي , الإبدال: ٢ / ١٢٤ , وابن منظور (نشص) ٧ / ٩٧ .

(١١) السرقسطي : ٢٦٣/٤ , وابن القطاع : ٣ / ٣١٤ .

وقد عمل قانون السهولة والتيسير على تحويل صوت الضاد الصعب إلى صوت الصاد الذي يُعدّ أقل صعوبة منه لخلوّه من صفة الجانبية التي اتصف بها نطق الضاد القديمة . وربما كان للتصحيف أيضاً دورٌ في ظهور بعض الأمثلة الواردة بالصوتين .

و وردَ في معاجم الأفعال أمثلة جاءت بالصاد وبالضاد أيضاً, منها : بضَّ الماء وبصَّ بمعنى سال وجرى [١] , وصَفَنَ الأرض وضفنها : ضربها برجله [٢]. وضَمَخْتُ أنفه وصَمختُه :كسرته [٣], وناص وناض : نحا هارباً [٤] .

ومما اختلفت فيه الضاد عن الظاء صفة الجانبية التي تشبه فيها اللام , إذ أكسبتها صعوبة نطقية تميزها على بقية الأصوات المفخمة .ولكن مخرجي الصوتين متقاربان ؛ لذا كان من السهل انتقال مخرج أحدهما إلى مخرج الآخر , ويغلب أن يحدث هذا الانتقال من الصعب إلى السهل , ولعل الظاء أسهل نطقاً من الضاد القديمة , مع أنها تحتاج أيضاً إلى جهدٍ واضحٍ لوضع اللسان بين الأسنان , إلا أنه لا يبلغ الجهد المبذول لنطق صوت الضاد القديمة ؛ فانتقل الناطق العربي بالضاد من صفة الجانبية إلى صفة الأمامية مع الاحتفاظ بصفة الاحتكاك التي قرّبته من صوت الظاء , فلم يبق على الناطق إلا أن يُخرج لسانه من بين الأسنان ؛ فتصير الضاد ظاء [٥] .

وقد ذهب إبراهيم أنيس إلى أن فريقاً من العرب كان يخلط بين الصوتين لاشتراكهما في بعض النواحي الصوتية , أو لأن وقعهما في الآذان كان متشابهاً [٦] .

و سجلت معاجم الأفعال أمثلة على تبادل هذين الصوتين , منها : بضَّ الأوتار وبظّها بمعنى حرّكها لتصوّت [٧] , والظاء عند بعض العلماء أحسن [٨], وحَضِلت

(١) السرقسطي : ٤ / ١٠١ – ١٠٢ وابن القطاع : ١ /٩٨ .
(٢) ابن القطاع : ٢ / ٢٤٣ .
(٣) السرقسطي : ٢ / ٢٢٧ .
(٤) ابن القطاع : ٣ / ٢٧٥ , وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ / ٢٤٣ .
(٥) آمنة الزعبي , التغير التاريخي للأصوات في العربية واللغات السامية , دراسة مقارنة , ٢٣٦ – ٢٣٧ .
(٦) إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ٥٤ – ٥٥ .
(٧) ابن القطاع : ١ /٩٨ .
(٨) ابن منظور (بضض) ٧/ ١١٩ ,و(بظظ) ٧ / ٤٣٦ .

النخلة وحَضَلت مثل حَظِلت بمعنى فسد أصول سعفها وليفها [١], وعظهم الزمان مثل عَضَّهم [٢], وغير ذلك .

وقد يحدث الإبدال الصوتي بين الزاي والضاد , وحفظت معاجم الأفعال أمثلة قليلة على ذلك , منها : ضَغَدَ حلقه: عصره , مثل زَغَدَه [٣], ونهزت الناقة بصدرها :إذا نهضت لتسير, ونهز الرجل بنفسه : نهض [٤], و(وخضه) الشيب و وخزه و وخضه بالرمح ووخزه أيضاً : طعنه , وقيل : الوخز طعن غير نافذ [٥], ولعل ذلك من باب تخصيص الدلالة.

كما سجلت معاجم الأفعال حالات نادرة لتبدل صوت الضاد مع بعض الأصوات , التي تشاركه في المخرج أو تقاربه فيه , نحو تبدّله مع صوت الدال في : فاضَت النفس : خرجت ,وهي لغة تميم . وفاد الرجل بمعنى مات [٦] , ونهض إلى الشيء ونَهَدَ إليه [٧] , وقد تدخل قانون السهولة والتيسير في هذا الإبدال , فالدال المرققة أسهل نطقاً من الضاد المفخمة , وتنطق الآن الضاد القديمة المجهورة العسيرة النطق دالاً مفخمة [٨] .

وحدث تبدّل صوتي آخر بين الضاد والتاء في الفعل (ضلَّ) , فوردَ : تلَّ تلالاً وتلالة مثل ضلَّ [٩] . وحدث تبدّل أيضاً بينه وبين الطاء , نحو : وخَضَه الشيب و وخطه بمعنى خالطه [١٠] .

---

(١) ابن القطاع : ١ / ٢٣٧ , وانظر: البطليوسي , الفرق بين الحروف الخمسة : ١٨٤ .

(٢) ابن القوطية : ١٨٧ , والسرقسطي : ١ / ٢٥٧ , وابن القطاع : ٣٨٩/٢ , وانظر : البطليوسي , الفرق بين الحروف الخمسة : ١٦٣, ١٨٥ .

(٣) السرقسطي : ٢ / ٢٣١ .

(٤) المصدر السابق : ٣ / ١٨٠ – ١٨١ .

(٥) نفسه : ٤ / ٢٦٣ ,وابن القطاع : ٣ / ٣١٤ , و انظر: أبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ / ١٣٦ .

(٦) السرقسطي : ٤ / ٣٣ , ٣٤ .

(٧) ابن القوطية , ١٠٨ وابن القطاع : ٣ / ٢١٤ والسرقسطي : ٣ / ١٢٩ .

(٨) كانتينو , دروس في علم أصوات العربية , ٨٧ , ومحيي الدين رمضان , في صوتيات العربية , ١٢٢ , ومحمد شيت الخيّاوي , ما رأي المجامع والمختصين في مزج الضاد بالظاء ؟! ٢٠٤ , مجلة اللسان العربي , العدد (٣١) , ١٩٨٨.

(٩) السرقسطي : ٣ / ٣٥٥, وابن القطاع : ١ /١٢٢.

(١٠) السرقسطي : ٤ / ٢٦٣ , وابن القطاع : ٣ / ٣١٤ .

وسجلت معاجم الأفعال أيضاً أمثلة قليلة جداً على تبدّل صوتي : الضاد والذال , نحو : عَذْيَطَ الرجل وعَضْيَطَ [١], ونَبَضَ العِرقْ ونَبَذ بمعنى تحرّك [٢] . وذكر البطليوسي " نَبَضَ العِرقْ فهو نابض ونبذ فهو نابذ لا أعرف غيره " [٣] . وربما حدث هذا الإبدال بعد سلسلة طويلة من التطورات , على النحو الآتي :

nabaḍa > nabaża > nabaza > nabaḏa

نبذ نبز نبظ نبض

فنطقت الضاد ظاءً تيسيراً , ثم نطقت الظاء بدورها زاياً تيسيراً أيضاً , ثم أرادوا إعادة الزاي إلى أصلها , فتوهموا أنه الذال , فنطقوها ذالاً .

ونُطق الفعل (وخَضَ) بصور نطقية متعددة , مع ثبات المعنى , فنطق بالطاء والضاد والزاي والصاد [٤] , وذكر أيضاً ابن القوطية أنه ينطق بالذال : " ووخضَه الشيب وَوَخطه ووخَذَه –و خْضاً و وخْطاً , ووخْذاً , وبالرمح :طعنه – إلا أن الوخذ : طعن غير نافذ "[٥] . وربما حدث التطور فيه على النحو الآتي :

Waḫaḍa > Waḫaṭa >Waḫada > Waḫaḏa > Waḫaza

وخز وخذ وخد وخط وخض

أي أُبدلت الضاد طاءً , ثم أُبدلت الطاء دالاً تيسيراً , وهذا تقره أيضاً القوانين الصوتية . ثم أرادوا إعادة الدال إلى أصلها فتوهموا أنه الذال , وربما أُبدلت الذال في مرحلة متأخرة زاياً , بتأثير قانون السهولة والتيسير .

هـ. تبدّلات الأصوات بين الأسنانية :

وتضم الأصوات بين الأسنانية : الذال والثاء والظاء , وتوصف بأنها صعبة النطق بسبب الجهد العضلي المبذول لوضع مقدمة اللسان بين الأسنان ,ومن الطبيعي أن يميل الإنسان إلى التخلص من الأصوات الصعبة لينطق بدلاً منها ما هو أسهل .

---

(١) ابن القطاع : ٢ / ٤٠٩ .

(٢) السرقسطي : ٣ / ١٩٦ , وابن القطاع : ٣ / ٢٤٨ .

(٣) البطليوسي , الفرق بين الحروف الخمسة : ٢٤٠ و انظر: المصدر السابق ٢٣٢, والسيوطي , المزهر : ٢ /٩٤ .

(٤) السرقسطي : ٤ / ٢٦٣ , وابن القطاع : ٣ / ٣١٤ .

(٥) ابن القوطية , ٣٠١ – ٣٠٢ .

وظهر نزوع الأصوات بين الأسنانية إلى التحول منذ القدم , بنقل المخرج إلى ما وراء الأسنان [١] وربما كان ذلك بتأثير التطور الحضاري وميل بعض المجتمعات المدنية إلى عدم إظهار اللسان في أثناء الكلام . ومما لا خلاف فيه أن هذه الأصوات احتكاكية (رخوة) , وعند تسهيل نطقها بإرجاع اللسان إلى الخلف تفقد هذه الصفة , فتتحول إلى نظائرها الانفجارية (الشديدة) وهي : التاء والدال والضاد . وقد تحتفظ بها فتتحول إلى نظائرها الصفيرية : السين والزاي والزاي المفخمة [٢] .

ويرى بعض المحدثين أن الصوت الانفجاري (الشديد) أسهل نطقاً من الصوت الاحتكاكي (الرخو) [٣] . وهذا يدعم نزوع الأصوات بين الأسنانية إلى التحول إلى نظائرها الشديدة , المذكورة سابقاً بتأثير قانون السهولة والتيسير .

وقد تتحول الأصوات بين الأسنانية أيضاً , بتأثير قانون السهولة والتيسير , بتقديم مخرجها من بين الأسنان إلى الشفتين , أو الشفتين والأسنان . والميل إلى التخلص من الأصوات بين الأسنانية له جذور سامية قديمة [٤] .

ومن التغييرات التاريخية لهذه المجموعة من الأصوات , والواردة في معاجم الأفعال ما يأتي :

١. الذال والدال
٢. الذال والزاي
٣. حالات نادرة للذال مع السين والثاء والفاء والظاء
٤. الثاء والتاء
٥. الثاء والسين
٦. الثاء والفاء
٧. الظاء والطاء
٨. الظاء والزاي
٩. حالات نادرة للظاء مع الصاد والثاء

---

(١) كانتينو , دروس في علم أصوات العربية , ٦٥ ,ورمضان عبد التواب , التطور اللغوي : ٥٢ .

(٢) إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ٢٠٨ ,ورمضان عبد التواب , لحن العامة والتطور اللغوي , ٤٦.

(٣) انظر: إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ٢٣٦ , وقد علل فيه سهولة الأصوات الانفجارية مقارنة بالاحتكاكية , وأيده في ذلك محمد الخولي في كتابه " الأصوات اللغوية " ص ١٢٣ – ١٢٤ وعبد العزيز مطر في كتابه " لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة " ٢٢٧ , وعدّه رمضان عبد التواب في كتابه " لحن العامة والتطور اللغوي " ٤٦ وهماً وقع فيه إبراهيم أنيس .

(٤) بروكلمان , فقه اللغات السامية , ١٧ , ٢٢ , ٣٢ ورمضان عبد التواب , التطور اللغوي , ٥٤ وصلاح الدين حسنين , المدخل إلى علم الأصوات, ١١٥ – ١٢٢ , وآمنة الزعبي , التغير التاريخي للأصوات في العربية واللغات السامية , ١٥٧ – ١٩٨ .

مالت اللغات السامية عامةً إلى إرجاع مخرج الذال إلى الخلف, ليتحول صوت الذال دالاً [١] , اقتصاداً في المجهود العضلي المبذول عند النطق به[٢], ومع أن العربية احتفظت بالذال فقد تعرض فيها لبعض التغييرات التاريخية المقيدة بعدد من الكلمات , ومن ذلك تبدله مع صوت الدال , الذي يسوغه القرب المخرجي بينهما, وتدخل قانون السهولة والتيسير , فالدال أسهل نطقاً من الذال التي تحتاج إلى وضع مقدمة اللسان بين الأسنان . وربما عُدّت أيضاً بعض أمثلة هذا الإبدال من باب التصحيف.

وحفظت معاجم الأفعال أمثلة على هذا التبادل , منها دأفْتُ على الأسير وذأفْتُ : بمعنى أجهزت عليه [٣] . وذَحَجَهُ ودَحَجَهُ : عركه , والذال أفصح [٤]. وادْرعفّت الإبل واذْرعفّت : إذا مضت على وجوهها [٥] , وذَعَته ودَعَته : دفعه دفْعاً عنيفاً [٦] . وغير ذلك .

و قد ينتقل مخرج الذال إلى الوراء قليلاً مع احتفاظ الصوت بجهره واحتكاكه , وعندئذ يتحول إلى الزاي . ومع احتفاظ العربية بصوت الذال منذ القدم , فإنها مالت أيضاً إلى إبداله , اقتصاداً في المجهود المبذول عند نطقه , كغيرها من الساميّات , ولكنه ظلّ في حدود التغير الصوتي المقيّد [٧] .

ومن أمثلة هذا الإبدال في معاجم الأفعال : بَزَرَ الحبّ للزراعة وبَذَره : إذا فَرَّقه [٨] , وحَذَذْتُ الشيءَ وحَزَزْته بمعنى قطعته [٩], ولذم بالشيء لزمه [١٠], وغير ذلك .

ومن الملاحظ أن أمثلة إبدال الذال زاياً قليلة مقارنة بأمثلة إبدالها دالاً , ولعل السبب في ذلك سهولة نطق الدال مقارنة بالزاي , فالدال وقفية , والزاي احتكاكية , والصوت الوقفي – كما ورد سابقاً – أسهل من الصوت الاحتكاكي .

---

(١) بروكلمان , فقه اللغات السامية : ٢٢, ٥٠ .

(٢) المرجع السابق : ٢٢ , ٥٠ وبيرجشتراسر , التطور النحوي ٣٧ وصلاح الدين حسنين, المدخل إلى علم الأصوات , ١١٩ – ١٢٠

(٤) ابن القطاع : ١ / ٣٦٨ .

(٤) ابن القوطية , ٢٧٦ والسرقسطي : ٣ / ٣٢٥ , ٦٠٠ , وابن القطاع : ١ /٣٥٧ .

(٥) السرقسطي : ٣ / ٣٥٠,وابن القطاع : ١ / ٣٨٤ ,وابن السكيت , الإبدال , ١٤٠ ,والسيوطي , المزهر : ١ / ٥٤٥ .

(٦) السرقسطي : ٣ / ٣٢٤ , ٥٩٩ .

(٧) بروكلمان , فقه اللغات السامية , ٢٢ , ٥٠ ,ورمضان عبد التواب , التطور اللغوي , ٥٤ , وصلاح الدين حسنين , المدخل إلى علم الأصوات : ١١٩ – ١٢٠ .

(٨) السرقسطي : ٤ /١٠٨ وانظر : أبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ /٧.

(٩) ابن القطاع : ١ / ٢٤٨ .

(١٠) ابن القوطية , ٢٥٠ والسرقسطي : ٢ / ٤١٤ , وابن القطاع : ٣ /١١٨ .

وإبدال الذال دالاً أو زياً ظاهرة لهجية قديمة امتدت إلى اللـــهجات العربيـــة المعاصرة وخاصة في المدن , إذ ظهر أثر التمدن ومحاكاة فئة معينة مـــن النـــاس , تسهيلاً للتواصل الاجتماعي , إذ أخضع بعض الناطقين لغتهم لمقاييس لغة (لهجة) مـــن تواصلوا معهم , فأسهم ذلك في حدوث الإبدال . ولعل ظاهرة إبدال الـــذال زايـــاً ظاهرة معاصرة أكثر من كونها قديمة , أما ظاهرة إبـــدالها دالاً فظـــاهرة قديمـــة , استمرت أيضاً في العصر الحالي .

و سجلت معاجم الأفعال أمثلة نادرة على تبدّل الذال مع بعض الأصـــوات التي تشاركها في المخرج , مثل الثاء , ومنها : كَذَحَتْه الريح وكثحته بمعـــنى ســـفت عليـــه التـــراب أو نازعتـــه ثيابه [١] .وهو إبدال تقرّه القوانين الصوتية , فالـــذال هي النظير المجهور للثاء [٢] . ولا يمكن جعل هذا الإبدال من باب السهولة والتيسير ؛ لأن كلا الصوتين صعب النطق يحتاج إلى جهدٍ نطقيّ لوضع اللسان بين الأســـنان , إلا إذا كانت صفة الجهر تضفي نوعاً من الصعوبة لما تتطلبه مـــن اهتـــزاز الـــوترين الصوتيين . وربما حدث هذا التبدّل نتيجة تقليل الوضوح السمعي [٣] في أثناء نطق الذال ؛ أي تقليل إجهار الذال فتوهّم السامع أنها ثاء , فنقلها كما توهم ,وربما أبدلت الذال ثاءً تأثراً ببيئة الهمس المحيطة بها , فقلبت إلى نظيرها المهموس , وهو الثاء ,ولعل ندرة الأمثلة على هذا التبدّل في معاجم الأفعال مما يدعم هذا التفسير .

---

(١) السرقسطي : ٢/ ١٧٨ .

(٢) سيبويه : ٤/٤٣٣, ٤٣٤ –٤٣٥ وإبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ٤٧ .

(٣) محمد الخولي , الأصوات اللغوية , ٤٦ ,وأحمد مختار عمر , دراسة الصوت اللغوي , ٣٤٢.

وتعاقبت الذال مع الظاء أيضاً في حنظى وحَنْذى وعَنْظى وعنـــذى , بمعـــــنى تكلم بالفحش [١] . وأمر تعاقبهما ممكـــن , إذ الفرق الوحيد بينهما هـــو التفخـــيم في الظاء [٢], لذا فالمرجّح أنّ الظاء هي التي أبدلت ذالاً تخلصاً من صفة التفخيم .
وتعاقبت الذال مع السين في : ذاخ وساخ [٣]. وذَحَجَتْه الريح وسَحَجَته : إذا جرّته من موضع إلى موضع [٤], وهو مسوَّغٌ لاشتراك الأسنان في إنتاج كليهما .

و قد يتغير مخـــرج الثاء بإرجاع اللسان إلى ما وراء الأسنان قليلاً , ليتحـــول إلى نظيره الوقفـــي (الانفجاري) التاء , أو ليحتفظ برخاوته , فيتحول إلى السين , وقد يتغير بتقدم مخرجه إلى الشفتين , فيتحول إلى الفاء [٥] ,والتاء والسين والفـــاء أصوات مهموسة , وهذا يعني أنه احتفظ بصفة الهمس بالرغم من تغير مخرجه .
وصعوبة صوت الثاء تفسر ضياعه من كثير من اللغات السامية بوصـــفه فونيمـــاً أصلياً [٦], ومع أن العربية احتفظت به فونيماً أصلياً , فقد مالت إلى تسهيل نطقه بقلبه تاءً أو سيناً منذ القدم , واستمر هذا الميل حتى أصـــبح ظـــاهرة بـــارزة في اللهجات المعاصرة .

وسجلت معاجم الأفعال أمثلة تعاقبت فيها الثاء والتاء,منها : تاخ العجين وثاخ , وتخَّ وثخَّ بمعنى أكثر ماءه حتى يسترخي , والتاء أعلى , ووردَ بالمعنى نفسه ساخ [٧] . وَعَرَتَ أنفَه وعرثَه بمعنى دلكه [٨]. وكَتَحْتُ الستر وكَتَحْتُه : كشفته . [٩].. الخ .

---

(١) ابن القطاع : ٢ / ٤٠٧, و انظر : ابن منظور (حنظ) و (خنظ) ٧ /٤٤٣ .
(٢) إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ٤٧.
(٣) ابن القوطية : ٢٧٣ , والسرقسطي : ٣ / ٦٠٧ ,وابن القطاع : ١ / ٣٩٦ .
(٤) السرقسطي : ٣ / ٦٠٠ .
(٥) رمضان عبد التواب , التطور اللغوي , ٥٢ , ولحن العامة والتطور اللغوي : ٤٥ – ٤٦ .
(٦) انظر : بروكلمان , فقه اللغات السامية , ٢٢ وبيرجشتراسر , التطور النحوي : ٣٧ , وصلاح الدين حسنين , المدخل إلى علم الأصوات: ١١٥ – ١١٦ .
(٧) ابن القوطية , ٢٨٤ ,والسرقسطي : ٣ / ٣٥٣ , ٣٦٩ , وابن القطاع : ١٢٦/١ و ابن منظور (تخخ) ٣ /١٠ .
(٨) ابن القطاع : ٢ / ٣٦٤ .
(٩) ابن القوطية , ٢٢٦ , والسرقسطي : ٢ / ١٧٨ و ابن منظور (كتح) و (كثح) ٢ / ٥٦٩ .

وقد يُفسر هذا التعاقب – كما ذُكر سابقاً – بميل الناطق إلى تسهيل نطق الثاء بإبدالها تاءً ,وربما أُبدلت التاء في بعض هذه الأمثلة ثاءً, وهذا ما لا يمكن تفسيره بقانون السهولة والتيسير , فالثاء أصعب نطقاً من التاء , ويمكن تفسيره بأنه من آثار التصحيف , أو من آثار الحذلقة والتفصّح أو ما يُسمى بالمبالغة في التصويب, ثم امتد هذا الميل إلى اللهجات المعاصرة , حتى صار ظاهرة بارزة , لا سيمّا في اللهجات الحضرية .

كما تغير صوت الثاء في بعض الأنماط اللغوية , برجوع مخرجه إلى الخلف , مع الاحتفاظ بصفة الاحتكاكية , فأصبح صوتاً لثوياً احتكاكياً مهموساً , وهو صوت السين [١], سعياً إلى التخلص من الصعوبة الناجمة عن وضع مقدمة اللسان بين الأسنان . وربما حدث هذا الإبدال بسبب التأثر بالحبشية , التي نقلها بعض الأحباش إلى الجزيرة العربية , والتي تنطق الثاء سيناً [٢] .

وقد حفظت معاجم الأفعال أمثلة قليلة على هذا التغير , منها أسْجَمَت السماء , صبّت مثل أثجمت [٣] , وكَتَحْتُ الشيء وكَسَحْتُه : جمعته وجَرَفْته [٤] . ولَيِث الشجاع وليَس : أقدم فلا يروعه شيء [٥], وغير ذلك .

ولا تعدّ ظاهرة إبدال الثاء سيناً بارزة بروز ظاهرة إبدال الثاء تاءً في معاجم الأفعال,ومع أن إبدال الثاء سيناً ظاهرة بارزة في بعض لهجاتنا المعاصرة , فإنها لم تشع شيوع ظاهرة إبدال الثاء تاءً , لذا يُعَدّ إبدال الثاء تاءً ظاهرة قديمة , استمرّت حتى هذا العصر , وإبدال الثاء سيناً ظاهرة كثيرة الشيوع الآن , ولها جذور قديمة .

---

(١) انظر : كمال بشر , علم اللغة العام , الأصوات العربية ١٢٠.

(٢) تمام حسان, مناهج البحث في اللغة , ١٢٨ ,ومحمود السعران ,علم اللغة ,مقدمة للقارئ العربي , ١٧٥ , ورمضان عبد التواب , التطور اللغوي , ٥٢ – ٥٣ .

(٣) ابن القطاع : ٢ / ١٤٥ و انظر: ابن منظور (سجم) ١٢ / ٢٨١ , و(ثجم) ١٢ / ٧٦ .

(٤) السرقسطي : ٢ / ١٧٨ وانظر : ابن منظور (كسح) ٢ / ٥٧١ .

(٥) ابن القوطية , ٢٥٠.

وقد يتقدم مخرج صوت الثاء إلى الأمام فيتجه نحو الشفتين , ليصبح شفوياً أسنانياً , مع بقاء صفتي الاحتكاك والهمس فيه , وهذا مخرج صوت الفاء , وتلك صفاته , أي يتحول صوت الثاء إلى الفاء .

وهذا هو السبب في التطور الصوتي للثاء نحو الفاء عند إبراهيم أنيس [١] , في حين يرى رمضان عبد التواب أنه ناشئ عن الأخطاء السمعية لشدة تقارب هذين الصوتين , وعدم وضوح الفرق بينهما في السمع تماماً [٢] ,ويرى محمد الأنطاكي أنه إبدال سماعي كان في أصله لهجياً تاريخياً , ثم تحوّل إلى الفصحى بعض الكلمات التي أصابها هذا التطور فحُفظت , ولم يُقَس عليها [٣] .

وقد سجلت معاجم الأفعال أمثلة قليلة على هذا التطور التاريخي , منها : جَثَلَتْه الريح مثل جَفَلَتْه [٤], ودَلَث الشيخ مثل دَلَف [٥] , إذا مشى مشياً ضعيفاً شبيهاً بالرقص [٦] . ولَثْلَثَ الرجل كلامه ولَفْلَفه : إذا ثقل لسانه ولم يُبيّن كلامه [٧] .

وربما تحولت الفاء إلى الثاء في بعض هذه الأمثلة , وهو تحول تقره القوانين الصوتية , لقرب مخرجيهما , ولاتفاقهما في صفتي الجهر والهمس .

كما ظهر ميل إلى تسهيل نطق صوت الظاء بإرجاع اللسان إلى الخلف , ليتحول تحولاً مقيّداً إلى نظيره الانفجاري الطاء أو إلى الزاي المفخمة , محتفظاً بما فيه من احتكاك . وقد ظهر نزوع الظاء إلى التبدّلات منذ القدم " فضاع من حلقة الخطوط

---

(١) انظر: إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية : ١٥٩ – ١٦٠ .

(٢) انظر: رمضان عبد التواب , لحن العامة والتطور اللغوي , ٣٧.

(٣) محمد الأنطاكي , المحيط في أصوات العربية , ١١٦.

(٤) السرقسطي : ٢/ ٣٠١ .

(٥) ابن القطاع : ١ /٣٤١ , و انظر: ابن السكيت , الإبدال : ١٢٧ , وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ١/ ١٩١ .

(٦) ابن منظور (دلث) ٢ / ١٤٨ و (دلف) ٩ / ١٠٦ .

(٧) السرقسطي : ٢ /٤٧٧ .

السامية " [١] .

فقد تُبدل الظاء طاءً مجهورة [٢] لقرب مخرجيهما , ولاشتراكهما في صفتي التفخيم والجهر , إذ تدخّل قانون السهولة والتيسير , فنطق الطاء أسهل من نطق الظاء , والطاء وقفية والظاء احتكاكية , والصوت الوقفي – كما أُشير سابقاً – أسهل من الصوت الاحتكاكي, وربما كان للتصحيف أيضاً دور في هذا الإبدال أو التطور .

وحفظت معاجم الأفعال أمثلة على هذا التطور , منها : خطرف الرجل في مشيته, أي ارتخى , وبالظاء أيضاً لغة [٣] .واعْظَأَلَّ الشيءُ واعطألَّ :ركب بعضه بعضاً [٤], والْتَمَط فلان بحقّي : إذا ابتلعه , وذهب به , ورُوي بالظاء المعجمة [٥]. وغير ذلك .

ذُكر سابقاً أنه قد ينتقل مخرج الظاء إلى الوراء قليلاً , مع احتفاظ الصوت برخاوته وتفخيمه , وعند ذلك يتحول إلى الزاي المفخمة , فكما أن الثاء تتحول إلى السين برجوع اللسان إلى الوراء , تتحول الظاء إلى مجهور السين (الزاي) مع المحافظة على صفة التفخيم , ميلاً إلى التخلص من الجهد المبذول عند وضع اللسان بين الأسنان , فصوت الزاي أسهل نطقاً من الظاء , فهو أسناني لثوي لا يحتاج إلى ذلك الجهد النطقي الذي يحتاج إليه صوت الظاء [٦] .

وقد حفظت معاجم الأفعال أمثلة قليلة جداً على هذا التطور , منها : نَشَزَ ونَشَظَ

---

(١) صلاح الدين حسنين , دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن , ٢٣٣ و كانتينو , دروس في علم أصوات العربية ٦٥.

(٢) وهي الطاء القديمة التي وصفها سيبويه , وأما الطاء الحديثة فهي مهموسة .

(٣) ابن القطاع : ١ / ٣٣١ و انظر: ابن منظور (خطرف) ٩ / ٧٩ .

(٤) ابن القطاع : ٢ / ٤٤٩ .

(٥) السرقسطي : ٢ / ٤٧٩ .

(٦) رمضان عبد التواب , التطور اللغوي , ٥٢ – ٥٣ و انظر: في صفة صوت الزاي : تمام حسان , مناهج البحث في اللغة , ١٢٧ – ١٢٨ , ومحيي الدين رمضان , في صوتيات العربية , ١٤٦ – ١٤٧ .

بمعنى ارتفع [١], ودَعَظَ ودَعَزَ بمعنى نكح [٢] . وظنّ وزنٌ [٣], وقد أنشد أبو عثمان السرقسطي [٤] :

لا يُزَنّون في العشيرة بالسَّوْ ءِ ولا يُفْسِدونَ ما يُصلحونا

وبذلك تطورت الظاء زاياً مفخمة في المستوى المنطوق , ثم انتقلت إلى المستوى المكتوب زاياً , دون توضيح لتفخيم أو ترقيق , لعدم وجود رمز كتابي للزاي المفخمة في العربية .

و سجلت معاجم الأفعال حالات نادرة على تبدّل صوت الظاء مع الثاء , منها : أَلظّ المطر وألثَّ بمعنى دام [٥], وكَعْظَل وكَعْثَل للعَدْو البطيء الثقيل [٦] , وربما فُسِّر هذا التطور على أنه من باب السهولة والتيسير , فكلا الصوتين احتكاكي , يخرج من بين الأسنان,ولكن الظاء صوت مفخم , والثاء صوت مرقق ,والترقيق أسهل من التفخيم , فمن الطبيعي أن يسعى الناطق إلى شيء من التسهيل في نطقه , فيغير الظاء ثاءً.

و يكاد يندر تطور الظاء إلى الصاد في معاجم الأفعال ,إذ وردَ فيها:مظع الخشبة ومصَعها : أخرج نُدوَّتَهَا [٧]. والصاد صوت لثوي مهموس مفخم , والظاء صوت بين أسناني مجهور مفخم , فكلا الصوتين صعب في نطقه , لذا كان أمر تبدّلهما نادراً .

و. تبدّلات الأصوات الشفوية :

تضم الأصوات الشفوية : الباء والميم والواو , وتخرج من الشفتين [٨] . وتشترك الشفتان أيضاً مع الثنايا العليا في إنتاج صوت الفاء [٩], وهذه الأصوات ليست صعبة النطق ؛ لذا فالمسوّغ لتبدلها مع بعضها هو القرب المخرجي .

---

(١) السرقسطي : ٣ /٢٠٠.

(٢) المصدر السابق : ٣ / ٣٢٤ , وابن القطاع : ١ /٣٥٨ .

(٣) ابن القوطية , ١٣٧ ,و السرقسطي : ٣ / ٤٣٨ ,وابن القطاع : ٢ /٩٩ .

(٤) السرقسطي : ٣ / ٤٣٨ .

(٥) المصدر السابق : ٢ / ٤٧٢.

(٦) نفسه : ٢ / ١٩٦ – ١٩٧ .

(٧) ابن القطّاع : ٣ /١٧٧ .

(٨) محيي الدين رمضان , في صوتيات العربية , ١٦٠

(٩) المرجع السابق , ١٥٧ .

وسنبحث في الصفحات القادمة التغيرات الحادثة بين هذه الأصوات , والتغيرات الحـــادثة بينها و بين الأصوات الأخرى , لا سيما القريبة منها في المخرج , وهي الأصوات المائعة . وقد رصدت الدراسة التغيرات الآتية :

١. الميم والباء
٢. الميم والفاء
٣. الميم واللام
٤. الميم والنون
٥. الميم والراء
٦. الميم والياء
٧. الباء والفاء
٨. الباء والنون
٩. الواو والميم
١٠. الواو والنون
١١. الواو والراء

الميم صوت أنفي شفوي مجهور مائع [١],والباء صوت فموي شـــفوي مجهـــور انفجاري [٢], فهما يتفقان في أنهما شفويان مجهوران , إلا أن الهواء يخرج مع الأول مـــن الأنف , ومع الثاني من الفم , كما أن الباء صوت انفجاري , والميم صوت مائع .

وقد سجلت معاجم الأفعال أمثلة كثيرة على تعاقب هذين الصوتين , وهـــو تعاقب يمكن تفسيره بهذا القرب المخرجي بينهما , وربما كان لأخطاء السمع دورٌ في حدوث بعض أمثلته , ومن هذه الأمثلة : مَجِرَ وبَجِرَ : لم يَرْوَ من شرب المـــاء [٣], ومَخِقَت عينه وبَخِقت : إذا اعورّت وانْخَسَفَت [٤], وجَرْجَمْتُ اللقمـــة وجَرْجَبْتُهـــا : أكلتها [٥], وصَئِبَ من الماء وصَئِم : شَرِب ورَوِي [٦], وغير ذلك كثير .

---

(١) إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ٤٥ – ٤٦ .
(٢) انظر : المرجع السابق , ٤٥ ومحيي الدين رمضان , في صوتيات العربية , ١٦٠.
(٣) ابن القطاع : ٣ / ١٦٧ .
(٤) السرقسطي : ٤ / ٢٠٧ .
(٥) المصدر السابق : ٢ / ٣١٥.
(٦) ابن القوطية , ٢٤٤.

وأما الفاء فصوت شفوي أسناني احتكاكي مهموس [١], والميم صوت أنفي شفوي مائع مجهور , ولسهولة كلا الصوتين لا يُعَدّ تعاقبهما من باب السهولة والتيسير , بل من باب القرب المخرجي فقط , لذلك جاء هذا التعاقب مقيداً . وأمثلته قليلة إذا ما قورنت بأمثلة تعاقب الميم والباء , ولعل السبب هو أن درجة قرب مخرجي الميم والفاء ليست كدرجة قرب مخرجي الميم والباء .

ومن أمثلة تعاقب الميم والفاء في معاجم الأفعال : طمَر وطفَر بمعنى وثب [٢], وفرق بعضهم فجعل الفعل (طفر) للوثوب من أسفل إلى فوق , والفعل (طمر) للوثوب من فوق إلى أسفل [٣], ولعل ذلك من باب تخصيص الدلالة . وقَصِف الرجل انكسر عن النجدة , وأيضاً انكسرت ثنيته من النصف , لغة في قَصِمت [٤]. وحَمَش وحَفَش بمعنى جمع , وكذلك حَبَش [٥] .

و اللام صوت أسناني لثوي جانبيّ مجهور مائع [٦] , والميم صوت أنفي شفوي مجهور مائع ؛ لذا فهما مجهوران مائعان , ولعل هذا الاشتراك في بعض الصفات يفسر حدوث التعاقب بينهما , إذ لا يمكن أن يكون لقانون السهولة والتيسير دور فيه ؛ لأنهما سهلا النطق . ولعل ذلك يفسر قلة الأمثلة عليه في معاجم الأفعال , والتي منها : ذأمه وذألَه بمعنى طرده وحقَره [٧] , وعذَله وعذمه بمعنى لامه [٨] , وعسمطتُ الشيء و عسلطته خلطته [٩], وكلز الشيء وكمزه بمعنى جمعه [١٠] .

---

(١) انظر: إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية : ٤٦.

(٢) السرقسطي : ٣ / ٢٦٨, وابن القطاع : ٢ / ٢٩٥.

(٣) السرقسطي : ٢٦٨/٣.

(٤) ابن القطاع : ٣ / ٣٢ ,وانظر: ابن منظور (قصف) ٩ / ٢٨٣ .

(٥) ابن القطاع : ١ /٢٢٨ – ٢٢٩ .

(٦) انظر: إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ٦٤ , وكمال بشر , علم اللغة العام , الأصوات العربية , ١٢٩.

(٧) السرقسطي : ٣ / ٦٠٣ .

(٨) المصدر السابق (عذل) ١ / ٢٦٥ ,و (عذم) ١ / ٢٧١ .

(٩) ابن القطاع : ٢ / ٤٠٨.

(١٠) السرقسطي : ١٨٢/٢ وابن القطاع : ٣ / ٨٨ ,و انظر: أبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٣٨١/٢.

والنون صوت يشترك مع صوت الميم في أن مجرى هواء الصوت فيهما هو التجويف الأنفي , وفي أنهما مجهوران ومائعان [١], لذا أمكن تعاقبهما . ولا يتدخل قانون السهولة والتيسير في ذلك , لأن كلا الصوتين سهل النطق , وربما كان الخطأ في السمع أيضاً من الأسباب المُسْهمة في التعاقب .

وقد حفظت معاجم الأفعال مجموعة من الأمثلة على تعاقبهما , منها : دَهْنَجَ البعير ودهْمَجَ : إذا أسرع مع تقارب خطوٍ [٢], وشَخَنَ الرجل وشَخَمَ :إذا تهيأ للبكاء [٣], وعما وعنا بمعنى ذلّ وخضع [٤], وغام الرجل وغان بمعنى عطِش [٥], وغير ذلك .

و الراء صوت تكراري , كما أنه مجهور مائع [٦] . أما الميم فصوت شفوي أنفي مجهور مائع , وهذا يعني أن الصوتين يتباعدان في المخرج , ولا يتفقان إلا في الجهر , وفي كونهما مائعين , وهذا يقلل احتمال حدوث تعاقب بينهما , لولا أنهما من الأصوات المائعة .

ومن الأمثلة الواردة على تعاقبهما في معاجم الأفعال : دِيرَ بالرجل وأُديرَ به , و ديمَ به وأُديمَ به : مثل الدورا [٧] , وزأر الأسد وزأم : كرّر هديره [٨], وهرط في كلامه وهمط : خلط من الأباطيل [٩] .

---

(١) إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ٦٦ – ٦٧ ,ومحمد الخولي , الأصوات اللغوية , ٩٤.

(٢) السرقسطي : ٣ / ٣٤٥ ,و انظر: أبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ / ٤٢٧ , والسيوطي , المزهر : ١ / ٤٦٨ .

(٣) السرقسطي : ٣٧٨/٢.

(٤) ابن القطاع : ٢ / ٤٠٣ .

(٥) السرقسطي : ٢١/٢ و انظر: ابن منظور (غيم) ٤٤٦/١٢ ,و(غين) ٣١٦/١٣.

(٦) انظر: إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ٦٦ ,وكمال بشر , علم اللغة العام , الأصوات العربية , ١٢٩, ومحمد الخولي , الأصوات اللغوية ٩٥.

(٧) ابن القوطية , ١٢٣ ,و أبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ / ٨٥ .

(٨) ابن القوطية , ٢٨٨ , والسرقسطي : ٣ / ٤٥٥ , وابن القطاع : ٢ /١٠٣ .

(٩) السرقسطي (هرط) ١ / ١٥٥, و(همط) ١ /١٥٧ .

ومن الأمثلة على تعاقب الميم والياء في معاجم الأفعال ما يأتي : صَرَمْتُ الشيءَ وصَرَيْته بمعنى قَطَعْته [١] , وقعِم الأنف وقَعِيَ : إذا رجعت أرنبته إلى الخلف [٢], وقهِم عن الطعام وقَهِيَ : إذا لم يَشْتَهِ [٣] .

وحفظت معاجم الأفعال أمثلة على تعاقب صوتي الباء والفاء , منها أَبَزَ وأَفَزَ بمعنى قَفَزَ [٤],وشَسَفَ الشيءُ وشَسَب : يَبِسَ من الضُرّ [٥] . وقبَّ وقفَّ بمعنى يَبِس [٦]. وأنْسَبَتِ الريح : اشتدّ هبوبها , وساقت التراب مثل أنْسَفَتَ [٧].

كما أنّ النون صوت أنفي لثوي مجهور مائع , والباء صوت شفوي فموي , مجهور انفجاري؛ لذا فإمكان تعاقبهما قليل , وقد يكون هذا التعاقب من قبيل أخطاء السمع , وأمثلتهُ نادرة في معاجمَ الأفعال , منها : دَبَّخَ الرجل ودنَّخ : إذا نكّس رأسه [٨] , و خَبْعَجَ الرجل مشى مشياً متقارباً وكذلك بالنون [٩] .

وحفظت معاجم الأفعال بعض التغيرات لصوت الواو , إذا كان نصف حركة , منها : الواو والميم ,و الواو و النون , و الواو والراء , و الواو والياء

وقد درس تغير الواو والهمزة في فصلي:" المخالفة الصوتية في معاجم الأفعال " و" التبدلات غير القياسية في الهمزة وفي أصوات العلة " وفي الفصل الأخير درس أيضاً تعاقب الواو والياء .

يشترك صوتا الواو والميم في صفتي الشفوية والجهر,وقد سجلت معاجم الأفعال أمثلة قليلة على تعاقب هذين الصوتين, منها : جثا بمعنى توكّأ على ركبتيه , وكذلك جثم

---

(١) السرقسطي (صرم) ٣ / ٣٨٨ , (صري) ٣ / ٤٣٠ .
(٢) المصدر السابق (قعم) ٢ / ٨٩ , (قعي) ٢ / ٩٣ .
(٣) نفسه : ٥٤/٢ ,و أبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ / ٤٥١ – ٤٥٢ .
(٤) نفسه : ١ / ٩٨, وابن القطاع : ١ /٤١ .
(٥) السرقسطي : ٢ / ٣٧٤ – ٣٧٥ ,و انظر: الفراهيدي , العين (شسف) ٦ / ٢٢٩ , و الزجاجي , الإبدال والمعاقبة والنظائر , ٨٤
(٦) السرقسطي : ٢ / ٥٦ – ٥٧ .
(٧) المصدر السابق : ٣ / ١٤٠ .
(٨) نفسه : ٣ / ٣٤٩ ,وابن القطاع : ١ / ٣٨٢ .
(٩) ابن القطاع : ١ / ٣٣١ .

عليهما[١], و مَتَنَ بالمكان و وَتَنَ بمعنى أقام وثبت [٢],وَوَكد بالمكان ومكَدَ به بمعنى أقام به أيضاً [٣] .

ومن أمثلة تعاقب الواو والنون : دنَّخ و دوَّخ بمعنى ذلّل [٤], ونخز ووخز بمعنى طعن [٥], ونَشَرَ الخشبة ووشرها بمعنى شقّها [٦] , ووَكَتَ الأرض ونَكَتها : أثرّ فيها [٧].

وأمثلة تعاقب الواو والراء نادرة في معاجم الأفعال , منها أرشم البرق وأوْشم [٨],ورهسه ووهَسَه : وطئه وطأ شديداً [٩]. وربما كان للتحريف بين الواو والراء – وهو ممكن جداً – دورٌ في ذلك.

ز. تبدلات الأصوات المائعة :

تضم الأصوات المائعة اللام والراء والميم والنون , وتسمى عند علماء الغرب الأصوات المائعة أو السائلة, وتشترك في أنها متوسطة ليست بالشديدة ولا بالرخوة [١٠] , كما أنها تشترك في صفة الجهر , وفي وضوحها السمعي, فهي من أوضح الأصوات الساكنة في السمع , إذ تشبه في هذه الناحية أصوات اللين [١١] . وتشترك أيضاً في كثرة دورانها على الألسنة , وفي سهولتها, فهي لا تكلف الجهاز النطقي جهداً كبيراً [١٢], لذا كان أمر تعاقبها مما أقرّته القوانين الصوتية .

وتشترك أيضاً , اللام والراء والنون في قرب مخارجها [١٣], وسندرس فيما يأتي تحولات هذه الأصوات,أما الميم فقد درست تحولاتها مع الأصوات الشفوية .

---

(١) السرقسطي (جشم) ٢ / ٢٨٨ و(جثا) ٢ / ٣١١.
(٢) ابن القطاع (متن) ٣ / ١٨٩ , (وتن) ٣ / ٢٩٢ .
(٣) المصدر السابق (مكد) ٣ / ١٨١ , (وكد) ٣ / ٣٢٦ .
(٤) نفسه : ١ / ٣٨٢ .
(٥) نفسه (نخز) ٣ / ٢٦٥ , (وخز) ٣ / ٣١٤.
(٦) نفسه (نشر) ٣ / ٢١٨ , (وشر) ٣ / ٣١٣ .
(٧) نفسه (وكت) ٣ / ٣٢٦ , (نكت) ٣ / ٢٥٩ .
(٨) نفسه : ٢ / ٢٤ .
(٩) نفسه : ٢ /٥٠ .
(١٠) رمضان عبد التواب , المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : ٣٦ , وإبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية : ٢٤.
(١١) كمال بشر, علم اللغة العام , الأصوات العربية , ١٣١.
(١٢) إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ٢٥ , ٤٦ – ٤٧ , ٥٢ - ٥٦ .
(١٣) المرجع السابق , ٦٣.

و يشترك صوتا اللام والنون في أن كليهما صوت أسناني لثوي , وفي أنهما مجهوران ومائعان [١], لذا كان أمر تعاقبهما ممكناً , ولا يمكن جعل هذا التعاقب من باب السهولة والتيسير لأن اللام والنون من أسهل الأصوات .

وقد حفظت معاجم الأفعال أمثلة كثيرة على هذا التعاقب , منها : أتَنَ وأتل إذا قارب الخطو [٢], وأرْغَلْتُ الى فلان وأرْغنتُ بمعنى مِلْتُ [٣], وشَلّت العين الدمع مثل شَنَّته [٤], وهَتَلَ الدمع وهَتَن بمعنى تتابع [٥]. وغير ذلك من الأمثلة كثير .

كما يشترك صوتا اللام والراء في أنهما لثويان ومجهوران ومائعان, فتعاقبهما واردٌ وممكن , وقد يكون للسمع أيضاً دورٌ في بعض أمثلة هذا التعاقب,ولا يمكن جعل هذا التعاقب من باب السهولة والتيسير , فكلا الصوتين سهل .

وقد حفظت معاجم الأفعال كثيراً من أمثلة هذا التعاقب , منها : دارت دوائر الدهر ودالت [٦], ولَثَدْتُ المتاعَ مثل رَثَدْتُه [٧], وأرْدمَت عليه الحُمّى وألدمت : أقامت [٨], وسَدَلَ الشعر وسَدَره : أرخاه [٩] .

قد تتعاقب الراء مع النون لقرب مخرجيهما , ولأنهما مائعان ومجهوران .

وليس الهدف منه السهولة والتيسير , فكلاهما سهل النطق ,ولكن تندر أمثلته في معاجم الأفعال , ومنها : أرْغَفَ فلان وأنْغَف : أحدّ النظر [١٠] .

وقد تتعاقب اللام مع الياء , مع أن الياء ليست من الأصوات المائعة , فهي نصف حركة مجهورة . ومعظم أمثلة هذا التعاقب يمكن إرجاعها إلى ظاهرة المخالفة

---

(١) إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية : ٦٤ , ٦٦ ,وكمال بشر , علم اللغة العام , الأصوات العربية , ١٢٩ .

(٢) ابن القطاع : ١ /٣٨ ,وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ / ٣٩٥ ,وأبو علي القالي , والأمالي : ٢ / ٤٣, وابن منظور (أتل) ١١ / ٨ .

(٣) ابن القطاع : ٢ / ١٨ , وابن منظور (رغل) ١١ / ٢٩١ , و (رغن) ١٣ / ١٨٣ .

(٤) ابن القوطية , ٢٣٦ , السرقسطي : ٢ / ٣٦٥ , وابن القطاع :٢ / ٢١٣.

(٥) ابن القوطية , ١٨٣ و السرقسطي : ١ /١٥٨ والزجاجي , الإبدال والمعاقبة والنظائر , ٩٥ , وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ / ٣٨٢ , وأبو علي القالي , الأمالي : ٢ / ٤٢ , وابن منظور (هتل) ١١ /٦٨٨ – ٦٨٩ .

(٦) السرقسطي : ٣ / ٣٠٨ .

(٧) ابن القوطية , ٢٤٩ , و السرقسطي : ٢ / ٤٥٣ , وابن القطاع : ٣ / ١٢٩ , وأبو علي القالي , الأمالي : ١٤٥/٢ .

(٨) ابن القطاع : ٢ / ١٩ .

(٩) السرقسطي :٣ / ٥٤٧ – ٥٤٨ ,وابن القطاع : ٢ /١٣٨ , و الفراهيدي , العين (سدر) ٧ / ٢٢٤ ,والزجاجي , الإبدال والمعاقبة والنظائر , ٧٥, وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٧٢/٢ , وابن منظور (سدل) ١١ / ٣٣٣ .

(١٠) ابن القطاع : ٥٠/٢ , وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ /٧٥ .

الصوتية [١] , نحو غَلَّلْتُ الغالية وغَلَّيْتُ [٢] .إذ أثرت اللام المشددة في اللام الأخيرة فأسقطتها ,و عوض عنها بالياء .

أما ما لا يمكن إرجاعه إلى ظاهرة المخالفة الصوتية فهو نادر في معاجم الأفعال, منه : دألْت له ودأيْتُ له .بمعنى ختلته , وهو أن تخدعه لتصيده [٣] . وانْتفَلْتُ من الشيء بمعنى انْتَفَيْتُ [٤] .

******

وبناء على ما سبق يمكن أن نخلص من خلال عرض بعض أمثلة التبدل الصوتي التاريخي المقيد – إلى أن الإبدال الصوتي التاريخي عامل فاعل من عوامل نمو اللغة إذ أسهم في إغناء المعجم العربي بمداخل جديدة , وقد يكون هذا الإبدال في بدايته من باب التعدد اللهجي ثم تداخلت اللغات , فاختلطت وقد قصر المعجميون عندما جمعوا اللغة ووضعوا المعاجم , في نسبة كل نمط إلى القبيلة التي كانت تستعمله , وقد يكون حادثاً بفعل قوانين التطور اللغوي التي من أهمها قانون السهولة والتيسير , والاقتصاد اللغوي ؛ إذ تتخلص بفعله من الصعوبة الناجمة عن بعض الصفات الصوتية ,وقد يكون حادثاً بسبب الميل إلى تحقيق الوضوح السمعي , أو للمساعدة على تقوية النبر , كما يمكن رد بعض أمثلته إلى التصحيف أو التحريف أو الخطأ في السمع [٥] .

وقد تمكنت بعض هذه الأنماط المبدلة من دخول النظام الفصيح لتستعمل جنباً إلى جنب مع الأنماط الأصيلة , وربما سبب ذلك حدوث صراع بين هذه الأنماط الإستعمالية , تكون الغلبة فيه للأكثر شيوعاً في الاستعمال اللغوي [٦] .

---

(١) انظر: فصل المخالفة الصوتية من هذه الدراسة .

(٢) السرقسطي : ٢ / ٤٨ ,و انظر : أبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ / ٤١٩ .

(٣) السرقسطي : ٣ / ٣٣٦ ,و انظر : أبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ / ٤١٩.

(٤) السرقسطي : ٣ / ٢٤٥ , ٤ /٢٨٤,و ابن منظور (نفل) ٦٧٢/١١.

(٥) وللدكتور إسماعيل عمايرة جهود واضحة في تأصيل الجذور اللغوية في المعاجم العربية , وردّ كثير منها إلى أصل واحد , (انظر كتابه : تطبيقات في المناهج اللغوية : ١٣- ٦٧ , ٧٩ – ١٠١ .

(٦) وقد تناولت الباحثة رانيا الصرايرة ظاهرة صراع الأنماط اللغوية في رسالة ماجستير لها بعنوان " صراع الأنماط اللغوية ", إشراف الدكتور يحيى عبابنة , جامعة مؤته , وقد نشرت هذه الرسالة دار الشروق , عمان , عام ٢٠٠٢ م .

الفصـــــل الثـــــــاني

المخالفـــة الصوتيّة في معاجم الأفعال

يركز هذا الفصل على دراسة ظاهرة المخالفة الصوتية في معـــاجم الأفعـــال , وسبب حدوثها , مع بيان أثرها في إغناء المعاجم العربية بمداخل جديدة .

ويمكن تقسيمه على النحو الآتي :

١. مفهوم المخالفة الصوتية .

٢. تفسير هذه الظاهرة .

٣. أنواع المخالفة الصوتية في معاجم الأفعال .

١. مفهوم المخالفة الصوتية :

من مظاهر تفاعل الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ظاهرة المخالفة الصوتية , التي يُعمد إليها للفرار من ثقل اجتماع الصوتين المتماثلين . وقد فطن القدماء من علماء العربية إلى هذه الظاهرة , والأساس الذي تقوم عليه, فأطلقوا عليها تسميات مختلفة , مثل كراهية اجتماع المثلين أو كراهية التضعيف واستثقاله , أو كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد أو كراهية توالي الأمثال ...(١) .

وقد وردت إشارات دالّة على هذه الظاهرة الصوتية , منها مثلاً ما ذكره سيبويه تحت عنوان : (ما شذّ فأبدل مكان اللام الياء , لكراهية التضعيف , وليس بمطرد , وذلك قولك تَسرَّيْت , وتَظَنَّيْت و تقصَّيْت من القصّة , وأمْلَيْت) (٢) وسبب هذه الظاهرة – عنده – " أن التضعيف يثقل على ألسنتهم , وأن اختلاف الحروف أخفّ عليهم من أن يكون من موضع واحد" (٣) . ويرى المبّرد " أن التضعيف مستثقل , وأن رفع اللسان عنه مرّة واحدة , ثم العودة إليه , ليس كرفع اللسان عنه , وعن

الحرف الذي من مخرجه ولا فصل بينهما , فلذلك وجب . وقوم من العرب إذا وقع التضعيف أبدلوا الياء من الثاني لئلا يلتقي حرفان من جنس واحد ؛ لأن الكسرة بعض الياء , وأن الياء تغلب على الواو رابعة , فما فوقها حتى تصيرها ياء , لا يكون إلا ذلك ... ومن ذلك قولهم في : تقضَّضْت تقضِّيْت , وفي أمْلَلْت : أمليتُ , وكذلك تسرَّيْتُ في تَسَرَّرْتُ. والدليل على أن هذا إنما أُبدل لاستثقال التضعيف قولك : دينار , وقيراط , والأصل : دنّار , وقِرّاط , فأُبدلت الياء للكسرة , فلما فرَّقت بين المضاعفين رجع الأصل , فقلت : دنانير وقراريط وقُرَيْريط (٤).

وعقد ابن جنّي لها باباً أسماه " باب في العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف " , قال فيه : " اعلم أنَ هذا موضع يدفع ظاهره إلى أن يعرف غوره وحقيقته , وذلك أنه أمر يعرض للأمثال إذا ثقلت لتكريرها , فيترك الحرف إلى ما هو أثقل منه ليختلف اللفظان فيخفّا على اللسان " (١). و روى أبو الطيب اللغوي أمثلة على هذه الظاهرة منها : الخَدَنّق والخَدَرْنق من أسماء العنكبوت . وتَغَلَّلْتُ بالغالية , وتَغَلّيْتُ بها , وتَلَعّيْتُ من اللعاعة , والأصل تَلَعَّعْتُ , فقلبت العين ياءً (٢)...الخ . فالمخالفة الصوتية مظهر من مظاهر التخلص من توالي الأمثال .

أما المحدثون فأطلقوا على هذه الظاهرة مصطلحات , منها : المخالفة الصوتية والتخالف الصوتي , والمغايرة الصوتية , والتباين الصوتي (٣).

ويرى رمضان عبد التواب أن هذه الظاهرة تعمد إلى صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات , فتغير أحدهما إلى صوت آخر , يغلب أن يكون من أصوات العلّة الطويلة , أو من الأصوات المائعة , وهي (اللام والميم والنون والراء) (٤).

---

(١) انظر سيبويه : ٤ / ٤٢٤ والمبرد, المقتضب : ١ / ٢٤٦ وابن جني , الخصائص : ٢ /٨٩ وانظر : صلاح الدين حسنين , المدخل إلى علم الأصوات , ص ٨١ .

(٢) سيبويه : ٤ / ٤٢٤ .

(٣) المصدر السابق : ٤ / ٤١٧ .

(٤) المبرّد, المقتضب : ١ / ٢٤٦ .

وعرّفها صلاح الدين حسنين : أنها نزعة صوتين متشابهين إلى الاختلاف, مثل تحول الشين الثانية إلى سين في كلمة (شمش) لتصبح (شمس) ,وتحول الراء الأولى إلى ياء في كلمة (قرّاط)؛ لتصبح قيراط- والواو الأولى في(ووائق) إلى همزة لتصبح (أوائق) (٥) .

ويرى أحمد مختار عمر أنها " تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير الصوت المجاور , ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين "(٦).

وقد يفهم من تعريف أحمد مختار عمر السابق أنه يمكن التوسع في مفهوم المخالفة الصوتية , فهو غير محصور في إبدال أحد الصوتين المتماثلين .

ويرى بعض المحدثين (١) أن الحادث في المخالفة الصوتية إسقاط أحد المتماثلين والتعويض عنه بصوت يشترط فيه أن يكون بعيداً عن الصوت المتبقي ليتحقق الهدف من المخالفة الصوتية . وحُجَّتهم في ردّ قول من قال : إن المخالفة الصوتية هي إبدال أحد الحرفين المتماثلين حرفاً يغلب أن يكون من الأصوات الأنفية والتردّديّة (المائعة) أو من أصوات العلة الطويلة - هي أن الإبدال نوع من المماثلة , ولا يحدث إلا بين الأصوات المتقاربة في المخرج والصفة . فإذا افترضنا صحة قولهم أنّ (بلخص) مثلا ناشئة من بخَّصَ , فكيف نفسّر إبدال الخاء الأولى لاماً ولا قربَ بينهما يسوغ هذا الإبدال ؟! وعليه فالحادث هو سقوط الخاء الأولى والتعويض عنها بصوت من الأصوات الشائعة والسهلة , و هو صوت اللام , وإنني أرجّح هذا الرأي , ويدعم ذلك الأمثلة الواردة في معاجم الأفعال على تلك الظاهرة,وسأوضحها في موقع ورودها .

٢. تفسير الظاهرة :

المخالفة الصوتية ظاهرة موجودة في اللغات السامية (٢),و السبب فيها هو " أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة" (٣),

---

(١) ابن جني , الخصائص : ٣ / ٢٠ .

(٢) أبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢ / ٩٣ , ٤١٩ . ٣٢٥ .

(٣) انظر: رمضان عبد التواب , التطور اللغوي :٣٧ وأحمد مختار عمر , دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٩ ومحمد الخولي , الأصوات اللغوية , ٢٢١ وعلي عبد الواحد وافي , علم اللغة , ص ٢٩٩ – ٣٠٠ .

(٤) رمضان عبد التواب , التطور اللغوي , ٣٧ .

(٥) صلاح الدين حسنين , المدخل إلى علم الأصوات , ٨١ .

(٦) أحمد مختار عمر, دراسة الصوت اللغوي , ٣٢٩.

ولتيسير هذا المجهود العضلي يُخالف بينهما بسقوط أحدهما والتعويض عنه بصوت آخر, غالباً ما يكون من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهوداً عضلياً كاللام والميم , والنون والراء والواو والياء . وقد لوحظ في معاجم الأفعال أنه قد يخالف بصوت آخر ليس من الأصوات المائعة أو أصوات العلة, نـــــحو : بصَّصَ وبَصْبَصَ (٤), وغلَّلتُ من الغالية وغلَّفتُ (٥), وتَغَلْغَلَ بالغالية وتَغَلَّلَ (٦), وصَمْصَمَ السيف وصمَّمه (٧), وجثَّ وجأثَ (٨). وتجرثم وتجرجم (٩)... .

ويرى بيرجشتراسر أن العلة في المخالفة نفسيةٌ , نظيرها الخطأ في النطق " وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض , لأن النفس يوجد فيها قبل النطق للكلمة , تصوّرات الحركات اللازمة على ترتيبها , ويصعب عليها إعادة تصور بعينه بعد حصوله بمدّة قصيرة ,ومن هنا ينشأ الخطأ , إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرّر وتتابع فيها حروف متشابهة "(١).

وإذن يلزم المتكلم في نطق هذين المتماثلين جهدٌ عضليٌّ , يترتّب عليه مشقّة واضحة , فيسعى إلى التخلّص من هذه المشقّة بإسقاط أحدهما والتعويض عنه بصوت آخر يختلف عنه في صفاته ,و بهذا تكون المخالفة مظهراً من مظاهر الاقتصاد اللغوي أو

---

(١) انظر : فوزي الشايب , أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية (رسالة دكتوراه) : ٣٧٢ – ٣٧٣ , عمر يوسف عكاشة , الفعل الرباعي في لسان العرب , دراسة تأصيلية (رسالة ماجستير) ١٨٦ وإبراهيم السامرائي , فقه اللغة المقارن : ٧٤.

(٢) بيرجشتراسر , التطور النحوي , ٣٥ , وكانتينو , دروس في علم أصوات العربية , ٤٦ , ورمضان عبد التواب , التطور اللغوي , ٣٧ – ٣٨ .

(٣) رمضان عبد التواب , التطور اللغوي , ٤١ .

(٤) بمعنى فتح عينيه (ابن القطاع : ١ / ١١٣) وذكر ابن منظور أن بَصْبَصَ لغة (" بصص " ٧ / ٦) .

(٥) السرقسطي : ٢ / ٤٨ .

(٦) ابن القطاع : ٢ / ٤٤٧ وذكر ابن منظور : " وتَغَلَّلَ بالغالية , شدّد للكثرة , واغتلَّ وتَغَلْغَلَ : تَغَلَّفَ " ("غلل" ١١ / ٥٠٣) .

(٧) بمعنى مضى في الضريبة (ابن القطاع : ٢ / ٢٦٣) .

(٨) بمعنى قلع (السرقسطي : ٢ / ٢٨٢) .

(٩) بمعنى سقط من علوّ إلى سُفل (ابن القطاع : ١ / ١٩٧).

---

(١) بيرجشتراسر , التطور النحوي , ص ٣٤ .

(٢) محمد الأنطاكي , الوجيز في فقه اللغة ٢٧٣, ويرى بيرجشتراسر أن التخالف نادر في العربية بالنسبة إلى التشابه إذا ما قورن بالأكادية والآرامية (انظر: التطور النحوي : ٣٥) .

(٣) السيوطي , المزهر : ١ / ١٩٢ , ومحمد الأنطاكي , الوجيز في فقه اللغة , ص ٢٧٣ .

(٤) محمد الأنطاكي , الوجيز في فقه اللغة , ص ٢٧٣ – ٢٧٤ وانظر : جعفر عبابنة , " في حقيقة الإدغام " ص : ٤٧ – ٤٨ , أبحاث اليرموك , م ٣,ع٢ , ١٩٨٦ , .

(٥) إبراهيم السامرائي , الفعل زمانه وأبنيته : ١١٥.

الاقتصاد في الجهد العضلي المبذول في أثناء النطق ,وهي ظاهرة تسير عكس اتجاه المماثلة الصوتية , ولكنهما يتفقان في سعيهما نحو الانسجام الصوتي والاقتصاد اللغوي.

و لم تحظَ المخالفة الصوتية بالاهتمام الذي حظيت به المماثلة الصوتية,ولعل السبب في ذلك – كما يراه محمد الأنطاكي– قلة أمثلتها (٢),وتعود هذه القلّة لأسباب أبرزها أن العربية لم تتورّط من الأصل في تراكيب عسيرة تحتـــاج إلى التخالف , فلا يكاد يجيء ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة لصعوبة ذلك علـــى الألسنة (٣), كما أن العرب لجأوا إلى الإدغام للتخلـــص من هـــذا الالتقاء نحو قولهم : مدَّ بدلاً من مدَدَ , و إلى الحذف , نحو قولهم : تمايلُ بدلاً من تتمايل . وذلك أكثر من لجوئهم إلى المخالفة (٤) . ويذهب إبراهيم السامرائي أيضاً إلى أن أمثلة هذه الظاهرة في العربية الفصحى قليلة , ويُرْجع هذه القلة إلى أنها بقايا لغوية من البقايا القديمة التي طمستها العربية الفصيحة بعد أن توحدت لغاتها (٥) .

وأرى أن أمثلة هذه الظاهرة ليست قليلة , إذْ تمدّنا كتب الأفعال بأمثلة إضافية كثيرة غير ما ذُكِرَ في كتب اللغة المختلفة . , وسأذكر تلك الأمثلة في أثناء الحديث عن أقسام المخالفة الصوتية .

٣. أنواع المخالفة الصوتية في معاجم الأفعال :

يمكن تقسيم المخالفة الصوتية من ناحية اتجاه التأثير إلى نوعين (١):
الأول – مخالفة تقدّميّة,وهي التي يثبت فيها الصوت الأول مؤثراً في الثاني نحو:تمطَّطَ– تمطَّى.
الآخر – مخالفة رجعيّة,يثبت فيها الصوت الثاني مؤثّراً في الأوّل , نحو :قضّ – قرضَ .
ويمكن تقسيمها من ناحية مدى التجاور إلى نوعين (٢):
الأول – مخالفة متّصلة,لا يتبع الصوت الأول فيها صامت أوصائت؛أي فاصل بين المتماثلين.

الآخر – مخالفة منفصلة , يتبع فيها الصوت الأول صامت أو صائت , أي إن بين المتماثلين فاصلاً .

وبناءً على ما سبق , فإنَّ أنواع المخالفة هي :

- التقدّميّة المتّصلة .
- التقدّميّة المنفصلة .
- الرجعيّة المتّصلة .
- الرجعيّة المنفصلة .

.

١. المخالفة التقّدميّة المتّصلة :

وفيها يثبت الصوت الأول مؤثراً في الثاني , ولا يكون بينهما فاصل : صائت أو صامت , ومن الأمثلة على هذا النوع في معاجم الأفعال :

- تَمَخْمَخْتُ ما في العظم و تمخَّخته .بمعنى استخرجته (١),إذْ سقطت الخاء الوسطى وعوض عنها بصوت من الأصوات المائعة , وهو صوت الميم ,وكذلك الأمر في مَطَّطَ كلامه ومَطْمَطه .بمعنى مدَّه (٢) , ورقّق ورقْرَقَ (٣). وأيضاً وَصْوَصَتِ المرأة ووَصَّصَت , وهو ألا تَرى إلاّ عَيْنيها إذا تنقّبت (٤), إذْ سقطت الصاد الوسطى وعوّض عنها بالواو , لتخالف الأولى والأخيرة , والواو من أصوات العلّة , فتتابع هذه

(١) انظر:بروكلمان , فقه اللغات السامية : ٥٦ – ٥٧ , ٧٤ – ٧٥ , وصلاح الدين حسنين , المدخل إلى علم الأصوات , ٨٢.

(٢) انظر : صلاح الدين حسنين , المدخل إلى علم الأصوات , ص ٨١ – ٨٤ , محمد الخولي , الأصوات اللغوية , ص ٢٢٢ وعبد القادر عبد الجليل , الأصوات اللغوية , ٢٩٦ , ٢٩٧ .

المتماثلات يسبّب مشقة نطقيّة واضحة , والمخالفة وسيلة من وسائل تخفيف هذه المشقة . وجخَّ برجله وجخا بها , إذا نَسَف بها التراب في مَشْيِه (٥), فأثّرت الخاء الأولى في الثانية تأثيراً مباشراً ؛ فسقطت الخاء الثانية , وعوض عنها بصوت من أصوات العلّة , وهو الألف . كذلك الأمر في جلَّ وجلا بمعنى رَحَلَ (٦). وحكَّ الأمر في صدري وحَكَى (٧)... الخ .

ولعل الأمثلة السابقة تدعم رأيَ من ذهب إلى أن الثلاثي نشأ من الثنائي المضعّف , فمن يقرأ معاجم الأفعال بإنعام , يلاحظ نشوء كثير من الأفعال الثلاثية من الأفعال الثنائية المضعفة , عن طريق المخالفة التقدّميّة المتّصلة , فكثيراً ما تذكر هذه المعاجم الصورتين : الأصل والفرع , وتذكر معنييها المتّحد أو القريب جداً , كلا في موضعه من غير تذكير بما بينهما من علاقة التخالف .

ومن الأمثلة الدالة على ما سبق : جزَّ وجزم بمعنى قطع (١),وعشَّ وعَشِمَ بمعنى يَبِسَ (٢), وكَنَّ وكَنَفَ وكَنَسَ ؛ بمعنى حفظ وصان , إذ ورد : كَنَسَت الظباء ؛ أي استترت في الكِناس (٣), وهدَّ وهدَلَ بمعنى صوّتَ , وهَدَرَ كذلك (٤), وهفَّ وهفا بمعنى أسرع (٥) .

---

(١) ابن القطاع : ٣ / ٢٠٩ وانظر : ابن منظور (مخخ) ٣ / ٥٢ .
(٢) ابن القطاع : ٣ / ٢١٠ , وقد تتغير الهيئة الصوتية للفعل (تّمطط) لتصبح أيضاً تمطّى , وتَمَطَّطَ مطورة عن تَمدَّد , انظر : ابن يعيش , شرح المفصّل : ١٠ / ٢٥ , عالم الكتب – بيروت .
(٣) ابن القطاع : ٢ / ٧٨ .
(٤) السرقسطي : ٤ / ٢٩١ .
(٥) المصدر السابق : ٢ / ٢٨٤ .
(٦) نفسه : ٣ / ٤٩ .
(٧) ابن القطاع : ١ / ٢٦٧ .

(١) السرقسطي (جزّ) ٢ / ٢٥٣ (جزم) ٢ / ٢٩٤ .
(٢) المصدر السابق (عشَّ) ١/ ٢٠٥ (عشم) ١ / ٣٠٥ .
(٣) انظر : السرقسطي (كنّ) ٢ / ١٤١ , و (كنف) ٢ / ١٤٨, و (كنس) ٢ / ١٨٤.
(٤) المصدر السابق (هدّ) ١ / ١٤٥ (هدل) ١ / ١٦٤ (هدر) ١ / ١٥٨ .
(٥) نفسه (هفّ) ١ / ١٤٦ (هفا) ١ / ١٨٦ .
(٦) ابن القطاع : ٣ / ٣١٧ .
(٧) السرقسطي : ٣ / ٣٧٢ .

إذنْ , فالمخالفة مسؤولة عن إغناء المعاجم العربية بكثير من الأفعال الثلاثية ذات المادة المتقاربة في المعنى.

واعتماداً على التوسع في مفهوم المخالفة الصوتية الذي ألمح إليه أحمد مختار عمر في تعريفه السابق لهذه الظاهرة قد يُخالف بين فتحة الهمزة والواو الساكنة , ومن الأمثلة على ذلك : أتْخَمَهُ الطعام , والأصل أوْخَمَهُ (٦), إذْ حدثت مخالفة بين فتحة الهمزة والواو الساكنة في (أوْخمهُ) , فأثّرت الفتحة في الواو , فسقطت الواو وعوّض عنها بالتاء , فنجم (أتخمه) . وكذلك الأمر في (أَتْكأْتُ الرجل بمعنى أعطيته ما يتّكِئ عليـــــــه , قال أبو عثمان السرقسطي : " والتاء فيها مبدلة من الواو ..." (٧) و أرى أنه لا يمكن عدُّ هذا من باب الإبدال , لأن التاء تَبْعدُ عن الواو في الصفات والمخرج إلى حدٍما , فلا مسوغ لهذا الإبدال ,لذا قد يكون ما حدث من باب المخالفة الصوتية التقدمية المتصلة , إذْ أثرت فتحه الهمزة في الواو الساكنة في (أَوْكَأَ) , فسقطت الواو وعُوّضت التاء عنها , فنشأ (أتْكأَ) وكذلك الأمر في آصَدْت الباب وأوْصدْته بمعنى أغْلقت وصيده, وآكفت الدابّة وأوْكفْتُها (٨).

إذ خالفت فتحة الهمزة الواو الساكنة التي تليها مباشرة (أَوْصَدْتُ) فسقطت الواو , ثم عوض عنها عن طريق إطالة هذه الفتحة , على النحو الآتي :

ʾawṡadtu > ʾa*ṡadtu > ʾāṡadtu

ويرى يحيى عبابنة أن " هذا الأمر ناتج بسبب تأثير الحركات المزدوجة في بنية الكلمة ... وقد حدث بداية ً في صيغة الافتعال .. ومن ثم عُمِّم أثرها في السياقات الأخرى , مما أدى إلى توليد صيغ جديدة ,ربما تغلبت على الصيغ الأصلية ", ويفسر ما حدث بأنه تشكلُ حركة مزدوجة هابطة (iw) في البنية العميقة المفترضة (١) : اوْتـــــخم (ʾiwtaẖama) مثلاً , ثم حُذفت شبــه الحركــة غير المقبولة (w), ثم عوض عن المحذوف عن طريق إقحـــــام التـــــاء فنشأ (ʾittaẖama) ثم نشأ فعل جديد , وهــو (تخم) بدلاً من (وخم) , اشتقَّ منه (أَتْخَمَ) على زنة (أفْعل),وكذلك الأمر في أتكَأَ .

---

(٨) المصدر السابق : ١ / ١٢٣ وابن القطاع : ١ / ٥١ .

(١) يحيى عبابنة , دراسات في فقه اللغة والفونولوجية العربية , ١٣٦ .

(٢) ابن القطاع : ٢ / ٤٧٩ .

(٣) المصدر السابق : ١ / ١٤١ .

٢. المخالفة التقدّميّة المنفصلة :

وفيها يثبت الصوت الأول مؤثراً في الثاني , مع وجود فاصل بينهما, وقد يكون هذا الفاصل صائتاً , وقد يكون صامتاً , ومن أمثلة هذا النوع من المخالفة في معاجم الأفعال : أَفْرَرْت رأسَه بالسيف وأفْريْته شقَقْته (٢) , فسقطت الراء الثانية على سبيل المخالفة وعوض عنها بصوت من أصوات العلة , هـــــو الياء , مع وجود فاصل بين الراءين, هو صـــــوت (الفتحة) . وكـــذلك الأمـــر في ثَرَّرْتُ المكان وثَرَّيْته إذا نديته (٣). وقاصَصْتُ الرجل وقاصَيْتُه, يقول أبو عثمان السرقسطي : " ... فأبدلوا الصاد الأخيرة من قاصَصْتُ ياء "(٤) إلا أن الصاد تَبْعُد عن الياء في الصفات والمخرج ؛ لذا لا أرى أن الحادث بينهما إبدال , بل تخلص الناطق من توالي المتماثلين عن طريق المخالفة بينهما بسقوط الصاد الثانية , و التعويض عنها بالياء,والياء من أصوات العلة مع وجود فتحة الصاد الأولى فاصلاً بينهما,وأيضاً تقضَّيْتُ في

تقضَّضْتُ (١), ولَبَبْتُه ولبَنْته لبّاً ولَبْناً , وهما ضَرْبُك لَبَّتَه ولبانه بالعصا(٢). ولم يُذكر بهذا المعنى عند ابن القوطية , إذ جاءَ عنده : لبَّ ولبن بمعنى أقام , ولكنه وضع كلاً في

---

(٤) السرقسطي : ٢ / ١٤٠ .

(١) السرقسطي : ٢ / ١٤٠ وانظر : أبو علي القالي , الأمالي : ٢ / ١٧١ , وابن سيده , المخصص : ١٣ / ٢٨٩ , وابن قتيبة , أدب الكاتب: ٣١٨ , وابن منظور (قضض) ٧ / ٢١٩ .

(٢) السرقسطي : ٢ / ٤١٩ .

(٣) ابن القوطية , ص ٢٥١ والسرقسطي : ٤٦٧/٢ وابن القطاع : ٣ / ١٣٧ .

(٤) ابن القطاع : ٢ / ٤٤٧ .

(٥) المصدر السابق : ١ / ١٩٦.

(٦) نفسه : ٣ / ١١٥ .

* تدل هذه العلامة على مكان الحذف .

موضعه دون أن يذكر ما بينهما من مخالفة . فقد سقطت الباء الثانية , وعوض عنها بالنون, والنون من الأصوات المائعة .

ولَظِـيَت النـار ولَظِظَت بمعـنى التهبت (٣). وتَغَطْغَط الماء وتَغَطمَطَ بمعنى اضطرب (٤), فخولف بين صوتي الغين مع أنهما منفصلان بعضهما عن بعض- مخالفة تقدّميّة منفصلة , بإسقاط الغين الثانية والتعويض عنها بالميم, والميم من الأصوات المائعة . ولا يمكن أن يكون الحادث بين الغين والميم إبدالاً , لعدم وجود مسوغ لهذا الإبدال . وجَهْجَهْتُ بالسبع وجَهْجَأتُ , وهجهجْتُ به (٥), بمعنى زجرته , فسقطت الهاء الثانية , لتخالف الهاء الأولى مخالفة تقدمية منفصلة , وعوض عنها همزة للتخفيف من مشقة توالي الأمثال , مع أن الهمزة ليست من أصوات العلة , وليست من الأصوات المائعة,وهي تقارب في مخرجها الهاء , ولكنها تحتاج جهداً نطقياً واضحاً , وهذا يعني أن العرب في لجوئهم إلى المخالفة في هذا الفعل سعوا للتخفيف, ولكن بإحلال صوت آخر يمتاز بصعوبة نطقية واضحة أيضاً, ولعلهم سعوا في اختيار الهمزة إلى الوضوح السمْعي .

ومن الأمثلة أيضاً اكْلَنْدَدَ واكْلَنْدَى بمعنى اشتد (٦),فخولف بين الدالين اللتين تنفصل إحداهما عن الأخرى بالفتحة القصيرة , مخالفة تقدمية منفصلة , بإسقاط الدال الثانية و التعويض عنها بإطالة فتحة الدال الأولى لتتشكل الألف , فالفعل (اكْلَنْدى) أسهل في نطقه من الفعل (اكلَنْدَدَ) و يمكن توضيح ذلك بالمخطط الصوتي الآتي :

ˀ ik landada > ˀ iklanda * > ˀ iklandā

وكذلك الأمر في صأصأْتُ من الرجل وصأصيْت بمعنى فرقت منه (١), ودَهْدَهْتُ الشيء من علوّ إلى سفل ودَهْدَيْته بمعنى قذفْته تدحرجاً (٢) .وارعوى : والارعواء هو النـزوع وحْسنُ الرجوع . ويرى بعض العلماء أنه على زنة (افْعَلَّ) (٣) ,فيما يرى آخرون أنه على زنة (افْعَلَى) , بزيادة حرف فيه بعد لام الفعل (٤), ويذهب وليام رايت أنه على زنة (افْعَلَّ) نحو احمَّر , إلا أنه لاعتلال الحرف الثالث,أُعطي صيغة (افْعَلَلَ) بالفك , بمعنى أن صحة الحرف الثالث توجب الإدغام , نحو : احمَّر, واعتلاله يوجب الفك , نحو : ارْعوى (٥) .

وأرى أنه على زنة (افْعَلَّ) فأصله (ارْعَوَّ) , ولعدم وقوع الواو المشدّدة في آخر الماضي و المضارع أيضاً , فكّ الإدغام , فأصبح على زنة (ارْعَوَوَ) ثم خولف بين الواوين اللتين تفصل بينهما الفتحة القصيرة , مخالفة تقدميّة منفصلة بإسقاط الواو الثانية والتعويض عنها بإطالة فتحة الواو الأولى , لتتشكل الألف , فالفعل ارعوى أسهل نطقاً من (ارْعَووَ) , ويرى الحملاوي أن الحادث إعلال , قُدّم على الإدغام لخفّته (٦).

وهناك من جعل هذه الظاهرةَ لهجيةً تُعزى إلى تميم وقيس , وعَدَمَها (أي التضعيف) لهجة أُخرى تُعزى إلى أهل الحجاز وأسد (٧).

٣ . المخالفة الرجعيّة المتّصلة :

وفيها يثبت الصوت الثاني مُسْقِطاً الأول , مع عدم وجود فاصل بينهما, ومن أمثلتها في معاجم الأفعال :غَلَمَ الأديم : غَمَّهُ لينتشر صوفه (٨),فربما كانت غمَّ هي الأصل , ونشأت غلم عنها عن طريق المخالفة الرجعيّة المتصلة , إذ أثّرت الميم الثانية في الأولى فأسقطتها , مع عدم وجود فاصل بينهما , وعوضت اللام عنها , واللام من الأصوات المائعة , وربما تكون (غلم) هي الأصل , ثم اجتَذَبتِ الميم اللام نحوها لتذوب فيها , لينتج الفعل (غمَّ) .

ولقَّ العين ولمقها بمعنى ضربها وأصابها (١), وربما نشأ الفعل (طار) من الفعل (طرَّ) (٢) عن طريق المخالفة الرجعية المتصلة , إذ خولف بين صوتي الراء , فسقطت الراء الأولى , وعوض عنها بإطالة فتحة الطاء لتنشأ الألف في (طار) , فشاع الفعل (طار) لسهولة نطقه قياساً بالفعل (طرَّ), وكذلك الأمر في ذمّه وذامه

---

(١) ابن القطاع : ٢٦٢/٢ – ٢٦٣ .

(٢) السرقسطي : ٣ / ٣٤٦ وانظر : سيبوية : ٤ / ٣٩٣ وابن قتيبة , أدب الكاتب , ص ٣١٦ وابن يعيش , شرح المفصّل : ١٠ / ٢٥ – ٢٦ وابن منظور (دهده) ١٣ / ٤٨٩

(٣) السرقسطي : ٣ / ١١٢ , والحملاوي : شذا العرف : ٣٧ .

(٤) إسماعيل عمايره , معالم دارسة في الصرف : ٨٣

(5) Wright , W., A Grammar of the Arabic Language , P 43 .

(٦) انظر : الحملاوي , شذا العرف في فن الصرف : حاشية صفحة ٣٧.

(٧) انظر : صالحة راشد , اللهجات في " الكتاب " لسيبويه , ٢٢٩ – ٢٣٠ وضاحي عبد الباقي , لغة تميم : دراسة تاريخية وصفية : ١٦٣ – ١٦٤ .

(٨) ابن القوطية , ١٩٧ والسرقسطي : ٢ / ٣٢ .

بمعنى عابه (٣) . وعَنَّنْتُ الكتاب وعنونته (٤), فإذا أثرت النون الأولى الساكنة في الثانية المتحركة , فإن المخالفة عندئذٍ تكون تقدمية متصلة , أما إذا جعلنا المؤثر النون الثالثة فإن المخالفة رجعية منفصلة , لأن المتأخر أثر في المتقدم مع وجود فاصل بينهما,وهو فتحة النون المؤثر فيها (المُسقطة).

و" مَرْطَلَتْ علينا السماءُ ثيابنا مَرْطلةً:إذا بلّتها, يقال:كنا في مَرْطَلة منذ اليوم :إذا أصابهم مطر , فبلّهم , وبلّ متاعهم ..." (٥) , وربما نشأ الفعل (مَرْطل) من الفعل (مَرْطَرَ) , ثم خولف بين الرّائين مع وجود الطاء المفتوحة بينهما , فسقطت الراء الثانية , فعُوّضت اللام عنها , واللام من الأصوات المائعة , وعندئذ تكون مخالفة تقدمية منفصلة . وربما نشأ من الفعل (مَطَّرَ) , ثم خولف بين صوتي الطاء مخالفة رجعية متصلة , إذ ثبتت الطاء الثانية وسقطت الأولى وعُوض عنها باللام , فنجم (مَلْطَرَ) ثم تعرضت للقلب المكاني , فحلّت الراء محل اللام واللام محل الراء , فنجم الفعل (مَرْطل) .وقد يقول قائل:لماذا لا تكون المخالفة تقدمية متصلة , فينشأ عنها الفعل (مَطْلَرَ)؟و يُجاب عن هذا التساؤل بأن العربية تكره تجاور اللام والراء , وليس من المعقول الهروب من الشاقّ إلى الأكثر مشقّة , لذا رُجّحت المخالفة الرجعية المتصلة .

وتندَّلْتُ بالمنديل وتمندلت , إذا مَسحْتَ فيه يدك (١). وربما نشأ الفعل (تمندل) عن طريق المخالفة الصوتية من الفعل (تندَّلَ) , إذْ خولف مخالفة رجعية متصلة بين الدالين , فسقطت الدال الأولى وعوض عنها بالميم , والميم من الأصوات المائعة , فنشأ (تنمدل) , ثم حدث قلب مكاني بين الصوتين المتجاورين : الميم والنون , فنشأ الفعل (تمندل) ,والعلاقة بين المخالفة الصوتية والقلب المكاني علاقة وطيدة .

---

(١) السرقسطي: ٢ / ٤٤٥

(٢) ابن القوطية : ١١٧ والسرقسطي : ٣ /٢٥٠ .

(٣) ابن القوطية : ٢٧٣ وابن القطاع : ١ / ٣٩٧ .

(٤) ابن القطاع : ٢ / ٣٨٤ .

(٥) السرقسطي: ٤ / ٢١٣ .

وقد يقول قائل : لماذا لا تكون الدال الأولى هي التي أثرت في الثانية فتكون المخالفة تقدمية متصلة , نشأ عنها الفعل (تندمل) , ثم تعرض للقلب المكاني الذي يحدث بين أكثر من صوت دون ترتيب ؟ وعندئذ يُجاب عن هذا التساؤل بأن القلب المكاني الذي يحدث بين أكثر من صوت دون ترتيب قليل جداً إذا ما قورن بالقلب المكاني الذي يحدث بين صوتين متجاورين,لذلك تُرجَّح المخالفة الرجعية المتصلة .

وقد يكون الفعل (تمندل) أصلاً مشتقاً من الاسم الجامد (منديل) ثم تعرض للقلب المكاني فحلت الميم محل النون وحلت النون محل الميم , فنشأ الفعـــــل (تنمدل),ثم ذابت الميم في الدال فنشأ الفعل (تندّلَ) .

ويسوّغ تعريف أحمد مختار عمر للمخالفة الصوتية السابق الذكر (٢) القول بأنه قد تُخالف الواو أو الياء قبل الضمّة أو الكسرة أو الفتحة في بداية الفعل إلىهمزة أحياناً مخالفة رجعية متصلة,وقد عُرف ذلك عند أهل تميم (٣),ومن أمثلته في معاجم الأفعال:يَمَّمْتُهُ وأَمَّمْتُه:إذا قَصَدْتُ له(٤),إذ خالفت فتحة الياء في (يَمَّمَ) الياء مخالفة رجعية متصلة؛فسقطت الياء,و عوض عنها باجتلاب الهمزة للتخلص من البدء بحركة ,فـــأصبحت (أَمَّمّ),وذلك كما يظهر في المخطط الصوتي الآتي: yam / ma / ma >*am / ma/ ma > ˃ a m/ ma/ ma

فنقلت الياء والواو المفتوحتان همزة عند القبائل الشرقية من الجزيرة العربية , فيما ثبت عند القبائل الغربية , وتشبه لهجات القبائل الشرقية في ذلك اللغة الأكاديـــــة التي تميل الى تحويلها في أول الكلمة همزة (٥) .

ومن ذلك أيضاً (وَسِنَ) و(أَسِن) بمعنى نام , وأيضاً استيقظ , فهو من الأضداد وأيضاً بمعنى غُشِيَ عليه من ريح البئر (١) , إذ خالفت فتحة الواو الواو مخالفة رجعيّة متصلة , فسقطت الواو (w) وعوض عنها باجتلاب الهمزة لإغلاق المقطع بعد الحذف , إذ ترفض العربية أن يبدأ المقطع فيها بحركة ,كما يظهر في المخطط الصوتي الآتي : wa / si / na >* a / si /na > ˃ a/ si / na

---

(١) السرقسطي : ٣ / ٢٤٤ .

(٢) انظر: مفهوم المخالفة الصوتية من هذا الفصل.

(٣) انظر : بروكلمان , فقه اللغات السامية , ص ٧٧ وصلاح الدين حسنين , المدخل إلى علم الأصوات , ص ٨٢ .

(٤) السرقسطي : ٤ / ٣٠١ .

(٥) صلاح الدين حسنين ," إعلال الواو والياء في اللغة العربية ", ١٩٤, مجلة مجمع اللغة العربية , القاهرة , الجزء السابع والأربعون , ١٩٨١م.

وكذلك الأمر في (وَطَدَ) و (أَطَدَ) بمعنى ثَبَتَ (٢) , و(وُطِمَ) و (أُطِمَّ) : أي احتبس بطنه (٣), و (وَلَقَ) و(أَلَقَ) , بمعنى كذب (٤), و(وَلَه) و (أَلِه) بمعنى تحيّر وأيضاً جزع (٥), و (وَرَّخَ) و (أَرَّخَ) (٦), ولعل الحادث فيه مخالفة صوتية رجعية متصلة بين الواو وفتحتها(٧) , فأثرت الفتحة في شبه الحركة الواو (W) فسقطت الواو وعوض عنها باجتلاب الهمزة , لإغلاق المقطع بعد الحذف , وكذلك الأمر في (أكّدَ) و (وَكَّدَ) (٨), وعليه فإن الواو المفتوحة أو المكسورة أو المضمومة في بداية الكلمة تخالف إلى همزة ,وقد نسب بعضهم ذلك إلى تميم (٩)؛ لذا نجد بعض الأفعال لم تخالف فيها الواو إلى الهمزة , كما في : وعد , ووجد , فربما كانت تلك الظاهرة مقتصرة على بعض القبائل , ثم تسرّب عددٌ من أمثلتها إلى العربية الفصيحة .

وكما قيل في المخالفة التقدمية المتصلة , يقال أيضاً في المخالفة الرجعية المتصلة , فهي وسيلة من الوسائل التي عملت على نشوء الفعل الثلاثي من الفعل الثنائي المضعف , فكثيراً ما تذكر هذه المعاجم الصورتين : الأصل والفرع , وتذكر معنييهما المتحد أو القريب جداً كلاً في موضعه , دون الإشارة إلى ما بينهما من علاقة تخالف , ومن الأمثلة الدالّة على ذلك :

دسَّ ودَمَسَ (١), " فدسَّ الشيء في الأرض دسّاً : غيّبه فيها , ودسَّ الرسول : أخفاه ... " و" دمس الكلام والشيء دَمْساً : أخفاهما .. " , إذْ حدث مخالفة بين السينين فأثرت السين الثانية في الأولى , فسقطت الأولى وعوض عنها بالميم , والميم من الأصوات المائعة , فنشأ (دَمَسَ) . وأيضاً ضَرّه وضارَه ضد نفعه (٢), وغضَّ وغاضَ بمعنى نقص (٣), وقضَّ وقَرَضَ بمعنى كسر وقطع أيضاً (٤). وهزَّ الشيء وهمزه بمعنى حرّكه (٥). وهسَّ الشيء وهاسه بمعنى كسره وفتّته , وهرسه (٦) بالمعنى نفسه .

---

(١) ابن القطاع : ٣ / ٣٢٢.

(٢) السرقسطي : ٢ / ٢٦٢ – ٢٦٣ .

(٣) ابن القطاع : ١ /٥٠ .

(٤) ابن القوطية : ١٧٩ والسرقسطي : ١ / ١٠٩ وابن القطاع : ١ / ٤٦ .

(٥) ابن القطاع : ١ / ٤٩ .

(٦) السرقسطي : ٤ / ٢٩١ وابن القطاع : ١ / ٥٢ .

(٧) انظر : بروكلمان , فقه اللغات السامية : ٧٧ .

(٨) ابن القطاع : ١ / ٥٧ .

(٩) انظر: صلاح الدين حسنين ," إعلال الواو والياء في اللغة العربية ": ١٨٦.

وهسَّ الحديث أخفاه , " وهرس الرجل في الأكل يهرس هرْساً وهو إخفاء الأكل " وهمس بالكلام أسرّه وهمس الأكل أخفاه (٧) .

٤. المخالفة الرجعية المنفصلة :

وهي التي يثبت فيها المثل الثاني مؤثراً في الأول مع وجود فاصل بينهما , والأمثلة على هذا النوع قليلة جداً في معاجم الأفعال , منهـــا : تأيّيتُ بالمكان وتأنّيتُ , بمعنى توقّفت به (٨), فخالفت الياء الأولى المضعفة الياء الثانية , فسقطت الأولى المضعفة وعوض عنها بصوت من الأصوات المائعة , وهو النون , مع وجود الفتحة فاصلاً بينهما .

وقَفْقَفَ وقَرْقَفَ إذا أُرعِد من البرد (٩), فخالفت الفاء الأولى الفاء الثانية فسقطت , وعوض عنها بصوت من الأصوات المائعة , هو الراء , وقد فصلت القاف الثانية وفتحتها بين هذين المتماثلين ؛ لذلك فهي مخالفة رجعية منفصلة .

وتمتّ المخالفة الصوتية بصلة وثيقة للقلب المكاني , فهما من الأسباب البارزة التي تؤدي إلى تغيير الهيئة الصوتية للكلمة , تحقيقاً للانسجام الصوتي وتيسيراً لعملية النطق , واقتصاداً في الجهد المبذول في أثناء هذا النطق .

---

(١) السرقسطي (دسَّ) ٣١٣/٣ (دَمَس) ٣ / ٣٢٢ .

(٢) ابن القوطية (ضرّ) ٨٧ , (ضار) ٢٤٦ , والسرقسطي (ضرّ) ٢ / ٢٠٥ , (ضار) ٢ / ٢٣٨ .

(٣) السرقسطي (غَضَّ) ٢ / ٢٦ (غاض) ٢ / ٤٠ , وابن القطاع (غضّ) ٢ / ٤٣٦ (غاض) ٢ / ٤٤٥ .

(٤) ابن القوطية (قضَّ) ٥٥ (قرض) ٥٦ والسرقسطي (قضَّ) ٥٨/٢ (قرض) ٢ / ٦٥ .

(٥) ابن القوطية (هزّ) ١٨٢ (همز) ١٨٣ والسرقسطي (هزَّ) ١ / ١٤٤ , (همز) ١ / ١٦٠ .

(٦) السرقسطي (هسّ) ١ / ١٤٨ (هاس) ١ / ١٨٤ (هرس) ١ / ١٥٣ .

(٧) المصدر السابق (هسّ) ١ / ١٤٨ (هرس) ١ / ١٥٣ (همس) ١ / ١٥٣ , ١٥٤ .

(٨) ابن القطاع : ١ / ٦٤ .

(٩) السرقسطي : ٢ / ١٣٣ .

(١) انظر : سيبويه : ٤ / ٤٨٢ يقول " لما كثر في كلامهم كرهوا التضعيف ...فحذفوا) وابن جني , الخصائص : ٣ / ٢١ , يقول :" فإذا كانوا قـد هربـوا مـن التضعيف إلى الحذف نحو ظَلْتُ ومست وأحَسْت وظَنْت ذاك أي ظننت , كان الإبدال أحسن وأسوغ , لأنه أقل فحشاً من الحذف وأقرب " وانظـر : ابن يعيش , شرح المفصل : ١٠ / ١٥٥ ورمضان عبد التواب , التطور اللغوي , ص ٤٤ –٤٥ وجعفر عبابنة , " في حقيقة الإدغام ": ٤٧ – ٤٨ .

(٢) ابن القوطية , ٣٩ .

كما أنهما من الطرق المهمة المسؤولة عن إغناء المعاجم العربية , وكثرة الأفعال ذات المادّة المتقاربة , فالعرب ما كانوا مولعين بتكثير الألفاظ فقط , بل كانوا يلوّنون معاني هذه الألفاظ وفق ما يجري عليها من تغيرات , إذ إن التغيير في المبنى يُسهم في تغيير بسيط في المعنى .

ويرى معظم العلماء أن المخالفة الصوتية ليست هي الطريق الوحيد للفرار من ثقل اجتماع الأصوات المتماثلة أو المتقاربة في بنى الكلمات , إذ تستخدم العربية أيضاً طريق الحذف (١). ولعل الحذف ليس طريقاً آخر مختلفاً يُعْمد إليه للتخلص من توالي الأمثال , بل هو مخالفة صوتية , لم يعوض فيها عن الحرف الساقط , فالمخالفة وفق ذلك تقسم إلى قسمين : مخالفة يرافقها تعويض , كما تقدم في الصفحات السابقة , ومخالفة لا يرافقها تعويض , وأمثلتها قليلة جداً في معاجم الأفعال المدروسة , منها " أحْسَسْتُ الشيء : رأيته أو سمعت حركته , وحَسَسْتُ به حِسّاً , لغة , ومنهم من يخفف فيقول : أحَسْتُ به "(٢). فالفعل (أحْسَسَ) توالى فيه صوتان متماثلان , فيخفف من المشقة الناجمة عن هذا التوالي , إما بالمخالفة الصوتية التي يعوض فيها عن السين الثانية المحذوفة بصوت من أصوات العلة , وهو الياء ؛ فيصبح الفعل (أحْسَسْتُ) (أَحْسَيْتُ) , وإما بالمخالفة الصوتية , التي لا يعوض فيها عن السين المحذوفة (الأولى أو الثانية) , فيصبح الفعل (أَحَسْتُ) .

وعليه فيقال: أَحْسَسْتُ الخبر وأَحْسَيْته وأحَسْته وحَسَيْته وحَسْته (١), و (ظَلِلْتُ) أفعله ظُلولاً و (ظَلْت) و (ظِلْتُ) (٢), قال أبو عثمان السرقسطي : " ويقال ظِلْت بكسر الظاء , وحذف إحدى اللامين , وأنشد لرجل من بني عُقيل :

ألم تَعْلَمي ماظِلْتُ بالقوم واقِفاً على طَلَل أَضْحَتْ معارِفه قَفْرا" (٣)

ويعلّق ابن منظور على هذا البيت المنسوب لرجل من بني عُقيل قائلاً :" قال ابن جنّى : قال : كسروا الظاء في إنشادهم وليس من لغتهم"(٤). ويرى أبو عثمان السرقطي أن بني تميم يدعون الظاء مفتوحة على حالها قبل الحذف , فيقولون : ظَلْتُ

أفعل كذا (٥), وقال الله عز و جل : " **فظَلْتُم تفكّهون** "(٦). ويرى ابن منظـــور أن (ظَلْتم) في هذه الآية الكريمة من شواذ التخفيف (٧).

وحذف عين ظلَّ تخفيفاً مع فتح الأول لغة بني عامر , وفي الحجاز يكسر الأول تحريكاً له بحركة الكسر التي على العين (٨), جاء في لسان العرب :" ومن العرب من يحذف لام ظَلِلْت ونحوها حيث يظهران , فإن أهل الحجاز يكسرون الظاء على كسرة اللام التي أُلقيَتْ فيقولون ظِلْنا وظِلْتم ... قال تعالى : **ظَلْتَ عليه عاكفاً** (٩), و قُرِئَ ظِلْتَ ,فمن فتح فالأصل فيه ظَلِلْت, ولكن اللام حذفت لثقل التضعيف والكسر , وبقيت الظاء على فتحها , ومن قرأ ظِلْتَ , بالكسر حوّل كسرة اللام على الظاء ... قال ابن سيده : قال سيبويه: أما ظِلْت فأصله ظَلِلْت إلا أنهم حذفوا فألقوا الحركة على الفاء كما قالوا حِفْت , وهذا النحو شاذّ ,قال : والأصل فيه عربي كثير " (١٠).

إذنْ , يقال : ظَلِلْتُ وظَلْتُ وظِلْتُ.

ومن الأمثلة أيضاً (اسطعْتُ) بمعنى (اسْتَطَعْتُ) (١), فخالفت الطاء نظيرها المرقق التاء مخالفة رجعية منفصلة , فسقطت التاء , دون أن يعوض عنها بصوت آخر , فنشأ الفعل (اسطعْتُ) , إذْ تحدث المخالفة الصوتية بين الأصوات المتماثلة أو المتقاربة في بنى الكلمات .

---

(١) انظر : ابن القطاع : ١ / ٢٤٦ , ٢٦٧ وابن منظور (حسس) ٦ / ٤٩ .

(٢) ابن القطاع : ٢ / ٣٢٠ – ٣٢١ .

(٣) السرقسطي : ٣ / ٥٧٩ .

(٤) ابن منظور (ظلل) ١١ / ٤١٥.

(٥) السرقسطي : ٣ / ٥٧٩ .

(٦) سور ة الواقعة : ٦٥ .

(٧) ابن منظور (ظلل) ١١ / ٤١٥.

(٨) الفيومي , المصباح المنير : ٢ / ٩٤٣.

(٩) سورة طه: ٩٧ .

(١٠) ابن منظور (ظلل) ١١ / ٤١٥ .

ومن ذلك أيضاً : تراطنُ , إذا تكلم كلام العجم (٢), فأصل الفعل تتراطنُ , فخولف بين صوتي التاء بإسقاط أحدهما , دون أن يعوض عنها بصوت آخر , وكذلك الأمر في تَرَضْرَضُ بمعنى لا يثبت (٣), فأصله : تترضْرَضُ.

وبعد , فيمكن أن نخلص من خلال هذا العرض إلى أن ظاهرة المخالفة الصوتية تقوم على حذف أحد الصوتين المتماثلين, والتعويض عنه في بعض أمثلتها كما في : تقضّيت , وأرّخ , أو على الحذف دون التعويض عنه في بعضها الآخر , كما في : ظَلْتُ و اسْطَعْت.

وقد تفسر هذه الظاهرة بأنها من باب السهولة والتيسير ,والاقتصاد في الجهد العضلي المبذول في أثناء نطق هذين الصوتين المتماثلين ,وقد تكون في بداية الأمر من باب التعدد اللهجي,ثم اختلطت اللهجات,و انتقل عدد من أمثلتها ,لا يستهان به,إلى العربية الفصحى .

وقد ماتت البنية العميقة لبعض الأفعال المتعرضة لهذه الظاهرة , وبرزت البنية السطحية في واقع الاستعمال اللغوي , كما في (أرّخ) و (ورّخ) , إذ ماتت (ورّخ) وبقيت (أرّخ) . فيما استعملت البنيتان : العميقة والسطحية معاً للفعل الواحد , كما في : (أمللت) و (أمليت) , ولعل في استعمال هاتين الصيغتين صراعاً لغوياً , تكون الغلبة فيه للأكثر شيوعاً في الواقع الاستعمالي الفعلي للغة .

ولقد أسهمت المخالفة الصوتية في إغناء المعاجم العربية بأفعال كثيرة ذات مادة واحدة , ومعنى واحد , كما في (أملّ) و (أملى) و (دهدى) و (دهده) , كما أسهمت أيضاً في تلوين معاني بعض هذه الأفعال مع بقاء المعنى المشترك لمحاً

---

(١) ابن القطاع : ٢ / ١٣٠.

(٢) السرقسطي : ٣ / ٦٧ .

(٣) المصر السابق : ٣ / ١٠٨ .

للأصل , كما في جلَّ و جلا , و جلح و جله , التي تدل على معنى مشترك , هو الذهاب والزوال [١] .

[١] انظر: فصل :" نشوء الفعل الرباعي عند أبي عثمان السرقسطي وأبي القاسم بن القطاع " , من هذه الدراسة : ١٤٨.

الفصـــل الثالث

القلب المكاني في معاجم الأفعال

أسهمت قوانين التطور اللغوي إسهاماً كبيرا في إغناء مفردات العربية , ومن هـــذه القوانين قانون القلب المكاني , الذي لجأت إليه العربية لزيادة ركازها اللفظي في مرحلة مبكرة من مراحل نموها .

ويدرس هذا الفصل المحاور الآتية :

١. مفهوم القلب المكاني .
٢. تفسير ظاهرة القلب المكاني .
٣. الأفعال المقلوبة قلباً مكانياً في معاجم الأفعال.

١. مفهوم القلب المكاني :

القلب المكاني أن يحل صوت مكان صوت آخر في الكلمة الواحدة بالتقديم والتأخير , مع اتحاد المعنى في اللفظين : الأصل والمقلوب . وظاهرة القلب المكاني ظاهرة صرفية صوتية تمثل شكلاً من أشكال التطور اللغوي في الألفاظ دون المعاني , وتمثل عاملاً من عوامل غنى اللغة في مفرداتها , إذْ دخلت العربية عن طريقها ثروة معجمية, لا يستهان بها .

وقد تنبه علماء العربية القدامى إلى تلك الظاهرة , وحاولوا تفسيرها , ورصد الألفاظ التي عدت مقلوبة قلباً مكانياً (١) ,أما المحدثون فدرسوها في الأسماء والأفعال (٢) .

ويرى بعض المحدثين أن القلب المكاني هو (الاشتقاق الكبير) فعدوهما نوعاً واحداً(٣) , والاشتقاق الكبير هو " أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه , وإن تباعد شيءٌ

من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه ,كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد (٤) " .

.

٢. تفسير ظاهرة القلب المكاني :

تعد هذه الظاهرة من باب التغير الصوتي الصرفي للكلمة العربية في أثناء الاستعمال اللغوي, وقد اختلف علماء اللغة في سببها : هل هو لفظيٌّ ميكانيكي حدث بسبب تفاعل الأصوات بعضها مع بعض , طلباً للانسجام الصوتي والاقتصاد في الجهد النطقي المبذول أو الجهد الذهني ؟ أو أنها ظاهرة لهجية ؟

يرى معظم المحدثين من علماء اللغة أنه يمكن تعليلها بنظرية السهولة والتيسير في الجهد العضلي و الذهني أيضاً عند التلفظ بالكلمات (١)," فترتيب الأصوات ضمن نسق صوتي معين , ربما أشعر بصعوبةٍ ما في الجهد العضلي لجهاز النطق , وخصوصاً في الأصوات المتنافرة في طبيعة مخارجها على سطح اللسان , فيكون من ابن اللغة الناطق لها , أن يلجأ إلى ما هو يسير وسهل على جهاز نطقه , بحيث يجمع أصوات كلمته , على غير المألوف فيها (قلب مكاني فيها) ولا يكون ذلك بوعي حاضر منه ,و إنما تطفو الصورة الحادثة بعفوية مطلقة " (٢) .

وإذن , يتمّ تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض تجنباً لصعوبة النطق الناشئة من تجاور بعض الأصوات – ويأباها الذوق اللغوي (٣). فالمتكلم يغير ترتيب الأصوات وفق

---

1)١) انظر: الفراهيدي, العين : ٦ / ٢٧٣ – ٢٧٤ , ٢٩٦ – ٢٩٧ وسيبويه , الكتاب: ٣ / ٤٦٥ – ٤٦٨ , ٤ / ٣٧٧ , ٣٧٨ , ٣٨١ والمبرد , المقتضب : ١ / ٢٩ – ٣١ وابن جني , الخصائص : ٢/ ٧١ – ٧٢ , ٧٥– ٨٤ وابن قتيبة , أدب الكاتب , ٣٢٢ – ٣٢٣ , والمزهر: ٤٧٦/١ – ٤٨١ .

(٢) انظر: الشدياق في " سر الليال في القلب والإبدال وفندريس , " اللغة " وبروكلمان , " فقه اللغات الساميّة " وبيرجشتراسر , " التطور النحوي للغة العربية " وصبحي الصالح " دراسات في فقه اللغة " " وعبد الفتاح الحموز " ظاهرة القلب المكاني في العربية " ومحمد سليم عبد الفتاح " ظاهرة القلب المكاني في اللغة العربية " ومحمد بدوي المختون " ظاهرة القلب المكاني في العربية " , مجلة كلية اللغة العربية , جامعة الإمام محمد بن سعود , العدد الحادي عشر , ١٩٨١م وعبد الكريم الأسعد " في القلب المكاني " مجلة كلية الآداب , جامعة الملك سعود , مجلد ١٠ , ١٩٨٣ , وعبد الوهاب محمود الكحلة , " ظاهرة القلب في اللغة العربية " المجلة الثقافية , الجامعة الأردنية , ٢٠٠١ م العدد (٥٣) وعبد الحميد الأقطش " القلب المكاني بين الأصوات الصحاح في بنية الكلمة العربية " أبحاث اليرموك , المجلد (١٥) العدد الثاني ١٩٩٧ م.

(٣) انظر: جعفر عبابنة , " أصل الاشتقاق أم آليته "ص ١٠٤ المجلة الثقافية , الجامعة الأردنية عدد (٤٩) ٢٠٠٠م و عبد الكريم الأسعد , " في القلب المكاني "ص ١٤٤و صبحي الصالح , دراسات في فقه اللغة :١٨٦ – ٢٠٩ و ممدوح محمد خسارة , " الاشتقاق التقليبي وأثره في وضع المصطلحات " ص ٦٩٩ – ٧٠٨ مجلة اللغة العربية بدمشق , مجلد (٧٢) جزء (٤) ١٩٩٧ م.

(٤) ابن جني , الخصائص :٢ / ١٣٤ وكان يسميه الاشتقاق الأكبر.

قرب مخارجها أو بعـــــدها , ليحقّق أقصـــى قدرٍ من التناسب الصوتي في الكلمة , نحو : (طمس) التي قلبت إلى (طسم) ليتجاور الصوتان القريبان في مخرجيهما (الطاء والسين) , ونحو : (عبل) فالعين متوسطة بين الأصوات الاحتكاكيـــة والأصـــوات الانفجاريـــة , وكذلك اللام ,لذا تقدّمت الباء الانفجارية لتفسح المجال لتتابع الصوتين المتمـــاثلين في الصفة (العين واللام) , فأصبحت (بعل) . ونحو : (بتل) فالباء صوت مجهور , وكـــذلك اللام , وقد فصل بينهما صوت التاء المهموسة , فانتقل إلى بداية الكلمة ليفسح المجـــال أمام تتابع صوتين مجهورين , فأصبحت الكلمة (تبل) (٤).

وقد يكون السبب في ظاهرة القلب المكاني تعثّر اللســـان في النطـــق بالصـــورة الأصلية , ثم ذيوع الصورة الجديدة , ويعود هذا التعثّر إلى قلة الانتباه , فإن كان النـــاطق في حالة نفسية معينة , نحو : حالة الانفعال أو تسريع الكلام أو غيرهما , فعنـــدها قـــد تنحرف بعض أصوات الكلمة عن مواقعها فيحدث القلب المكاني . وقد يقود نقص الانتباه أيضاً إلى حدوث توهم في سماع الكلمة أو توهم في قراءتها (١) .وكل ذلك ينضوي " تحت مظلّة التيسير في الجهد لدى الإنسان , في جهده النفسي , ممـــثلاً في انتباهـــه, وفي جهـــده العضوي ممثلاً في عَمَلَيْ لسانه وأذنه "(٢) , ويرى فندريس أن تلك الظـــاهرة تعـــود إلى الخطأ ونقص الالتفات (٣) . وذلك ما تنبّه عليه القدماء , إذ عدّوا الوهم أو الخطأ هـــو السبب في بعض الكلمات المقلوبة (٤).

ويرى آخرون أن ظاهرة القلب المكاني ظاهرة لهجيّة (٥), فعدّوا القلب المكـــاني من باب اللغات المسمّاة المنسوبة إلى أصحابها " وهي وإن كانت لقـــوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعاورها كلّ" (٦). وقد قال ابن دريد في الجمهرة : باب الحروف التي قلبـــت وزعم قوم من النحويين بأنها لغات , وهذا القول خلاف على أهل اللغة " (٧) وهذا يعني أن القلب المكاني عند هؤلاء " ليسَ آتياً عن طريق الأصالة والفرعيّة — في الغالب –

---

(١) انظر : بروكلمان , فقه اللغات السامية , ص ٨٠ وبيرجشتراسر , التطور النحوي للغة العربية , ٣٥ ورمضان عبد التواب , التطور اللغوي , ص ٥٧ – ٦٠ وعلي وافي , علم اللغة , ص ٢٩٨ وعبده الراجحي , التطبيق الصرفي ص ١٤ وعبد الفتاح الحموز , ظاهرة القلب المكاني في العربية , ص ٤٧ – ٤٩ , ومحمد سليم عبد الفتاح , ظاهرة القلب المكاني في اللغة العربية , ص ١٥٨ – ١٦٨ وداود عبده , أبحاث في اللغة العربية : ١٣١ , ١٣٣ , وأحمد مختار عمر, دراسة الصوت اللغوي ص ٣٩١ .

(٢) عبد الحميد الأقطش, " القلب المكاني بين الأصوات الصحاح في بنية الكلمة العربية " : ٢٦١.

(٣) رمضان عبد التواب , التطور اللغوي ,ص ٥٧ – ٦٠ ولحن العامة والتطور اللغوي , ص ٤٨ والانطاكي , الوجيز في فقه اللغة , ص :٢٧٠ , ٢٧٤ .

(٤) محمد سليم , ظاهرة القلب المكاني في اللغة العربية , ص ١٦٥ – ١٦٦ وانظر: أحمد مختار عمر, دراسة الصوت اللغوي , ص ٣٩١ .

ومن أجل هذا كان بابه السماع لا القياس , إلا فيما عُلِم مما سبق من كثرته في المعتل والمهموز وذي الواو ... (٨).

ويرى بعض العلماء أن تلك الظاهرة وجدت لها متنفساً فسيحاً وسط القبائل البدوية , لأنها تتوخى السرعة في إخراج الكلمات(٩).

ومن الصور اللهجية للقلب المكاني (صَقَع وصَعَق) فَصَقعت الصاقعة .بمعنى أصابت , مقلوب عن صَعَقَت الصاعقة (١) . ويذكر أبو عثمان السرقسطي : "وصَقِع الإنسانُ .بمعنى صَعِق , لغة تميم "(٢).

---

(١) عبد الحميد الأقطش , " القلب المكاني بين الأصوات الصحاح في بنية الكلمة العربية " : ٢٦٠ – ٢٦١ وانظر : عبد الفتاح الحموز , ظاهرة القلب المكاني في العربية , ص ٤٩ , وعبد الرحمن أيوب , محاضرات في اللغة ص ١٧١ وداود عبده , أبحاث في اللغة , ص ١٣١.

(٢) عبد الحميد الأقطش , " القلب المكاني بين الأصوات الصحاح في بنية الكلمة العربية ": ٢٦٢.

(٣) فندرس , اللغة , ص ٩٤ .

(٤) انظر : : الزركشي , البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٣٨٨ – ٣٨٩ و أبو حيّان التوحيدي , البحر المحيط : ٥ / ٣٤٧.

(٥) انظر : أمين السيد , في علم الصرف , ص ٦٨ وصبحي الصالح , دراسات في فقه اللغة ,ص ١٠٣ وابن فارس , الصاحبي في فقه اللغة العربية , ص ٢٠٨ والسيوطي, المزهر : ٢٥٥/١ ومحمد بدوي المختون , " ظاهرة القلب المكاني في العربية " ص ٢٨٤ وصالحة آل غنيم , اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتاً وبنية , ص ٥٩٢ ويرى الدكتور أحمد مختار عمر أن بعضها قد يكون من اختلاف اللهجة (انظر : دراسة الصوت اللغوي , ص ٣٩١) .

(٦) السيوطي , المزهر : ١ / ٢٥٦ .

(٧) المصدر السابق : ١ / ٤٧٦ .

(٨) محمد بدوي المختون , " ظاهرة القلب المكاني في العربية " : ٢٨٤.

(٩) انظر: إبراهيم أنيس , في اللهجات العربية : ١٣٢ , وحسام النعيمي , الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : ١٩٢ .

(١) ابن القوطية , ص ٢٤٣.

(٢) السرقسطي: ٣ /٤١٥ وانظر : ابن منظور (صقع) ٨ / ٢٠١.

(٣) االسرقسطي: ٢ / ٢٩٠ وانظر : ابن القطاع : ١ / ١٦٥ .

(٤) ابن منظور (جبذ) ٣ / ٤٧٨ .

(٥) المصدر السابق (جذب) ١ / ٢٥٨ .

(٦) الفيومي , المصباح المنير : ١ / ١٢٢ .

(٧) ابن قتيبة , أدب الكاتب : ٣٢٢ .

(٨) السيوطي , المزهر : ١ / ٤٧٦ .

(٩) سيبويه : ٤ / ٣٨١ .

(١٠) ابن جني , الخصائص : ٢ / ٧١ – ٧٢ .

ومن تلك الصور أيضاً (جَذَبَ وجَبَذَ) "وجَذَبْتُ الشيء ,جَذْباً , وجَبَذْته جَبْذاً : مددته إلى نفسي ... وجذَبَتْ وجَبَذَتْ نفس الإنسان وطباعه وعادته إلى كذا : مثله ..." (٣),ووردَ في لسان العرب :" جَبَذ جَبْذاً : لغة في جَذَب " (٤) والجَبْذُ لغة تميم "(٥). وقد عزا الفيّومي أيضاً صيغة (جبذ) إلى تميم , فقال : " جَبَذَه جبذاً من باب ضرب مثل جذبه جذباً قيل مقلوب منه لغة تميمية "(٦). ووردت عن ابن قتيبة على القلب (٧) وكذلك عن السيوطي (٨). وأنكر آخرون أن تكون من المقلوب فهي عندهم أصل , فقال سيبويه على لسان شيخه الخليل :" وأمّا جَذَبْتُ و جَبَذْتُ ونحْوه فليس فيه قلب , وكل واحد منهما على‌حدته , لأن ذلك يطّرد فيهما في كل معنى ويتصرّف الفعلُ فيه " (٩) و إلى مثل هذا ذهب ابن جني (١٠) و غيره .

ولعل ذلك كان في بداية الأمر من التباين اللهجي فـ (جبذ) جرت على لسان قبيلة , و(جذب) جرت على لسان قبيلة أخرى , ثم انتشرت الصورتان فدلّتا على مدلول واحد عند عامة العرب .

ومن الصور اللهجية أيضاً (اضمحَلَّ الشيءُ وامضحلَّ) (١). وقد ذكر ابن منظور : " وفي لغة الكلابيّين امْضَحَلَّ , بتقديم الميم , حكاها أبو زيد " (٢). وذكر الفيومي : " اضمحل الشيء اضمحلالاً ذهب و فنى , وفي لغة امضحَلَّ بتقديم الميم ..." (٣).

ومن ذلك أيضاً (عَثِيَ وَعَثا) بمعنى أفسَدَ , مقلوبين من عاث (٤). ويرى أبو عثمان السرقسطي أن عَثِيَ وعَثا أفصح من عاث (٥). ووردَ في لسان العرب :" وقال اللحياني : عَثَى لغة أهل الحجاز , وهي الوجه , وعاث لغة بني تميم , قال : وهم يقولون : و لا تعيثوا في الأرض ... (٦).

---

(١) السرقسطي : ٢ / ٢٤٣ وابن القطاع : ٢ / ٢٨٩ .

(٢) ابن منظور (ضحل) ١١ / ٣٩٠ وانظر : الرازي , مختار الصحاح , ص ٢١١.

(٣) الفيومي , المصباح المنير : ٢ / ٢٨٩ .

(٤) ابن القوطية , ص ١٩٤ و السرقسطي : ١ / ٣١٤ وابن القطاع : ٢ / ٤٠١ .

(٥) السرقسطي : ١ / ٣١٤ .

(٦) ابن منظور (عيث) ٢ / ١٧٠ .

(٧) انظر: إبراهيم أنيس , " مسطرة اللغوي ", ١٠- ١١ مجلة مجمع اللغة العربية , الجزء (٢٩) , ومقالته " ملك , ملاك , ملائك , ملائكة " , ٧- ١٤ , مجمع اللغة العربية – القاهرة , الجزء (٣١) ١٩٧٣.

(٨) أشار إبراهيم أنيس في مؤلفه (الأصوات اللغوية ص ٢١٢) إلى أن الهدف من القلب المكاني هو السهولة والتيسير .

(٩) جعفر عبابنة , " أصل الاشتقاق أم آليته " ص ١٠٤ – ١٠٥ .

ويرى إبراهيم أنيس أن تلك الظاهرة تعود قبل كل شيء إلى اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية في العربية " فالسلسة الجديدة الطارئة أكثر شيوعاً ودوراناً في الكلام من الأخرى "لذا يعدّ أصل (ملك) و (ملائكة) هو (لأك) لا (ألك) , لأن (ألك) أكثر شيوعاً , فالمقلوب عنده أكثر شيوعاً واستعمالاً من الأصل , لأن الجديد محبوب ومأنوس . وعزّز ذلك بأن (ألك) لا نظير لها في الساميات , أما (لأك) فلها نظير في السريانية والعبرية والحبشية (٧).

وكأن إبراهيم أنيس يعود بنا إلى السبب الرئيس لتلك الظاهرة , وهو الميل نحو السهولة والتيسير , فالأسهل هو الأكثر شيوعاً بين الناس (٨).

ويرى جعفر عبابنة أن هذا النوع من الاشتقاق كان مُنْتجاً في مرحلة تكوين اللغة , ولم يعد مُنتجاً الآن , فاللغة في مراحل نموها الأولى لم تترك وسيلة لتنمية ألفاظها إلا اتّبعتها (٩) .

ويعرف الأصل من الفرع بأمور عدّة , لعل أهمها التصريف الاشتقاقي , واعتماداً عليه فرّق معظم الصرفيين بين نوعين من الكلمات المقلوبة , فالكلمات التي تتساوى فيها الصورتان في التصريف والاستعمال عدّوا أوسعها تصرّفاً أصلاً وعدّوا الأخرى فرعاً عليها مقلوبة عنها ,نحو (أنى وآن) فالصورة الأولى هي الأصل والأخرى هي الفرع ,فـ (اضمحلّ) مثلاً هي الأصل , و (امضحلّ) هي الفرع , لأن الأولى لها مصدر فيما لم يرد للثانية مصدر على لفظها , إذ وردَ اضمحلال ولم يرد امضحلال . وأما الكلمات التي تتساوى فيها الصورتان في التصريف والاستعمال , فقد عدّوها من اللغات نحو (جذب وجبذ) (١) .

٣.الأفعال المقلوبة قلباً مكانياً في معاجم الأفعال :

لم تقتصر الكتب القديمة والحديثة التي أشارت إلى ظاهرة القلب المكاني أو درستها على الأفعال , بل تجاوزتها إلى الأسماء , لكنَّ دراستي هذه تقتصرُ على الأفعال المتعرّضة لهذه الظاهرة والمدوّنة في المعجمات الثلاثة المدروسة .

وقد رأيت أن أوزّع الأفعال المتعرضّة لتلك الظاهرة وفق حركة الأصوات المتبادلة في مواقعها في الفعل , على النحو الآتي (٢) :

أ- القلب بين صوتين متجاورين .
ب- القلب بين صوتين غير متجاورين , يفصل بينهما صوت آخر .
ج- القلب الحاصل بنقل صوت واحد من مكانه إلى مكان آخر .
د - القلب الحاصل بتغيير موقع صوت أو أكثر دون ترتيب .

أ. القلب بين صوتين متجاورين :

معظم المقلوب من الأفعال في تلك المعجمات من هذا النوع , و أكثر ما يقع هذا القلب في بداية الفعل الثلاثي أو في نهايته . ومن أمثلته في الفعل الثلاثي المجرد التي تقدّمت فيها العين على الفاء , ما يأتي :قولهم : جحا بالمكان .بمعنى أقام به ولزمه , كأنه مقلـــوبٌ عن حجا (١) ,و لم يذكر ابن القوطية هذا القلب , فقال : " حجأت بـــه : لزمتـــه " (٢), وربّما دلّ ذلك على أن حجا المتعرضة لتسهيل الهمز , هي الأصل . وقولهم : عَمَجَ في السير ومَعَجَ إذا لم يستقّر من نشاطه أو إذا أسرع في سيره (٣). ويذكر ابن القطّاع ذلـــك صراحةً : " عمجَ ... قلب معج " (٤). أمّا ابن القوطية فهو يذكرهما كلاً في موضعه دون أن يشير إلى أن أحدهما مقلوب عن الآخر , ودون أن يشير إلى أنهما يشـــتركان في المعنى العام (٥). وعكص وكأص : " عكصنا عند فلان ما شئنا , وكأصْنا , أي أكلنا , قال أبو حاتم هي همزة قُلبت عيناً , لأن بني تميم يخفّفون الهمزة حين تصير عيناً "(٦) . ويمكن تفسير ذلك بأن الفعل (عكص) مقلوب عن كعص المتطوّرة عن (كـــأص) بإبـــدال

(١) انظر : أبن جني , الخصائص : ٢ / ٧١ – ٧٢ .

(٢) انظر : محمد سليم عبد الفتاح , ظاهرة القلب المكاني في اللغة العربية , ص ١٧١ – ١٧٥ . ويرى يحيى جبر " أن القلب المكاني لا يحـــدث إلا بـــين الحـــرفين الثاني والثالث من أحرف الأصل ذلك أنهما مسندان للحـــرف الأول الذي هو العمود الفقري للدلالة , نحو : عسف – عفس , جذب – جبـــذ ..." الصـــوت لفظاً ومعنىً ", ص ٤١ مجلة اللسان العربي , العدد (٣٧) , ١٩٩٣. والواقع أن هذا غير صحيح على إطلاقه , ففي انقلاب يَئِسَ إلى أَيِسَ حدث القلب المكاني بـــين الحرفين الأول والثاني .

الهمزة عيناً , وهو شائع في العربية , إذْ وردَ عندابن القطاع : " (وكأصنا) عند فلان ما شئنا كأصاً أكلنا وكذلك كعصنا كعصاً (٧).

وذكر ابن القوطية " وكاص طعامه كيصاً : أكله وحـــده "(٨). وربما تطور هذا الفعل بدوره أيضاً عن كأص , كما تطور كأص إلى كعص تسهيلاً للهمزة لما تحتاج إليه من جهد نطقي واضح , وعند البحث عن معنى (عكص) نجد أنه " ضاق خُلُقه "(٩) ولم يُشر ابن منظور أيضاً إلى هذا القلب , وذكر (كأص) فقط (١٠), أما (عكص) .

فتدّل على معنى مغاير (١), وهذا يعني أن الأصل هو كـــأص , ثم تعرضـــت لتلـــك الظاهرة ولإبدال الهمزة عيناً .

ومن أمثلته أيضاً : قَفَخْتُه وفَقَخْتُه بمعى ضربت على رأسه بالعصـــا (٢) ,وقفـــس الرجل مثل فقس بمعنى مات (٣), وغير ذلك كثير .

---

(١) السرقسطي : ٢ / ٣١١ وابن القطاع : ١ / ١٩٣ .

(٢) ابن القوطية , ص ٢١٢.

(٣) السرقسطي : ١ / ٢٧٤ وابن القطاع : ٢ / ٣٦٠ وانظر : ابن قتيبة , أدب الكاتب , ص ٣٢٣ .

(٤) ابن القطاع : ٢ / ٣٦٠.

(٥) انظر : ابن القوطية (معج) ص ٢٩٤ (عمج) ص ١٩٠ .

(٦) السرقسطي : ١ / ٢٩١ .

(٧) ابن القطاع : ٣ / ١٠٣ .

(٨) ابن القوطية , ص ٢٢٩ .

(٩) المصدر السابق , ص ١٩٣ .

(١٠) ابن منظور (كأص) ٧ / ٨٤ .

(١) ابن منظور (عكص) ٧ / ٥٧.

(٢) ابن القطاع : ٣ / ١٧ وانظر : ابن منظور (فقخ) ٣ / ٤٦ .

(٣) ابن القطاع : ٣ / ٣٧ , ٤٦ وقد ذكر السرقسطي هذين الفعلين الدالين على معنى واحد كلاً في موضعه , دون أن يذكّر بما بينـــهما مـــن قلـــب (انظـــر: السرقسطي : ٢ / ١٠٨ , ٤ / ٤٠) وذكر ابن منظور ((قفس) ٦/ ١٧٩) أنهما لغتان .

(٤) السرقسطي : ١ / ٤٦٣ وابن القطاع : ١ / ٣١١ وقد ذكر ابن منظور الفعلين الدالين على هذا المعنى كلاً في موضعه دون أن يذكّر بما بينهما مـــن قلب (خشم) ١٢/١٧٨ , (شخم) ١٢/٣٢٠).

(٥) ابن القطاع : ٢ / ١٥٥.

(٦) ابن القوطية , ص ١٦٧ والسرقسطي : ٣ /٥٧٠ .

(٧) ابن منظور (سأد) ٣ / ٢٠١ , (وسد) ٣ / ٤٦٠ .

ومن أمثلة الفعل الثلاثي المزيد الحاصل فيه القلب بين صوتين متجاورين , بتقديم العين على الفاء : أخْشم اللحم وأشْخم بمعنى أنتن وتغير (٤), وأسأدت وأوسدت سرت الليل والنهار (٥), و لم يذكر ابن القوطية والسرقسطي إلا الفعل (أسأد) (٦). ووردَ الفعلان عند ابن منظور بهذا المعنى , كلاً في موضعه دون الإشارة إلى ما بينهما من قلب (٧).

والمرجح أن (أسأد) هي الأصل , تعرضت للقلب المكاني بتقديم عين الفعل على فائه وتأخير فائه لتحل محل العين , فأصبحت (أأسد) فاجتمعت همزتان فعمد إلى المخالفة بينهما سعياً للسهولة والتيسير , فسقطت الهمزة الثانية , وعوض عنها بالواو , فأصبحت (أوسد) , ففرّ الناطق من المقطع المحتوي على همزتين (ˀaˀ) إلى المقطع المحتوي على الحركة المزدوجة (awˀ) .

ومن أمثلة الفعل الثلاثي المجرد , الحاصل فيها القلب المكاني بين صوتين متجاورين في نهاية الفعل – أي بتقديم اللام على العين – ما يأتي :

تَهِم اللحم واللبن والريح بمعنى أنتن وتغير , مثل تمه (١). وقخا بطنه فسد مثل قاخ (٢), ونَزَغَ الشيء ونَغَزَ بمعنى أفسد (٣), وبلت الشيء وَبَتَلَه بمعنى قطعه (٤), ودأفْتُ على الأسير ودفوت بمعنى أجهزت عليه (٥).إذ سُهّلت الهمزة مع حدوث القلب المكاني بين عين الفعل ولامه .

---

(١) ابن القوطية , ص ١٣٤ والسرقسطي : ٣ / ٣٦٠ , ٣٦٨ وابن القطاع : ١ / ١١٩ .

(٢) السرقسطي : ٢ / ١٢٨ وابن القطاع : ٣ / ٦٢ .

(٣) السرقسطي : ٣ / ١٩٦ .

(٤) المصدر السابق : ٤ / ٦٨ وانظر : ابن قتيبة , أدب الكاتب , ص ٣٢٢.

(٥) ابن القطاع : ١ / ٣٦٨ .

(٦) السرقسطي : ٣ / ٢٩٧ , ٣٢٨.

(٧) المصدر السابق : ٣ / ٣١٧ , ٣٢٤ .

(٨) نحو : زخن وزنخ (السرقسطي : ٣ / ٤٧٣) وصَحِبَ وصَبِحَ بمعنى ضرب لونه إلى الحمرة (ابن القطاع : ٢ / ٢٤٠) و صكم وصمك بمعنى عضَّ (ابن القطاع : ٢ / ٢٤٥) وطمس وطسم بمعنى درس (ابن القطاع : ٢ / ٢٩٤) ...

(٩) ابن القطاع : ٢ / ١٧٦ .

(١٠) ابن القوطية , ص ١١٠ وابن القطاع : ٣ / ٢٢٨ – ٢٢٩ وانظر : ابن قتيبة , أدب الكاتب , ص ٣٢٣.

(١١) السرقسطي : ٢ / ١٥٣ .

(١٢) ابن القطاع : ٣/ ٢٦٥ .

وكثيراً ما تذكر المعجمات المدروسة الفعل ومعناه ثم تذكر مقلوبه , كلاً في موضعه من غير تذكير بما بينهما من قلب , نحو : دققْتُ الفم ودَقَمْته بمعنى كسرته (٦), ودكم الشيء ودمكه بمعنى كسره وطحنه (٧). وربما تطور أحد الزوجين (دمق – دقم) (دمك – دكم) عن الآخر , للقرب المخرجي بين القاف والكاف , وأمثلة هذا النوع من القلب المكاني الذي تقدمت فيه لام الفعل الثلاثي على عينه كثيرة جداً (٨) .

ومن أمثلة الفعل الثلاثي المزيد , الحاصل فيها القلب المكاني بين صوتين متجاورين في نهاية الفعل , أي بتقديم اللام على العين , ما يأتي :

استناع واستنعى بمعنى تقدّم ونفر وعطف (٩), وأنضبتُ القوس مثل أنبضْتُ إذ قرعتها بوترها فصوّتت (١٠). وأكمخ بأنفه إذا تكبّر وأكخم أيضاً مقلوب (١١), وأنعث في ماله وأنثع بمعنى أسرف(١٢)...

القلب الحاصل بين صوتين متجاورين فيما هو فوق الثلاثي :

وأمثلة هذا النوع كثيرة في معاجم الأفعال , منها : كعمر سنام البعير وكعرم : صار فيه شحم (١). وقول هُذيل : غَذْمَرْتك الشيء وغذرمتُكه , مقلوب بمعنى : بعتكه جزافاً من غير كيل ولا وزن (٢), وابعنقى واعبنقى بمعنى ساءَ خُلُقه (٣). وارْدعفَّت الإبل وادْرعَفَّت بمعنى مضت على وجوهها (٤).

(١) ابن القطاع : ٣ /١١١.
(٢) السرقسطي : ٢ / ٤٥ .
(٣) ابن القطاع : ١ / ١١٤ , ٢ / ٤١٠.
(٤) السرقسطي : ٣ / ١١٣ وذكر ابن القطاع أنه يُقال كذلك بالذال(مُعجمه : ١ / ٣٨٤).
(٥) السرقسطي : ٢ / ٣١٦ وابن القطاع : ١ /١٩٦ وابن قتيبة , أدب الكاتب , ص ٣٢٢ .
(٦) ابن القطاع : ٢ / ٢٦٢ – ٢٦٣ .
(٧) المصدر السابق : ٣ / ٦٥ .
(٨) السرقسطي : ٤/٢١٥ .

وفي الفعل الرباعي المضاعف حصل قلب مكاني بين كل صوتين متجـــاورين , أي بتقديم الثاني على الأول والرابع على الثالث , ومن أمثلتـــه في معـــاجم الأفعـــال : جهجهتُ بالأسد وهجهجْتُ به مقلوب بمعنى صحْتُ بـــه وزجرتـــه (٥). وصَأْصـــأْتُ وصأصَيْتُ وأصْأصْتُ من الرجل فرقْتُ منه (٦), وغير ذلك . وقد يرافق القلب المكـــاني تبدّلات صوتية نحو : حقحق وقهقه , فالقَهْقهةُ " استغراب الضحك وهـــي أيضـــاً الدلج الدائب , وقال الأصمعي : قلبَ الحاء هـــاء وقدّم القاف يريد الحقحقة "(٧) ونحو : ثَنْثن السقاء مثل مثمث (٨).بمعنى رشح , فرافق القلب المكاني تعاقب الميم والنون .

ب. القلب الحاصل بين صوتين غير متجاورين , ويفصل بينهما صوت آخر :

وحدث هذا النوع من القلب في الأفعال الثلاثية وغير الثلاثية , وهو قليل جـــداً إذا ما قورن بالنوع الأول .

١. الأفعال الثلاثية :

ومن الأفعال الثلاثية المتعرضة لهذا النوع من القلب (هَلِع) بمعنى حزن في لغـــة تميم , وغيرهم يقولون عَلِه (١), فتأخّرت الفاء على اللام , أي حلّت العين محل الهاء , والهاء محل العين مع وجود فاصل بينهما هو اللام . ومنها أيضـــاً (فـــاد) الزعفـــران والورس انْسحقا عند الدق وأيضاً داف (٢), وفيه حلت الدال محـــل الفـــاء , والفـــاء بدورها محل الدال , مع وجود فاصل بينهما هو الألف . وضاج السهم عن الهـــدف مال عنه وضاج الوادي اتّسع , وضاجت العظام تحرّكت من الهُزال . وضـــــاج مثـــل جاض (٣).

٢. ما هو فوق الثلاثي :

ومن أمثلته : أزْعَفْته , وكذلك أفزعته بمعنى رميته فقتلته من ساعته (٤), وطرثم وثرطم بمعنى أطرق من تكبّر أو غضب (٥), إذْ تقدمت اللام الأولى على الفاء, واعْفَنْقَس الرجل واعقنْفس ساء خلقه وتطاول على الناس (٦), واقْفعلّت أنامله واقلعفَّت بمعنى تشنّجت من برد وكِبَر (٧).

وقد يتعرض الفعل الواحد لأكثر من قلب ,فيعرف فيه ثلاثة أنماط تقليبيّة , ومن ذلك في معاجم الأفعال : ثَنِت اللحم وثَتِنَ وكذلك نثت بمعنى أنتن (٨). وذكر أبو عثمان السرقطي ثَنِت اللحم وثَتِنَ (٩).وذكر ابن قتيبة:" ثَنِت اللحم ونَثِتَ "إذا أنتن (١٠).

.

وخذْعبه وبَخْذعه وبَذْخَعَه بمعنى قطعه (١). وذحملتُ الشيء وذَملحته وذحلمته بمعنى دحرجته على الأرض , وبالدال المهملة أيضاً (٢). وزرْدبت الرجل وزَرْدَمته ورَزْدَبته

---

(١) السرقسطي : ١ / ١٧٢ .
(٢) ابن القطاع : ٢ / ٤٨٨ .
(٣) المصدر السابق : ٢ / ٢٨٦ .
(٤) ابن القطاع : ٢ / ٨٢ .
(٥) المصدر السابق : ٢ / ٣١٥ .
(٦) نفسه : ٢ / ٤١٠.
(٧) نفسه : ٣ / ٧١ .
(٨) نفسه : ١ / ١٣٧ .
(٩) السرقسطي : ٣ / ٦٢٩ .
(١٠) ابن قتيبة , أدب الكاتب , ص ٣٢٢ .
(١) ابن القطاع : ١ / ١١١ , ٣٢٩ .
(٢) المصدر السابق : ١ /٤٠٠ .
(٣) نفسه : ٢ /١١٢.
(٤) ابن القوطية , ص ٢٣٩ .
(٥) ابن القطاع : ٢ / ٢٠١.
(٦) السرقسطي : ٣ / ٤٦٦ وابن القطاع : ٢ / ٩٧ .
(٧) ابن القطاع : ١ / ٤١ .
(٨) ابن القوطية , ص ١٣٧ وانظر : السرقسطي : ٣ / ٦٢٠ .
(٩) ابن القطاع : ٢ / ٣١٦ .
(١٠) المصدر السابق : ٣ / ٦٦ .
(١١) نفسه : ٣ / ٦٨ .

و رَزْدَمته .بمعنى عصرت حلقه و(الزَرْدمة) الابتلاع وكذلك (الزَدْرَمة) , و(الزَّلدبة) (٣). فرافق القلب المكاني تبدلات صوتية تقرها القوانين الصوتية .

ج. القلب الحاصل بنقل صوت واحد من مكانه إلى مكان آخر :

أمثلة هذا النوع قليلة في معاجم الأفعال , إذا ما قورنت بأمثلة النـــوعين الأول والثاني , ومنها : دَهِشَ وشُدِه .بمعنى حار (٤), ويرى ابن القطاع أن دُهِش مقلوب من شده (٥).وزبحْتُ القربة وجزمتها : ملأتها (٦). وأثّفتُ القـــدر وثفّيتها وضعتهـــا علـــى الأثافي (٧). ووردَ عن ابن القوطية : " وثَفَوْت الشيء ثَفــْواً : كنت معـــه في أثـــره , كـــــأنه مقلوب عـــن أثَفْت الشيء : تَبِعْته .." (٨) .

د. القلب الحاصل بتغيير موقع صوت أو أكثر دون ترتيب :

وأمثلته قليلة أيضاً في معاجم الأفعال مقارنة بالنوعين الأول والثـــاني , ولكنـــها أكثر من النوع الثالث , ومنها : طَرْغَشَ الليل وغَطْرش .بمعنى أظلم (٩), وقصمل وقلصم .بمعنى قطع (١٠), وَمَرَّ يتقلعث ويتقعثل , إذا مرّ كأنه يتقلّع من وحل (١١).

ولم يكن القلب المكاني مجرد آلية (طريقة) سعى من خلالها العربي إلى الســـهولة والتيسير , بل كان أيضاً وسيلة من وسائل الاشتقاق , للتعبير عن معانٍ جديدة أو ظـــلال معانٍ , فقد لوحظ من خلال بعض هذه الأمثلة ما نجم عن التقديم والتأخير فيها مـــن تغير طفيف في المعنى , فأدى ذلك إلى وجود مداخل معجمية جديدة تحمـــل ظـــلالا معنوية جديدة ودقيقة , وهذا يعني أنه وسيلة من وسائل الاشتقاق في مرحلة ســـابقة في عمر اللغة .

وما زال القلب المكاني وسيلة فاعلة في إغناء العاميّة العربية , وخير دليل بروزها في كثير من اللهجات العربية الحديثـــة , نحو : ملعقة ومعلقة ,ومسرح ومرســـح , وزوج وجوز ... الخ .

وقد يقع القلب المكاني بُغية التيسير والاقتصاد في الجهدين العضلي والذهني عند التلفّظ بالكلمات , وقد يكون بعضه من اختلاف اللهجات , وإذا حـــدث في القبيلـــة الواحدة , فقد يكون مردّه الخطأ الناجم عن السرعة في الكلام وتـــدافع الحـــروف علـــى اللسان, أو الخطأ في إخراجها , لأن العربي لا يغير لغته .

ويلاحظ أن تعدد أنماط الفعل , بسبب القلب المكاني في الواقع الاستعمالي للغة, قد يسبب صراعاً بين هذه الأنماط , تكون الغلبة فيه للأكثر شيوعاً أو للأسهل نطقاً .

الفصل الرابع

التبدلات غير القياسية في الهمزة وفي أصوات العلة

تتصف الهمزة العربية بالاضطراب , فقد تعرضت إلى تبدلات غير قياسية مع بعض الأصوات الصحيحة , التي تشاركها في المخرج أو تقاربها فيه , وهي : الهاء والحاء والعين والغين . كما تعرضت إلى تبدلات مع أصوات العلة : الألف والواو والياء – وفق مذهب القدماء من علماء العربية – والذي تأتى لنا أنه ليس إبدالاً , بل هو سقوط عُوِّض عنه في عدد من الأمثلة , و لم يعوض عنه في عدد آخر منها .

و تعرضت أصوات العلة أيضاً إلى تبدّلات غير قياسية فيما بينهما , مما نجم عن هذه التبدلات نشوء الأفعال الواوية واليائية .

ويمكن تقسيم هذا الفصل على النحو الآتي :

أ. التبدلات غير القياسية في الهمزة , ويضم هذا الجزء من الدراسة :

١. وصف صوت الهمزة .

٢. تبدلاتها مع بعض الأصوات الصحيحة .

٣. سقوطها .

٤. إقحامها .

ب.التبدلات غير القياسية بين صوتي الواو والياء .

أ. التبدلات غير القياسية في الهمزة :

١.وصف صوت الهمزة :

حدّد سيبويه صوت الهمزة بأنه يخرج من أقصى الحلق , ووصفه بالجهر و الشّدّة (١) , ويرى علماء الأصوات المحدثون أنه يخرج من الحَنجرة عندما ينغلق الوتران الصوتيان انغلاقاً تاماً , فلا يُسمح بمرور هواء الصوت , فيتزايد ضغطه عليهما , فيؤدي إلى أن ينفتحا انفتاحاً مفاجئاً ,فيُسمع صوت انفجاريّ , هو صوت الهمزة , أي يكوّن الانفجار صوت الهمزة (٢) .

وهو بذلك صوت حنجري شديد , وقد اختلف المحدثون في وصفه بالهمس أو الجهر , فيرى بعضهم أنه مهموس ؛ لأن الوترين الصوتيين معه يغلقان تماماً , فلا يحدث فيهما الاهتزاز اللازم لصفة الجهر (٣). ويرى آخرون أنه ليس بالمهموس ولا بالمجهور ؛ " لأن فتحة المزمار معهما مغلقة إغلاقاً تاماً , فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين , ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار , ذلك

الانفراج الفجائي الذي يُنتج الهمزة " (٤) , فوضع الأوتار الصوتيّة عند النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يُسمّى بالجهر أو ما يُسمّى بالهمس (٥) .

و وفق الوصف السابق , فصوت الهمزة صعب جداً , تقتضي آلية نطقه من المتكلم جهداً عضلياً كبيراً , وهذا ما يفسر الميل إلى التخلص منه بسقوطه أو إبداله . أمّا الميل إلى عكس هذه الظاهرة , أي الميل إلى إبدال القاف همزة , فأصبح مظهراً من مظاهر اللهجة الحضريّة , وهو ناجم عن الرغبة في التمدّن (٦) .

٢. تبدلاتها مع بعض الأصوات الصحيحة :

حفظت معاجم الأفعال أنماطاً ظهر فيها تبدّل الهمزة مع ما يُشاركها في المخرج أو مع ما يقاربها فيه من الأصوات , وهذه الأنماط هي :

الهمزة والهاء , والهمزة والعين , و الهمزة والحاء , و الهمزة والغين .

مخرج صوتي الهمزة والهاء واحد عند سيبويه , وهو أقصى الحلق (١) , وهو في الدراسات الصوتية الحديثة الحنجرة . ويختلف صوت الهمزة عن صوت الهاء في أن صوت الهمزة ينطلق بإغلاق الوترين الصوتيين إغلاقاً تاماً , أما صوت الهاء فينطلق

---

(١) سيبويه , الكتاب : ٤ / ٤٣٣ , ٤٣٤.

(٢) إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ص ٩٠ , وعبد الله ربيع محمود وعبد العزيز أحمد علام , علم الصوتيات , ص ٩٣ , وتمام حسان , مناهج البحث في اللغة , ص ١٢٥ , وعبد الصبور شاهين , المنهج الصوتي للبنية العربية ٢٨ .

(٣) تمام حسان , مناهج البحث في اللغة , ص ١٢٥ وعبد الرحمن أيوب , أصوات اللغة , ص ١٨٣ , ٢١٧ .

(٤) إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ص ٩٠ .

(٥) كمال بشر , علم اللغة العام : الأصوات العربيّة , ص ١١٢ وانظر : محمود السعران , علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي ص ١٥٧ وردّ على هذا الرأي عبد الرحمن أيوب في كتابه " أصوات اللغة " ص ١٨٣ – ١٨٤ .

(٦) إسماعيل عمايرة , تطبيقات في المناهج اللغوية , ص ٢٠٤ .

بتضييق الوترين الصوتيين , فالهمزة صوت انفجاري والهاء صوت احتكاكي ,كما أن الهمزة لا يمكن وصفها بالهمس أو الجهر , أمّا الهاء فصوت مهموس (٢).

وبما أنّ مخرجيهما واحد فإن حدوث تبدّل صوتي بينهما ممكن ووارد , وقد سجّلت معاجم الأفعال أمثلة تظهر تحولات صيغة (افعالّ) في العربية , ومنها (افعألّ) بإقحام الهمزة , تخلصاً من المقطع الطويل المغلق بصامت , لما يحتاج إليه الناطق من جهد عضلي كبير في أثناء نطقه لهذا المقطع , مثل : احمارّ , التي تحوّلت إلى احمأرّ (٣) .

وقد بالغ بعض العرب في تحقيق الهمزة في صيغة (افعألّ) فقلبها عيناً , نحو ابذَعرّ ,ومال بعضهم إلى تسهيلها بعض الشيء فقلبها هاءً (٤), نحو : ادلهمّ الشيء بمعنى اسودّ من الفعل (دلم) (١) , فربما تطورت أيضاً على النحو الآتي (٢) :

ادلأمّ ← ادلهمّ

(١) سيبويه :٤٣٣/٤.

(٢) رمضان عبد التواب , المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي , ص ٥٦ .

(٣) انظر : إسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف : ٥٠ – ٦٠ , وفيه يعرض آراء بعض القدماء والمحدثين في صيغة افعألّ وعلاقتها بافعالّ , ثم يقدّم رأيه مؤيداً فيه رمضان عبد التواب , و داعماً إياه بمجموعة من الاعتبارات .

(٤) انظر : رمضان عبد التواب , فصول في فقه العربية : ٢٢٠ , ٢٢٢ .

(١) السرقسطي : ٣ / ٣٣٢ , ٣٥١ .

(٢) رمضان عبد التواب , فصول في فقه العربية , ص ٢٢٢.

(٣) السرقسطي (أبز) ٩٨/١ (هبز) ١ / ١٦٢, وابن القطّاع (أبز) ١ / ٤١ , (هبز) ٣ / ٣٥٥ , وانظر : أبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٢/ ٥٧١, وأبز وهبز عنده يعنيان وثب , وانظر : السيوطي , المزهر : ١ / ٤٦٢ .

(٤) السرقسطي : ٨٩/١ وابن القطاع : ٥٦/١ والسيوطي , المزهر : ١/ ٤٦٩ .

(٥) ابن القوطيّة , ص ١٢ و السرقسطي : ١٢٩/١ وانظر : سيبويه , الكتاب : ٢٣٨/٤ وابن قتيبة , أدب الكتاب , ص ٣١٧ والزجاجي , الإبدال والمعاقبة والنظائر , ص ٢٩ , وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٥٦٩/٢ , وابن منظور (روق) ١٣٥/١٠ , (هرق) ١٠ / ٣٦٨ والسيوطي , المزهر : ٤٦٢/١ .

(٦) السرقسطي : ٨٢/١ , وانظر : ابن منظور (أضض) ٧/ ١١٥ .

(٧) سيبويه : ٤/ ٤٣٣

فأبدلت الهمزة هاءً , طلباً للسهولة والتيسير , فالهاء أسهل نطقاً من الهمزة , وسيأتي تفصيل هذا الموضوع في أثناء الحديث عن تحولات الصيغ في معاجم الأفعال .

ومن الأنماط التي ظهر فيها الإبدال التاريخي بين هذين الصوتين في معاجم الأفعال أيضاً أبز الرجل وهبز بمعنى مات (٣) ,و أ ذّ الشيء وهذّه بمعنى قطعه (٤) ,وأرقْتُ الماء وهرقْته (٥) , وأضّ الشيء وهضّه : كسره (٦) .

و الفرق بين مخرجي العين والهمزة ليس كبيراً , إذ إنّ الهمزة صوت وتري حنجري , و العين صوت يخرج من وسط الحلق (٧) , لذا فإن إمكان حدوث إبدال بينهما مما تقّره القوانين الصوتية .

وقد ذُكر سابقاً أن العرب إذا أرادوا المبالغة في تحقيق الهمزة فإنهم يقلبونـــها عيناً , وسيظهر ذلك عند الحديث عن تحولات صيغة (افعالَّ) كما في (اقشعرَّ) التي يرى بعض العلماء أنها تطوّر عن اقشأرَّ .

وورد في اللغة أمثلة كثيرة لانقـــلاب الهمزة عيناً ,ويُرجَّحُ أنها من عنعنة تميم , يقول ابن القطّاع:"والعنعنة حكاية كـــلام , وهي أيضاً في كلام تميم ,جَعْلُ الهمزة عيناً "(١) .

وقد انتشرت ظاهرة العنعنة في اللهجات القديمة ,واستمـــرت في اللهجات المعاصرة , و من ذلك مثلاً نطق بعض أهالي جنوبي الأردن للفعل (سأل) وما يُشتق منه , بإبدال الهمزة عيناً , وسجلت معاجم الأفعال أمثلة على هذا الإبدال الصوتي التاريخي منها بلأص: عدا من فزع وبلعص مثله وبلهس أيضاً (٢). وقد جاء في لسان العرب:"بلهص كبلأص

---

(١) ابن القطاع : ٤٠٥/٢ , وانظر : السيوطي , المزهر : ٢٢١/١ – ٢٢٢ .

(٢) ابن القطاع : ١١٢/١ .

(٣) ابن منظور (بلأص) ٧ /٨ .

أي فرَّ وعدا من فزع وأسرع ...., وقد يجوز أن يكون هاؤه بدلاً من همزة بلأص"(٣) فلم يذكر الفعل بلعص , وربّما سهلت الهمزة فنطقت هاءً في (بلهص) وبولغ في تحقيقها فنطقت عيناً في بلعص ,ومن الأمثلة أيضاً تجمأتُ في ثيابي : تجمعّتُ (٤) .

وربما تطور الفعل (ترأّد) من الفعـــل (ترعّدَ) " يُقال ترأّدْتُ في قيامي :إذا أخذتك رِعْدَة حين تقـــوم ..." (٥) , وتلَعْلَعَ السراب إذا تلألأ(٦) .وكأصْنا وعكصنا عند فلان ما شئنا , أي أكلنا (٧) , فالأصل كأص ثم أبدلت الهمزة عيناً فأصبحت كعص , ثم تعرضت للقلب المكاني , فأصبحت عكص .

ويفسر صلاح الدين حسنين هذه الظاهرة بأنها من باب المماثلة الصوتية ؛ إذ يقول : " إذا أُتبعت الهمزة بصوت مجهور , فإن الصوت المجهور يؤثر على الهمزة فتتحول إلى نظيرها المجهور , وهو العين " (٨) . وأرى أنه لا يمكن تعميم ذلك , لأن الهمزة قد تحولت إلى العين في بعض الأمثلة غير المسبوقة أو المتبوعة بجهر , نحـــــو : (كأس و كعص).

كما يُناظر صوت الحاء صوت العين , فمخرجهما واحد وهو وسط الحلق , ولا فرق بينهما إلا في أن صوت الحاء هو النظير المهموس لصوت العين (١),والهمزة صوت وتـــريّ أو حنجري , فهما بذلك متقاربان في المخرج , لذا فإن الإبدال الصوتي التاريخـــي بينهما ممكن , وربما كان الهدف الرئيس من هذا الإبدال هو الميل نحو تسهيل الهمزة , التي تفوق الحاء صعوبةً .

---

(٤) ابن القطاع : ١/ ١٧٩ وانظر : السرقسطي : ٣١٩/٢.

(٥) السرقسطي : ١١٢/٣.

(٦) المصدر السابق : ٢/ ٤٧٨ .

(٧) نفسه : ٢٩١/١ وانظر : ابن القطاع : ١٠٣/٣ ,وابن منظور (كعص) ٨٥/٧ ,و (كأص) ٨٤/٧ .

(٨) صلاح الدين حسنين , المدخل إلى علم الأصوات : ١٦٧.

وقد سجّلت معاجم الأفعال أمثلة قليلة علـــى هذا الإبدال , منها : آن الشيء و حان , وآن لك أن تفعل مثله (٢) وتأرّيت وتحرّيت (٣) . وفَطِئَ : دخل وسط ظهره خلقة كالفطح , و فَطِئَ في أهله نام نوماً ثقيلاً , وفَطِحَ مثله (٤) . وأبش وهبش وحبش بمعنى جمع (٥) . وربما حدث التغير في المثال الأخير بين الهمزة والهاء أولاً , لأنهما من مخرج واحد , وهو الحنجرة , ثم أبدلت الهاء حاء .

توصف الهمزة بأنها صوت حنجريّ, والغين بأنها صوت رخـــو مجهور ,مخرجـــه أدنى الحلـــق إلى الفـــم (٦) ,فإمكان حدوث تبادل صوتي بين هذين الصوتين أمرٌ واردٌ للقرب المخرجي بينهما ,كما أنّ قانون السهولة والتيسير يتدخّل ,فالعين مع صعوبتها أسهل نطقاً من الهمزة.

والأمثلة على تعاقبها في معاجم الأفعال قليلة جداً , منها : آبت الشمس لغة في غابت (٧) , وماغت السِّـــنَّوْر تموغ مثل ماءت (٨) .

٣. سقوط الهمزة :

قد تحل الحركات الطويلة (Long vowels) وأشباه الحركات (Semi vowels) محل الهمزة في بنى الكلمات , من غير أن يؤدي ذلك إلى تغير في المعنى , فصوت الهمزة

---

(١) إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ص ٨٨ .

(٢) ابن القوطية , ص ١٨١ , وابن القطاع : ٥٧/١ .

(٣) السرقسطي : ١٢٥/١ .

(٤) ابن القوطية , ص ٢٩٢ وابن القطاع : ٤٨٤/٢.

(٥) ابن القطاع : ٣/ ٣٤٧ وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٥٥١/٢ .

(٦) إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ٨٧ .

(٧) ابن القطاع : ١ / ٦١ .

(٨) السرقسطي : ٤/ ٢٠٩ وأبو الطيب اللغوي , الإبدال : ٥٥٩/٢ .

صوت غير مستقر, لثقله وصعوبته – كما أسلفنا القول – إذ يخرج من أقصى الحلق مع نبرة قوية تكلف جهاز النطق البشري جهداً إضافياً. كما أنه شبيه بأصوات المدّ في بعض الأحيان (١) ,وربما لهذا السبب جعلها الخليل بن أحمد مع أصوات المدّ التي تخرج من الجوف , فألحقها بالألف والواو والياء (٢), ولهذا السبب أيضاً اعتذر عن عدم البدء بها , فقال : " لم أبدأ بالهمزة , لأنها يلحقها النقصُ والتغييرُ والحذف "(٣).

إن إحلال صوت المـــد محل صوت الهمزة ظاهرة سامية قديمة , فمن ذلك أن " البابلية – الآشورية قد تركت الهمزة في كثير من المواقع وعوضت عنها بمد صوت المد القصير السابق لها , وكذلك الحال في الآرامية "(٤).أما اللهجات العربية القديمة فقد اختلفت في تعاملها معها , فجنحت طائفة منها إلى تحقيقها , في حين جنحت أخرى إلى تسهيلها أو تخفيفها , وأهل التحقيق هم أكثر أهل نجد, وبخاصة تميم وقيس , أما أهل التخفيف فهم أكثر أهل الحجاز , وبخاصة قريش وهُذَيْل(٥).

وفي سبب التخفيف عند الحجازيين يقول عبد الحليم النجار:" يعيا الباحث بالوقوف على السبب في اطراد تخفيف الهمزة عند عامة أهل الحجاز , وقد يكون ذلك إلى أنهم , وقد كانوا أفصح العرب , كانوا يؤثرون الميل إلى السلاسة وسهولة التعبير , وتجنب الثقل في النطق على وجه العموم . وربما يبدو أيضاً أن الحجازيين كانوا بسبب من الروم في جوارهم والتعامل معهم في رحلاتهم إلى الشام للتجارة وغيرها , فأخذوا عنهم التخفيف, على حين ظلت تميم وقيس – وكانوا في نجد – بمعزل عن الاختلاط بالأجنبي , فبقيت على التحقيق والنبر " (١) .

---

(١) مكي بن أبي طالب , الرعاية : ٩٦, وأحمد مختار عمر , دراسة الصوت اللغوي, ٣٤٦.

(٢) ابن منظور , لسان العرب : ١ /١٣ , وانظر غالب المطلبي , في الأصوات اللغوية , دراسة في أصوات المد العربية : ١٨٢ , ٢٧٣ .

(٣) السيوطي , المزهر : ١ /٩٠

(٤) غالب المطلبي , في الأصوات اللغوية : ٢٧٤ وانظر: بروكلمان , فقه اللغات السامية : ٤١.

(٥) انظر : سيبويه , الكتاب : ٣ / ٥٤٢ , ٥٥١ – ٥٥٣ , وابن دريد , جمهرة اللغة : ٣ / ٢٩٣ . وابن سيده , المخصص : ٥ / ٥٤ , والمصدر نفسه : ١٤ /١٣ وابن منظور , لسان العرب : ١ /١٨, ٢٢وأبو حيان الأندلسي , البحر المحيط : ٧ /٢١١ وابن الجزري, النشر في القراءات العشر : ١ /٤٠٤. وإبراهيم أنيس , في اللهجات العربية : ٧٥ – ٧٦ .

ويرجح بعض العلماء " أن اللهجات الحجازية كانت تلفظ الكلمات التي من قبيل بئر وشؤم وكأس مثلما تفعل في الكلمات التي من قبل رُسل و إِبِل وقِمَع ... الخ, وهذا يعني أن الهمزة كانت تجيء بين صوتي مد قصيرين فكان أن خضعت إلى قانون صوتي أطلق عليه قانون الوقوع بين صوتي مد Intervocalic Position إذ إن موقعاً من هذا القبيل قد يؤدي بالصامت إلى الاضمحلال أو الضعف أو الانحراف عن مخرجه "(٢).

وإذن , فقد يكون السبب في ذلك ميلهم إلى السهولة والتخفيف , الذي أخذوه عن غير العرب , لاختلاطهم وتعاملهم معهم , ولعل هذا الميل يرتبط بطريقة نطقهم الهمزة , إذ يجعلونها تجيء بين حركتين قصيرتين , وهذا يؤدي بالهمزة إلى الضعف والاضمحلال.

و تظهر المقارنات السامية " أن الهمز طور تاريخي أذهب في القدم من طور التسهيل وهذا يعني أن اللهجات الحجازية قد عرفت الهمز في طور متقدم من حياتها " (٣) ثم تعرض للتخفيف .

واعتماداً على ما أظهرته تلك المقارنات , وعلى ما اختارته العربية المشتركة – التي نزل بها القرآن الكريم بعد أن وصلت مرحلة الازدهار – سأجعل البنية المهموزة هي الأصل (البنية العميقة) , والبنية الخالية منها , هي الفرع (البنية السطحية) .

وقد أودع أصحاب المعاجم المدروسة مصنفاتهم أمثلة كثيرة جاءت بالصورتين : العميقة المهموزة , والسطحية غير المهموزة , ويمكن تقسيم هذه الأمثلة على النحو الآتي :

أ. أمثلة سقطت منها الهمزة , فعوض عنها بمطل الحركة .

ب.أمثلة سقطت منها الهمزة , فعوض عنها بانزلاق شبه حركة.

---

(١) عبد الحليم علي محمد النجار ," من مباحث الهمزة في العربية " مجلة كلية الآداب , جامعة القاهرة , المجلد الحادي والعشرون , الجزء الأول , ١٩٥٩م, مطبعة جامعة القاهرة , ١٩٦٣.

(٢) غالب المطلبي , في الأصوات اللغوية : ١٨٠ وانظر: ماريوباي , أسس علم اللغة : ١٤٣.

(٣) غالب المطلبي , في الأصوات اللغوية : ١٧٩ , وانظر : بروكلمان , فقه اللغات السامية : ٤١.

ج. أمثلة سقطت منها الهمزة دون أن يعوض عنها .

أ. سقوط الهمزة والتعويض عنها بمطل الحركة :

جعل علماء العربية القدامى تخفيف الهمزة الساكنة,التي قبلها فتحة من باب إبدال الهمزة ألفاً ,فقد قال سيبويه : "و إذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة,فأردت أن تخفف أبْدلتَ مكانها ألفاً وذلك قولك في : رَأْسٍ وبَأْس وقَرَأْت:راس وباس وقرات ..." (١). ولعل الحادث هو سقوطها ؛ لصعوبتها , والتعويض عنها بإشباع الحركة القصيرة السابقة لها,كما حدث في البابلية – الآشورية والآرامية (٢).

ومن الأفعال التي تعرضت لذلك الواردة في المعاجم المدروسة :

أخطى وأخطأ (٣), ويمكن توضيح ما حدث على النحو الآتي:

ʾaḫṭaʾa > ʾaḫṭa* > ʾa ḫṭā

التعويض بمطل الحركة سقوط الهمزة الأصل (أخطأ)

إذ سقطت الهمزة, وعوض عنها بمطل الحركة,وهذا إذا كان الأصل هو (أخطأ) بمعنى جانب الصواب,أما إذا كان من الفعل(خطا) بمعنى فتح ما بين قدميه في المشي, فتكون على همز غير المهموز توهماً ومبالغة في التفصح, على النحو الآتي :

ʾaḫṭā > ʾaḫṭaʾa

و من ذلك أيضاً:كَلأَ الدين بمعنى تأخّر ," ويُقال أيضاً : كلا الدَّيْن كُلُوّاً بلاهمز"(١), فالهمز هو الأصل (٢), وتَنَأَ بالمكان , بمعنى أقام , وتنا , " بلا همز كذلك" (٣), وأَبَزَ الرجل يابِز : إذا عدا ووثب (٤) , فالبنية العميقة لمضارعه هي (يَأْبِز) , ويمكن توضيحها على النحو الآتي :

yaʾbizu > ya*bizu > yābizu

---

(١) سيبويه , الكتاب : ٣ / ٥٤٣ وابن منظور : ١ /١٩ ورمضان عبد التواب , مشكلة الهمزة العربية : ٣٣.

(٢) انظر: بروكلمان , فقه اللغات السامية : ٤١ ورمضان عبد التواب , مشكلة الهمزة العربية : ٤٩, وغالب المطلبي , في الأصوات اللغوية :٢٧٤ , وصلاح الدين حسنين , المدخل إلى علم الأصوات : ١٥٨ , ١٦٣, ١٦٧ , وعبد الفتاح الزين , بين الأصالة والحداثة , قسمات لغوية في مرآة الألسنية: ٢٧ – ٢٨ .

(٣) ابن القوطية : ٣٧ وابن القطاع : ١ /٣٢٢ وابن سيده , المخصص : ١٤ / ٢.

التعويض عنها بمطل سقوط الهمزة الأصل
الحركة السابقة لها

وأمِرَ بنو فلان , فهم يامَرون : إذا كَثُروا (٥) ,فأصل مضارعه (يأْمَر) .

ب. سقوط الهمزة والتعويض عنها بانزلاق شبه حركة :

ذهب علماء العربية القدامى إلى أن الهمزة أبدلت ياءً أو واواً (٦) في بعض الأمثلة,ولعل الحادث هو سقوطها ,والتعويض عنها بإقحام شبه الحركة (w) أو (y) . وقد سمى بعض المحدثين من علماء اللغة هذا الصوت المُقْحَم الصوت الانزلاقي أو الانحداري , ويتحدّد نوعه بنوع الحركتين اللتين تكتنفانه , فإن كانت إحدى الحركتين كسرة , كان الصوت الانزلاقي ياء مطلقاً , وإلا كان ذلك الصوت واواً (٧).

ومن الأمثلة الواردة في معاجم الأفعال , التي انزلقت فيها الياء عوضاً عن الهمزة المحذوفة : أضْأَلَ الوادي : إذا كثر ضَأْلُه ؛ وهو السِّدْر البرّي , و " أضيل لغة "(٨), ويمكن توضيحه على النحو الآتي : ʾaḍʾaLa > ʾaḍ*aLa > ʾaḍyaLa

التعويض بانزلاق شبه الحركة حذف الهمزة الأصل المهموز

وجَنِئَ , ارتفع منكباه , شبيه بالحدب , وجَنِيَ بلا همز مثله (٩), وتمثيل ذلك بالكتابة الصوتية : ğaniʾa > ğani* > ğaniya

وأرى أيضاً أنه يمكن تفسير ما حدث في هذا الفعل (جَنِئَ) بأنه من باب المماثلة الصوتية بين الهمزة والكسرة , إذ أثرت الكسرة التي تسبق الهمزة فيها ؛ لعدم وجود فاصل صامتي أو صائتيّ بينهما , فانقلبت الهمزة ياءً , وقد يسوغ هذا التماثل بينهما مشابهة الهمزة أحرف المد, فقد أشار اللغويون العرب إلى أنه إذا استمر أداء أصوات المد الطويلة , فإنها تنتهي إلى موقع الهمزة (١).

---

(١) السرقسطي : ٢ / ١٥٩ .
(٢) ابن القوطية : ٦٧ وانظر : ابن منظور (كلأ) ١ / ١٤٧.
(٣) ابن القطاع : ١ / ١٢٤ وانظر : الفيومي , المصباح المنير : ٢ / ٩٤١.
(٤) السرقسطي: ١ / ٩٨.
(٥) المصدر السابق: ١ /١٠٠.
(٦) انظر : سيبويه , الكتاب ٣ / ٥٤٣ وابن سيده , المخصص : ١٤ / ١٣ وابن منظور : ١ /١٩.
(٧) رمضان عبد التواب , مشكلة الهمزة العربية : ٣٤ وانظر : نفسه : ٥٠ , وماريوباي, أسس علم اللغة : ١٥٠.
(٨) ابن القوطية : ٩٠ والسرقسطي : ٢ / ٢١٨ .
(٩) السرقسطي : ٢ / ٣٠٧ وابن القطاع : ١ / ١٨٤ وانظر : ابن منظور (جنأ)١ / ٥٠ –٥١ , و (جنى) ١٤ / ١٥٦ .

ومن ذلك أيضـــاً : أرْجَأْته وأرْجَيْته , بمعـــنى أخّرته (٢), فالهمز هو الأصل وتركـــه لغة (٣), وتوضيح ذلك بالكتابة الصوتية :

ʾarğaʾtu > ʾarğa*tu > ʾarğaytu

البنية السطحية (انزلاق شبه الحركة) سقوط الهمزة البنية العميقة

وكذلك الأمر في : روَّأْتُ في الأمر وروَّيْتُ (٤) , وقد عدّها ابن قتيبة مـــن لحـــن العامة (٥) .وبهيتُ بالشيء؛ بمعنى أنِسْتُ به " لغة في بهأْتُ به "(٦).

ومن أمثلة ما انزلقت فيه الواو عوضاً عن الهمزة المحذوفة : آخذ و واخذ(٧) إذ سقطت الهمزة من (آخذ)للمخالفة الصوتية ,وعوض عنها باجتلاب شبه الحركة (W) ؛ إذ لا تسمح المقطعية العربية البدء بحركة ؛ فنشأ الفعل (واخذ) , وذلك على النحو الآتي :

ʾāẖaḏa > *āẖaḏa > wāẖaḏa

وقد عدّها بعضهم من لحن العامة , نحو واتيته على الأمر و واجرته على الدابة , ووازيته ؛ بمعنى حاذيته , فالأصل فيها : آتيته وآجرته وآزيته (٨).

ومن ذلك أيضاً : بَرَأْتُ من المرض وبَرَوْت (٩), كما في المخطط الآتي :

bara'tu > bara*tu > barawtu

و رفوتُ الثوب مثل رفأْته , وكذلك رفيْته , " على تحويل الهمزة إلى الياء"(١), وعدّ ابن قتيبة (رَفَوْت) من لحن العامة (٢), فتتصارع بذلك الصـــيغ (رَفَـــأْت , ورَفَـــوْت , ورفَيْتُ) في الاستعمال اللغوي . ونَشَوْتُ في بني فلان مثل نَشَأْتُ (٣), وعدّها أيضاً ابن قتيبة من لحن العامة (٤).

---

(١) انظر : الأزهري , تهذيب اللغة : ١ / ٤٣ وابن جني , الخصائص : ٢ / ٣٢٠.
(٢) ابن القوطية : ١٠٥ والسرقسطي : ٣ / ٦٠ , ١٠٦ – ١٠٧ .
(٣) ابن منظور (رجأ) ١ / ٨٣ , ٨٤ .
(٤) السرقسطي : ٣ / ١١١ وانظر : ابن سيده, المخصص : ١٤ / ٧.
(٥) انظر: ابن قتيبة , أدب الكاتب : ٢٤٢.
(٦) السرقسطي: ٤ / ٩٣.
(٧) ابن القطاع : ١ /٤٣.
(٨) ابن قتيبة , أدب الكاتب : ٢٤٢ , وابن الجَوْزي , تقويم اللسان : ٦٢.
(٩) السرقسطي : ٤ /٩٢ وانظر : ابن سيده , المخصص : ١٤ / ٢.

(١) السرقسطي : ٣ / ٥٧ وانظر : ابن سيده , المخصص : ١٤ / ٣ وابن منظور : ١ /١٩.
(٢) ابن قتيبة , أدب الكاتب : ٢٤٢.
(٣) السرقسطي: ٣ / ١٧٦ وانظر : الفيومي , المصباح المنير : ٢ / ٩٤١.

و نخلص من خلال عرض بعض الأمثلة إلى أن ما حدث هو سقوطٌ للهمزة صاحبه تعويض عنها,إما بإطالة الحركة القصيرة السابقة لها,و إما بانزلاق شبه الحركة (w) أو (y) .

ج. سقوط الهمزة دون التعويض عنها :

قد تحذف الهمزة من الفعل دون أن يُسْتعاض عنها بشيء , ومن أمثلة ذلك في معاجم الأفعال : رأيت في النّوم رُؤْيا حسنة , و "وتُليَّن الهمزة أيضاً فيقال رايت رُويا حسنة "(٥), كما في المخطط الآتي : ra>aytu > ra*aytu

إذ حذفت الهمزة المفتوحة و بقيت فتحتها فاندمجت مع الفتحة السابقة عليها؛ فتولد من دمجهما الفتحة الطويلة (ā) ,وإذا حدث ذلك , فإن الدمج قد يكون وجهاً من الوجوه المحتملة لتفسير الفتحة الطويلة , والوجه الثاني , هو أن الهمزة قد حذفت مع فتحتها ثم عوض عنها بإطالة فتحة الراء (٦), ونحو ذلك أيضاً (سأل يسأل) التي يخففها بعضهم , فيقول : (سال يسال) (٧).

ويرى علماء العربية القدامى أنه تخفيف بجعل هذه الهمزة بين بين , وهي همزة لينة ضعيفة , تكون بين الهمزة والألف اللينة (٨) , وقد وصفها ابن جني بأنها صوت " بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها – إن كانت مفتوحة فهي بين الهمزة والألف , وإن كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء , وإن كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو , إلا أنها ليس لها تمكّن الهمزة المحققة ..." (١),

---

(٤) ابن قتيبة , أدب الكاتب : ٢٤١.

(٥) السرقسطي : ٣ / ٥٠ وانظر : ابن منظور : ١ /٢٠.

(٦) يحيى عبابنة , دراسات في فقه اللغة : ١٠٢ – ١٠٣ .

(٧) انظر: السرقسطي : ٣ /٥٥٩ , وابن سيده , المخصص : ١٤ / ١٤ , وابن منظور (سأل) ١١ / ٣١٨ .

(٨) انظر: سيبويه , الكتاب : ٣ / ٥٤١ –٥٤٢ , و مكي بن أبي طالب , الرعاية : ١٤٧. وابن سيده , المخصص : ١٤ / ١٣ وابن منظور : ١ /١٩.

(١) ابن جني , سر صناعة الإعراب :١ / ٤٨ , وانظر : ابن منظور , لسان العرب (بين) ١٣ / ٦٦ .

(٢) انظر: رمضان عبد التواب , مشكلة الهمزة العربية : ٢٨ , ٣١ , ٥٠ .

(٣) ماريوباي , أسس علم اللغة : ١٥٠ وانظر: رمضان عبد التواب , مشكلة الهمزة العربية : ٢٨.

(٤) انظر : إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية: ٩١.

(٥) السرقسطي : ٣ / ١٦٨.

(٦) ابن القوطية : ٢٤٦ , والسرقسطي : ٢ / ٢٣٨.

وهمزة بين بين هي نوع من التقاء الحركات , عند بعض المحدثين من علماء اللغة العربية ؛ إذ تسقط الهمزة , فتلتقي حركتها مع حركة ما قبلها , فتُجْعل حركة واحدة طويلة تقوم في زمن النطق , إذا كانتا من جنس واحد (٢). ويسمي علماء الغرب التقاء الحركتين على هذا النوع , من غير تحويلهما إلى صوت مزدوج – باسم : Hiαtus ولا يتحقق هذا الالتقاء إلا بوقف الناطق وقفة خفيفة بين الحركتين ليتمكن من نطق كل منهما على حده, وهذا يسبب صعوبة ؛ إذ يكلفه جهداً إضافياً ليقطع مجرى نفسه , ثم يستأنفه مرة أخرى (٣).

ويذهب إبراهيم أنيس إلى أنه يترتب على سقوط هذا النوع من الهمزة أن يلتقي صوتا المد (أي الصائتان القصيران) اللذان كانا يكتنفانها ؛ ليكوِّنا صوت مد مركباً يحمل بعض التوتر (٤), ولعل هذا التوتر هو الذي دفع القدماء إلى القول بأنه تخفيف بجعل هذه الهمز بين بين .

ومما سقطت منه الهمزة دون أن يُعَوّض عنها : نال بحمله ؛ بمعنى نهض به , إن" المعروف في هذا المعنى الهمز : نأل بحمله "(٥), وتوضيح ذلك على النحو الآتي :

$$naˀaLa > na*aLa > nāLa$$

وهذا أيضاً ما حدث في ضَأَزه حقّه وضازه بمعنى منعه (٦), ولعل الحادث فيهما هو سقوط الهمزة المسبوقة بحركة , مع بقاء حركتها لتلتقي مع تلك الحركة السابقة عليها , لتتشكل حركة واحدة طويلة تقوم في زمن النطق , إذا كانتا من جنس واحد, أو هو سقوط للهمزة مع حركتها ؛ ليعوض عنها بإطالة الحركة السابقة عليها .

٤. إقحام الهمزة :

جاءت بعض الأفعال مهموزة , مع أن البنى العميقة لها ليست كذلك , بمعنى أن الهمزة تكون واحدة من مكونات البنية السطحية الصوتية , على الرغم من أنها لم تكن في المكونات الصامتية للجذر أو الأصل (١). والأسباب التي دعت إلى إقحام الهمزة كثيرة , معظمها صوتي, ويمكن حصرها – وفق ما وردَ من أمثلة في معاجم الأفعال– فيما يأتي (٢):

أ- الهمزة المقحمة تخلصاً من المقطع المكروه (ص ح ح ص) .

ب- الهمزة المقحمة تعويضاً عن تقصير حركة طويلة .

ج- الهمزة المقحمة تعويضاً عن شبه حركة محذوفة .

د- الهمزة المقحمة توهماً ومبالغة في التصحيح .

أ. الهمزة المقحمة تخلصاً من المقطع المكروه (ص ح ح ص).

لا تقبل اللغة العربية المقطع الطويل المغلق(ص ح ح ص)إلا في حالتين :الأولى هي الوقف عليه في آخر الكلام , نحو : قال (KāL), والثانية هي أن ينتهي هذا المقطع بالصامت نفسه الذي يبدأ به المقطع الذي يليه , نحو : احمارَّ. وعلى الرغم من قبول هذا المقطع في حال توافر أحد هذين الشرطين , فإنه يبقى مستثقلاً يكلف جهاز النطق البشري جهداً واضحاً ؛ لطول نواته ,لذا عملت اللغة على التخلص منه بفعل قوانينها المختلفة, فتطورت احمارَّ مثلاً إلى احمَرَّ واحمأرَّ – على الأرجح - بتقصير نواة هذا المقطع في (احمَرَّ) , وبإقحام الهمزة في (احمأرَّ) (٣) , وقد بحثت الدراسة موضوع تحولات صيغة (افعالَّ) في فصل لاحق (٤). ومما انتهى إليه أن إقحام الهمزة للتخلص من المقطع المكروه في صيغة (افعالَّ) كان سبباً في نشوء عدد كبيرمن الأفعال المهموزة,التي على زنة (افعألَّ), والتي تخلو بنيتها العميقة من الهمز .

وتعمل الهمزة المقحمة في المقطع المكروه (ص ح ح ص) على تقسيم نواته الطويلة إلى صائتين قصيرين,بمعنى أنها تقسم هذا المقطع (ص ح ح ص) إلى المقطعين : القصير المفتوح (ص ح),والقصير المغلق (ص ح ص) (١), فيما يرى جعفر عبابنة أن انقسام الحركة الطويلة إلى حركتين قصيرتين" قول لا يخفى ما فيه من الخطل , لأن الطول لا يجُزَّأ؛ فالحركة الطويلة قد تساوي – كمياً –مدة حركتين قصيرتين لكنها لا تنقسم بالضرورة إليهما "(٢).

---

(١) انظر : يحيى عبابنة , دراسات في فقه اللغة : ١٦٥.

(٢) انظر : المرجع السابق : ١٦٥ – ١٦٦.

(٣) انظر: رمضان عبد التواب , فصول في فقه العربية : ١٩٤ – ١٩٥ وفوزي الشايب , أثر القوانين الصوتية : ٦٤, وإسماعيل عمايرة معالم دارسة في الصرف : ٥٠-٦٠, طبعة دار الملاحي , ١٩٨٨ , وكتابه " تطبيقات في المناهج اللغوية : ١٢٤ – ١٢٥ .

(٤) انظر : فصل تحولات الصيغ من هذه الدراسة .

(١) انظر : هنري فليش , العربية الفصحى : ١٥٣ ورمضان عبد التواب , فصول في فقه اللغة : ١٩٥ وفوزي الشايب , أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية (رسالة دكتوراه) : ١٢١ .

(٢) جعفر عبابنة , " في حقيقة الإدغام " ص ٥٣ , مجلة أبحاث اليرموك , المجلد الثالث , العدد الثاني , ١٩٨٦ .

وقد أودع أصحاب معاجم الأفعال مصنفاتهم أمثلة تظهر إقحام الهمزة لهذا السبب , منها : اشمازّ من الشيء واشمأزّ (٣), و يمكن توضيح ذلك على النحو الآتي :

ʾiš/māz /za > ʾiš/ma/ʾaz /za

ونحو ذلك أيضاً : اصْماكَّ الرّجل واصْمأكَّ ؛ بمعنى انتفخ من غضب أو بِطْنة (٤), واقطارّ واقطأرَّ بمعنى غضب وانتفخ أيضاً (٥).

ب. الهمزة المقحمة تعويضاً عن تقصير حركة طويلة :

ومن أمثلة ذلك في معاجم الأفعال : بتأ بالمكان ؛ بمعنى أقام , وبتا أفصح (٦),

batā > bataʾa

فقد قُصّرت الحركة الطويلة (ā) إلى حركة قصيرة (a) (٧) وعوض عنها بإقحام الهمزة , مما زاد في عدد المقاطع مقطعاً , ومن ذلك أيضاً : تَدَرْبى الرجل , بمعنى أُلْقي من أعلى إلى أسفل , " وقد يُهْمَز فيقال : تدرْبأ "(٨), فعدم الهمز هو الأصل(٩), ونكى العدوّ , بمعنى أوقع بهم , ونكأهم بالهمزة لغة (١٠) , ولعل الهدف من التقصير هو الحد من اندفاع حركة المد الطويلة وانطلاقها , ولكنه تقصير يخلّ ببناء الفعل , مما يدفع إلى التعويض عنه بإضفاء مزيد من التوتر والضغط الذي يتولد عنه الهمزة . والتفسير على هذا النحو قائم على ترجيح أن تكون البنية غير المهموزة هي الأصل .

ج. الهمزة المقحمة تعويضاً عن شبه حركة محذوفة :

وقد تُحذف شبه الحركة الواو (w) أو الياء (y) من بعض الأنماط الفعلية , ويعوض عنها بإقحام الهمزة , ويفسر بعضهم ذلك بأن شبه الحركة (w) أو (y) تشكل مع الحركة التي تتقدمها أو تتبعها مباشرة ما يسمى بالحركة المزدوجة , والحركة المزدوجة

---

(٣) السرقسطي: ٤٠٨/٢.

(٤) المصدر السابق: ٣ / ٤٣٦ وابن القطاع : ٢ / ٢٦٥.

(٥) ابن القطاع : ٣ / ٧٢.

(٦) المصدر السابق : ١ / ١٠١.

(٧) ذكر جعفر عبابنة في حديث خاص أن المقصود بالتقصير هنا تقليل الكم أو إحلال حركة قصيرة محل حركة طويلة مقابلة . ولا يمكن تصوُّر أن الحركة الطويلة نفسها مكونة من حركتين قصيرتين متماثلتين , وأن التقصير يتم بحذف إحداهما , فهذا غير ممكن .

(٨) السرقسطي : ٣ / ٣٥٢.

(٩) انظر: ابن منظور (درى) ١٤ / ٣٧٥.

(١٠) السرقسطي : ٣ / ٢٣٤ وانظر : ابن منظور (نكأ) ١ / ١٧٤.

من الأوضاع الصوتية غير المحببة في اللغة العربية , لذا تحاول التخلص منها بطرق شتى , منها حذف شبه الحركة والتعويض عنها بإقحام الهمزة (١).

ومن الأمثلة على ذلك في معاجم الأفعال : " حَلَّأْتُ السويق , وإنما هو من الحلاوة فهمزوه , وليس أصله الهمز" (٢), وجاء في لسان العرب : " وحلّى الشيء وحــلّأه , كلاهما : جعله ذا حلاوة , همزوه على غير قياس ..." (٣) . فقد هُمِزَ الفعل (حلّى) تعويضاً عن الحركة المحذوفة في المقطع الأخير , توهماً . أما إذا أسند إلى التاء المتحركة فيكون (حَلَّيْت) ولكنهم همزوه توهماً أيضاً فجعلوه (حَلَّأْت) , ويمكن تفسيره بالمخطط الآتي : ḥaL /Lay/tu > ḥaL /La* /tu > ḥaL/La>/tu

التعويض عنها بالهمز حذف شبه الحركة (y) توهماً الأصل (حَلَّيْتُ)

إذْ حذفت شبه الحركة (y) وعوض عنها بإقحام الهمزة .

وينطبق هذا التفسيرعلى الأفعال المنتهية بالألف المسندة إلى التاء المتحركة التي هُمزت توهماً نحو:ضاهأت,بمعنى شاكلت, لغة في ضاهَيْت(٤), وتهجّأْت الحرف لغة في تهجّيت (٥).

وحذفت شبه الحركة (w) من الفعل المسند إلى التاء المتحركة (مَتَوْت) الحبل بمعنى مددته , فنشأت البنية السطحية (مَتَأْتُ) , مع أنه ورد في مصنف السرقسطي أنهما لغتان فصيحتان (٦), ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي :

matawtu > mata*tu > mata>tu

التعويض بالهمز حذف شبه الحركة (w) توهماً الأصل (مَتَوْتُ)

وقد يكون الأصل هو (مَتَّ) بمعنى مدَّ ومطَّ (١),وتعاقب التاء و الدال والطاء واردٌ في العربية , ثم سقطت التاء الثانية في (مَتَّ) وعوّض عنها بالواو (مَتَوَ) ثم قلبت الواو ألفاً لتطرفها وتحركها وانفتاح ما قبلها ؛ لينشأ الفعل (مَتا) , أو ربما سقطت الواو لوقوعها بين فتحتين , ثم اندمجت هاتان الفتحتان لتشكلا فتحة طويلة , أو سقطت الواو

---

(١) انظر : يحيى عبابنة , دراسات في فقه اللغة : ١٧٧ – ١٧٨ وعبد الله الكناعنة , أثر الحركة المزدوجة , (الكتاب كاملاً).

(٢) السرقسطي : ١ / ٤١٣ , وانظر: ابن سيده , المخصص : ١٤ / ٦.

(٣) ابن منظور (حلا) ١٤ / ١٩٢.

(٤) السرقسطي :٢٤٣/٢ وانظر : ابن منظور (ضها) ٤٨٧/١٤.

(٥) السرقسطي : ١ / ١٩٣.

(٦) المصدر السابق : ٤ / ٢٠٨.

مع فتحتها فعوض عنها بإطالة الحركة السابقة عليها (٢), ثم أُقحمت الهمزة توهماً ومبالغة في التصويب فنشأ الفعل (مَتَأ) , ويعزز ذلك أن ابن القوطية ذكر (متوت) الشيء بمعنى مددته , و لم يذكر متأ بهذا المعنى (٣), كما ذكر ابن منظور أن متأْتُ لغة في مَتَوْت (٤) .

كما يمكن جعل ما هو نحو (وَرَّخَ) و (أَرَّخَ) (٥) من هذا القبيل , كما في المخطط الآتي:

w a r / r a / h̲ a > * a r / r a / h̲ a > ʾ a r / r a / h̲ a

الأصل حذف شبه الحركة(w) التعويض بالهمز

إذ سقطت (w) من الأصل (وَرَّخ),فعوض عنها بإقحام الهمزة ؛ ليبدأ المقطع بصامت فنشأ الفعل (أرّخ) .

د. الهمزة المقحمة توهماً و مبالغة في التصحيح :

ومن أمثلة ذلك : ثاجت الشاة , بمعنى صاحت , " وهو أفصح من ثأجت " (٦)

أما ما هُمز أوّله من الأفعال التي على زنة (أفعل) بسبب التوهم والمبالغة في التصويب فَسيُبحْث في فصل المجرد والمزيد (٧) .

نخلص من خلال ما سبق إلى أن صوت الهمزة صوت صعب النطق , إذ يكلّف جهاز النطق البشري جهداً واضحاً ؛ لذا تعرض لكثير من التغيرات , وقد حصرها علماء العربية القدامى في التحقيق , نحو: قرأت وسألت , وفي الإبدال , نحو : رفَوْت وبَهَيْت مكان رفأت وبهأت , وفي التخفيف , نحو : رايت وسال , مكان رأيت و سألت . وأذهب في تفسير هذه التغيرات بأنها من باب سقوط الهمزة , والتعويض عنها بإطالة الحركة القصيرة السابقة لها , أو بانزلاق شبه الحركة (w) أو (y) , أو سقوطها دون التعويض عنها .

---

(١) انظر : ابن منظور (متا) ١٥ / ٢٧١.

(٢) انظر: الأصل المفترض عند القدماء والمحدثين في فصل " الأصل المفترض " من هذه الدراسة .

(٣) انظر: ابن القوطية : ٢٩٨ , ٢٩٩.

(٤) انظر : ابن منظور (متأ) ١ / ١٥٤.

(٥) السرقسطي : ٤ / ٢٩١ وابن القطاع : ١ /٥٢ وانظر : ابن سيده , المخصص : ١٤ /١٢.

(٦) ابن القطاع : ١ /١٤٥.

(٧) انظر : فصل (المجرد والمزيد في معاجم الأفعال) , من هذه الدراسة .

أما إقحام الهمزة في بعض الأفعال , أي همز غير المهموز , فلعله من باب القياس الخاطئ أو التوهم والمبالغة في التصحيح . ولعل في ميل العربي الى التخلص من الهمزة في بعض الأمثلة , و العودة إليها في أمثلة أخرى ملمحاً براجماتيّاً (ذرائعيّاً), فالناطق يسعى إلى تحقيق التواصل اللغوي بأقل جهد ممكن , بصرف النظر عن مراعاة قوانين معينة في أثناء نطقه , فقد يراعيها في أمثلة , وقد يخرج عليها في أمثلة أخرى .

كما أن استعمال الصيغتين المهموزة وغير المهموزة يعدّ من باب صراع الأنماط اللغوية , الذي تكون الغلبة فيه للصيغة المهموزة عند الطائفة التي تجنح إلى تحقيق الهمزة ,فيما تكون الغلبة فيه للصيغة الأخرى , الخالية من الهمزة عند الطائفة التي تجنح إلى تخفيفها وتسهيلها , وقد تأتّى هذا الصراع بسبب اختلاف اللهجات أو تدخل بعض القوانين اللغوية , نحو قانوني : السهولة والتيسير والمخالفة الصوتية .

ب. التبدلات غير القياسية بين صوتي الواو والياء :

يتفق صوتا الواو والياء في أن كليهما شبه حركة مجهورة , ليس احتكاكياً ولا انفجارياً ؛ لأنه " لا يحدث التقاء محكم لأعضاء النطق بشكل يساعد على إنتاج

الانفجار "(١) , وهذا يسهم في إمكان تعاقبهما,وربما أُبدلت الواو ياءً في كثير من الأفعال ؛ لأن الياء أخف عند العرب من الواو , والناطق العربي يلتمس في نطقه ما هو أيسر وأخف (٢) , كما أن غلبة الياء على الواو أمر تثبته المقارنات الساميّة (٣), وهذا يفسر ما تظهره معاجم الأفعال من تفوق الأفعال اليائية على الأفعال الواوية في العدد.

و يعدّ غالب المطلبي هذا التعاقب بين أنصاف المد العربيّة تناوباً فيما بينها , لا يؤدي إلى تغير المعنى , وهو يفسر ذلك بتقارب الانطباعات السمعية الحادثة عنها (٤), فيما يطلق يحيى عبابنة على هذا التعاقب اسم الانتقال من الحركات المزدوجة الواوية إلى اليائية وهذا الأمر تفترضه طبيعة اللغة العربية ؛ لأن الياء أخف من الواو(٥) , وهو يعني بهذه العملية " تغير شبه الحركة من الواو إلى الياء , مع المحافظة على وجود الحركة المزدوجة , صاعدة كانت أو هابطة , مما ينتج عنه نمط جديد من الأنماط اللغوية التي دخلت في المعجم , واستعملت جنباً إلى جنب مع الصيغة القديمة "(٦).

ولعل هذا التعاقب متأتٍّ من اختلاف اللهجات العربية القديمة في النطق , فالقائلون بالواو غير القائلين بالياء , وقد يكون كل منهما في بيئة خاصة (٧), ولعل دخول النمطين : الواوي واليائي في المعاجم العربية , وفي الاستعمال الفعلي للغة , يظهر صراعاً لغوياً بينهما , تكون الغلبة فيه للأكثر شيوعاً . وأمثلة هذا التعاقب في معاجم الأفعال كثيرة منها : أَوْهَتَ الشيءُ و الجرحُ وأيْهَتَ مثله , بمعنى أنتن (٨) , وتحوّفتُ الشيء وتحيَّفته :تنقّصته من

(١) صلاح الدين حسنين , المدخل إلى علم الأصوات : ١٧٠.

(٢) انظر: ابن جني , الخصائص : ١ /٧٧ , وابن منظور (كيس) ٦ / ٢٠١.

(٣) جعفر عبابنة في حديث خاص .

(٤) انظر: غالب المطلبي , في الأصوات اللغوية , دراسة في أصوات المد العربية : ٢٩٧, ٣٠٠ –٣٠١.

(٥) يحيى عبابنة , دراسات في فقه اللغة : ١٥٠.

(٦) المرجع السابق : ١٥١.

(٧) انظر: غالب المطلبي , في الأصوات اللغوية : ١٩٧ , وإبراهيم السامرائي , قطوف ونوادر : ٦٥.

(٨) ابن القطاع : ٣ / ٣٢٦ , ٣٧٦.

حافاته (١), ورَبَيْتُ في بني فلان , ورَبَوْتُ : نشأت فيهم (٢), وقَلَوْتُ الشيءَ , و قَلَيْتــه : طبخْته في المقلى (٣), فأهل الحجاز يقولون (قلوت) , وتميم تقول (قليت) (٤), وتنــوَّقَ الرجل في مطعمه وملْبسه وأموره , إذا تجوّد وبالغ , وكذلك تنيّقَ بالياء لغة(٥) ...

ومهما يكن من أمر فإن التعاقب بين الواو والياء في ما هو نحو (قلوت) و (قليت) تعاقب غير قياسي . أما إبدال الياء واواً في (نَهُيَ) لتصبح (نَهُوَ) (٦) فهو إبدال قياســي تفرضه الصعوبة الناجمة عن نطق الياء بعد ضمة , كما أن البنية العميقــة (نَهُــيَ) لم تُستعمل في الواقع اللغوي جنباً إلى جنب مع البنية السطحية (نَهُوَ) ؛ لذا لا نجدها مدوَّنة في المعاجم اللغوية . أما (قلوت) و (قليت) مثلاً , فنجــدهما في المعــاجم اللغويــة ؛ لاستعمال كليهما في الواقع اللغوي .

(١) ابن القطاع : ١ / ٢٦٥.
(٢) ابن القوطية : ١٠٥ والسرقسطي : ٣ /٦٠ وابن القطاع : ٦٥/٢.
(٣) ابن القوطية : ٢٢٤ والسرقسطي : ٢ / ١٢٩.
(٤) انظر : السيوطي , المزهر : ٢ / ٢٧٧.
(٥) المصدر السابق : ٣ /٢٤٤.
(٦) الحملاوي , شذا العرف في فن الصرف : ٣١

الفصل الخامس

الأصل المفترض للأفعال الجوفاء والناقصة في معاجم الأفعال

يمكن دراسة هذا الفصل من خلال المحورين الآتيين :

أ. الأصل المفترض للأفعال الجوفاء والناقصة عن القدماء والمحدثين .

ب. الأصل المفترض لهذه الأفعال في معاجم الأفعال .

أ. الأصل المفترض للأفعال الجوفاء والناقصة عند القدماء والمحدثين :

تقتضي الطبيعة الاشتقاقية للغة العربية وجود ما يسمى (الأصل المفترض), ويراد به عند الصرفيين الصورة الأصلية المطابقة تماماً للميزان الصرفي دون تغيير أو تبديل , فهو البنية القياسية العميقة , أما الكلمة المستعملة فعلاً في اللغة فهي البنية السطحية ,وقد حظي موضوع الأصل المفترض باهتمام اللغويين من قدامى ومحدثين ؛ فدرسوه في باب الإعلال , الذي تتعرض له غالباً الأفعال المعتلة الوسط أو الآخر , ووضعوا ضوابط صرفية تضبط هذه الأفعال , فالبنى العميقة : قَوَلَ , وبَيَعَ , ورَمَيَ , ودَنَوَ , تتحول إلى البنى السطحية : قال , وباع , ورَمى , ودنا.وتُقدَّر البنى العميقة غير المستعملة للأفعال المعتلة حملاً على نظائرها من الأفعال الصحيحة التي قلّما يصيبها التغيير .

و يُرجع القدماء السبب في إعلال هذه الأفعال , وما هو نحوها إلى تحرك الواو أو الياء بعد فتح (١), ويرى ابن القوطية أن " الاعتلال في الأفعال مخالفة أصل البِنْية ,وبِنْيَة الفعل فَعَلَ مُحَرَّكاً بالفتح , فلما قالوا : قالَ وباعَ علمنا بظهور الواو في القول والياء في البيع ساكنتين معتلتين أنهما أصل هاتين الألِفَيْن وأنهما وقعتا موقعَ حركةٍ فقُلِبتا ألفاً لفتحة فاء الفعل التي قبلها ... والواو والياء في غزا ورمى مثلهما في قال وباع ؛ إذ

اعتلالُهما لامات أشدّ من اعتلالهما عينات " (٢) فهو إذن يذهب إلى وجود أصلٍ مفترضٍ لما هو نحو (قال) و (باع) .

كما يرى ابن عصفور أن الواو والياء في (قَوَلَ) و (بَيَعَ) تقلب ألفاً " لاستثقال حرف العلة مع استثقال اجتماع المِثْلَين ... فتحة الفاء وفتحة العين "(٣). إذن فعلماء العربية القدامى افترضوا وجود ما يسمى الأصل المفترض .

أما المحدثون فقد وقفوا من هذه المسألة مواقف مختلفة , فذهب بعضهم إلى القول بها , وذهب آخرون إلى رفضها , أما القائلون بها فقد اختلفوا أيضاً في كيفية حدوث هذا التغير من البنى العميقة المفترضة إلى البنى السطحية المستعملة , فذهب بعضهم إلى أن الواو والياء تسقطان لوجودهما بين فتحتين قصيرتين, وتدغم الحركتان ؛ فتصبحان حركة طويلة , وهي الفتحة الطويلة (١), على النحو الآتي :

ḳawaLa > ḳa*aLa > ḲāLa
baya<a > ba*a<a > bā<a
ramaya > rama*a > ramā
danawa > dana*a > danā

إذ سقطت الواو والياء مع بقاء حركتيهما , و اندمجت الفتحتان السابقة لهما واللاحقة ؛ لتشكلا فتحة طويلة , وسبب السقوط هو الثقل الراجع إلى وجود مجموعة حركية مثل نصف حركة (w) أو (y) بين حركتين (٢) .

ويرفض بعض الباحثين اندماج الفتحتين في فتحة طويلة بعد سقوط الواو أو الياء , ويرى أن الحادث هو سقوطهما مع حركتيهما؛أي سقوط المقطع المبدوء بالياء أو الواو كاملاً مع نواته , والتعويض عنه بتطويل الفتحة (٣), على النحو الآتي :

---

(١) انظر : ابن القوطية : ٦ , وابن جني , الخصائص : ٢ / ٤٧٣ –٤٧٤ , وكتابه : سر صناعة الإعراب : ١ /٢٢ , والثمانيني , شرح التصريف : ٢٩١, ٢٩٨وابن يعيش , شرح المفصل : ٦٤/١٠ , ٦٥ .

(٢) ابن القوطية : ٦ وانظر, ابن القطاع : ١٩/١.

(٣) ابن عصفور , الممتع الكبير في التصريف : ٢٨٧ وانظر : ابن جني , الخصائص : ١ / ١٥٠ , وكتابه : سر صناعة الإعراب : ١ /٢٢ .

(١) هنري فليش , العربية الفصحى : ٤١ , وجان كانتينو , دروس في علم أصوات العربية : ١٣٧ , و الطيب البكوش , التصريف العربي : ٥٤, ١٤٠, ١٤١, ١٥٧ , ١٦٣ , وعبد الصبور شاهين , المنهج الصوتي للبنية العربية :١٩٤ –١٩٥ , وعبد الفتاح الزين , بين الأصالة والحداثة : ٣٧.

(٢) انظر : عبد الصبور شاهين , المنهج الصوتي للبنية العربية : ١٩٤– ١٩٥ , وعبد الفتاح الزين , بين الأصالة والحداثة : ٣٧.

(٣) انظر : تغريد عنبر , الفعل الماضي مسنداً إلى ضمائر الرفع المتصلة , دراسة صرفصوتية : ٧٧ , المجلة العربية للدراسات اللغوية , المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم , معهد الخرطوم الدولي للغة العربية , المجلد الرابع , العدد الثاني , ١٩٨٦م.

(٤) جعفر عبابنة : في حديث خاص , وانظر أيضاً مقالته: نظرة في بعض الأوزان الصرفية , ص ٣٨ – ٤٤ , مجلة مجمع اللغة العربية الأردني , العددان (٢١ – ٢٢) , ١٩٨٣ .

ḲawaLa > ḳa*La > ḲāLa
baya ʿa > ba*ʿa > bāʿa
ramaya > rama* > ramā
danawa > dana* > danā

وربما كان اندماج الفتحتين في واحدة طويلة غير ممكن لأن الحركة الطويلة – كما يرى جعفر عبابنة – هي استمرار ممتدّ لا انقطاع فيه ,ولا يمكن أن تنشأ عن جبر الكسور ؛ فهذا أمر يمكن تصوّره مكتوباً ولكنه لا يصح نطقاً . والأرجح في رأيه أن كل التتابع الحركي a w a أو a y a – إذا جاز التعبير – قد انقلب ألفاً , فكل من هذين التتابعين والألف متساويان من حيث الكم , ولذلك يسهل انقلاب أحدهما إلى الآخر(٤).

غير أن رمضان عبد التواب ينتهج منهجاً تاريخياً في إثبات وجود هذا الأصل المفترض ,ويرى أن هذه الأفعال , تطورت عبر مراحل تاريخية حتى وصلت إلى مرحلة الفتح الخالص , وهذه المراحل هي : مرحلة الصحة , ثم مرحلة التسكين, ثم مرحلة الإمالة بانكماش الحركة المزدوجة , ثم مرحلة الفتح الخالص , على النحو الآتي :

ḲawaLa > ḳawLa > ḲōLa > ḲāLa
baya ʿa > bay ʿa > bēʿa > bāʿa
ramaya > ramay > ramē > ramā
danawa > danaw > danō > danā
مرحلة الفتح الخالص مرحلة الإمالة مرحلة التسكين مرحلة الصحة

وهو بذلك يرى أن مرحلة الصحة كانت على نمط التصحيح تماماً ؛ أي إنها تمثل الأصل المفترض الذي قال به القدماء (قَوَلَ , وبَيَعَ , ورَمَيَ , ودَنَوَ) , وهو يدلل على وجود هذه المرحلة باحتفاظ بعض اللغات السامية بها , ففي الحبشية يقولون مثلاً : (بَيَنَ) بمعنى تحقق و (دَيَنَ) بمعنى دان , ورَمَيَ بمعنى رَمَى , و تَلَوَ بمعنى تلا , كما يدلل عليها ببقاء مجموعة من الأفعال العربية , نحو : عِوِر وحَوِر , وهَيِف , واستحوذ...دون أن تُعَلّ(١).

أما مرحلة التسكين , أو ضياع الحركة بعد الواو والياء, نحو : قَوْلَ , وبَيْعَ , ورَميْ , ودَنَوْ , فقد فطن إليها ابن جني , فقال : " ومن ذلك قولهم : إن أصل قام

(١) رمضان عبد التواب , بحوث ومقالات في اللغة : ٥٩ – ٦٠.
(٢) ابن جني , الخصائص : ٢ / ٤٧٣ – ٤٧٤ وانظر: رمضان عبد التواب , بحوث ومقالات في اللغة : ٦٠ –٦١.
(٣) انظر : الثمانيني , شرح التصريف : ٤٥٧.

قَوَمَ, فأبدلت الواو ألفاً , وكذلك باع أصله بَيَعَ , ثم أبدلت الياء ألفاً , لتحركها وانفتاح ما قبلها . وهو – لعمري – كذلك , إلا أنك لم تقلب واحداً من الحرفين إلا بعد أن أسكنته استثقالاً لحركته , فصار إلى قَوْم , وبَيْع"(٢).

وربما أشار الثمانيني إلى تلك المرحلة ؛ فذكر أن تسكين العين يحدث للتخفيف في مذهب من قال :" ظَرْفَ " في " ظَرُفَ "(٣), و ربما أشار إليها ابن عصفور كذلك عندما ذكر أن أصل الفعل (لَيْسَ) هو (لَيِسَ) ثم خُفف , والتُزم فيه التخفيف لثقل الكسرة في الياء , والدليل على ذلك أنه فعل ثلاثي , و " الأفعال الثلاثية لا تخلو من أن تكون على وزن " فَعَلَ" أو" فَعِل"أو "فَعُل", فلا بد لها من أن تكون على وزن من هذه الأوزان , وباطل أن تكون مفتوحة العين في الأصل , لأن الفتحة لا تُخَفف , وباطل أن تكون مضمومة العين , لأن " فَعُل"مما عينه ياء لم يوجد"(١).

كما أن التسكين بقي عند بعض القبائل , التي كانت تسكن آخر الفعل الماضي المقصور , نحو : طَفَيْ , وأَتَيْ , وعند من يسكّن وسطه للتخفيف , كما ذكر الثمانيني , نحو خَلْقَهُ الله وتُرْكَ له (٢).

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الإمالة ؛ أي انكماش الأصوات المركبة , ويدلل رمضان عبد التواب على وجودها بأنها المرحلة الشائعة في اللغة الحبشية في الأفعال الجوفاء , نحو قام (Kōma) , كما أنها توجد في اللهجات العربية التي تُميل , نحو قراءة من قرأ قوله تعالى :(والضُّحى والليل إذا سجى , ما ودعك ربك وما قلى) بالإمالة (٣).

أما المرحلة الأخيرة , فهي مرحلة الفتح الخالص , وتكون بتطور الحركة الممالة الناجمة عن انكماش الصوت المركب إلى الفتحة الطويلة , وهذه المرحلة هي التي وصلت إليها العربية في مثل : " قام " و " باع " و " ضاف "(٤) ....

---

(١) ابن عصفور , الممتع الكبير في التصريف : ٢٨٨ – ٢٨٩.

(٢) انظر : رمضان عبد التواب , بحوث ومقالات في اللغة : ٦١ – ٦٣.

(٣) المرجع السابق : ٦٣ – ٦٤ وانظر : صابر أبو سليمان , التيسير في القراءات السبع المشهورة وتوجيهها :٣٨٨ , دار عالم الكتب , الرياض , الطبعة الأولى , ١٩٩٤م.

(٤) رمضان عبد التواب , بحوث ومقالات : ٦٤- ٦٥.

(٥) المرجع السابق : ٦٥.

(٦) انظر : فصل " ثنائية الألفاظ في معاجم الأفعال " من هذه الدراسة .

ويصل رمضان عبد التواب الى نتيجة يقول فيها :" ومن كل ذلك نرى أن ما يقوله النحاة من أن قال مثلاً , أصلها : (قَوَلَ) , صحيح , بصرف النظر عن تعليلهم هذا , بتحريك الواو وانفتاح ما قبلها "(٥).

هذه هي معظم تفسيرات من قال بوجود الأصل المفترض في اللغة العربية , غير أن من العلماء من أنكر هذا الأصل , وفي مقدمتهم الثنائيون (٦), ومنهم إبراهيم السامرائي , الذي يرفض أن يكون أصل (قال) و (باع) هو (قَوَلَ) و (بَيَعَ) , إذْ يقول :" وإذا كانت الواو المتحركة المفتوح ما قبلها تقلب ألفاً ومثل ذلك الياء المتحركة , فَلِمَ لمْ تقلب الواو ألفاً في " عَورَ " و " حَورَ " ولِمَ لم تنقل حركة الواو الضعيفة إلى الصحيح الساكن قبلها , كما في : " أَعْولَ " و " أغيَل " و " استحوذ " و " أجود " و " أطيَب " و " أغيمت السماءُ " ومثل هذا كثير ". فهو يرفض حمل مثل هذه الأمثلة الخارجة على قواعدهم على الشذوذ, أو على اعتبار علة أخرى, ويفسره بأنه من باب اللهجات أو اللغات , ويرفض تباعاً لذلك أن يكون أصل (مبيع) مثلاً (مبيوع) ؛ لأن الصيغتين (مبيع و مبيوع) استعملتا في وقت واحد, كما أن من يستعمل (مبيع) من العرب لا يستعمل الصيغة الأخرى , فاسم المفعول (مبيوع) ليس بداية تاريخية لـ (مبيع) , مع أنهما بمعنى واحد (١) .

أقول : إذا كانت الأفعال : قَوَل , وبَيَعَ , ورَمَى , ودَنَوَ هي الأصول المفترضة للأفعال : قال , وباع , ورَمي , ودنا ؛ فهل تعدّ هذه الأصول أصولاً تاريخية , كانت مستعملة في فترة من فترات الاستعمال اللغوي , أو أن ذلك محض افتراض من أجل اطراد الأقيسة الصرفية التي وضعها علماء اللغة العربية القدامى ؟

ذكرتُ سابقاً أن علماء العربية القدامى ذهبوا إلى أن للأفعال الجوفاء والناقصة أصولاً مفترضة , غير أنهم يعودون فيؤكدون أن هذا الأصل لم يُستعمل في العربية في يوم ما , وعلى رأسهم ابن جني , الذي عقد في " الخصائص " باباً سماه : " باب في مراتب الأشياء , و تنزيلها تقديراً وحُكْماً , لا زماناً ووقتاً" , يقول فيه : " هذا

---

(١) إبراهيم السامرائي , الفعل زمانه وأبنيته : ١١٠– ١١٣ وهو يرى أن أصل (قال) هو (قَل) و (باع) هو (بَع) ثم أشبعت الفتحة , وستذكر الدراسة هذا الرأي في أثناء الحديث عن الثنائية في معاجم الأفعال .

(٢) ابن جني , الخصائص : ١ / ٢٥٧ – ٢٥٨ , وانظر : رمضان عبد التواب , بحوث ومقالات :٦٦.

الموضع كثير الإيهام لأَكْثَرِ مَنْ يسمعه , لا حقيقة تحته . وذلك كقولنا : الأصل في قام قَوَم , وفي باع بَيَع ... وفي استقام اسْتَقْوَمَ... فهذا يوهم أن هذه الألفاظ وما كان نحوها – مما يُدَّعَى أن له أصلاً يخالف ظاهر لفظه – قد كان مرّة يقال ... وليس الأمر كذلك , بل بضدّه , وذلك أنه لم يكن قطّ مع اللفظ به إلا على ما تراه وتسمعه . وإنما معنى قولنا : إنه كان أصله كذا : أنه لو جاء مجيء الصحيح ولم يُعْلل لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا . فأما أن يكون استُعْمِل وقتاً من الزمان كذلك , ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر"(٢).

غير أنه يعود فيعترف بوجود الأصل القديم المفترض في الواقع اللغوي , فيقول : " فبهذا ونَحْوِهِ ما استدلّ أهل التصريف على أصول الأشياء المغيرة, كما استدلوا بقوله عزّ اسمه : " استحوذ عليهم الشيطان", على أن أصل استقام : اسْتَقْوَمَ , وأصل استباع : اسْتَبْيَعَ , ولولا ما ظهر من هذا ونحوه , لما أقدموا على القضاء بأصول هذه الأشياء , ولما جاز ادعاؤهم إياها "(١).

ويجعل رمضان عبد التواب كلمة (استحوذ) من الرُّكام اللغوي , ويعني به بقايا الظواهر اللغوية المندثرة " فالظاهرة اللغوية الجديدة , لا تمحو الظاهرة القديمة بين يوم وليلة, بل تسير معها جنباً إلى جنب مدة من الزمن , قد تطول وقد تقصر , وهي حين تتغلب عليها , لا تقضي على أفرادها قضاءً مبرماً , بل يتبقى منها بعض الأمثلة , التي تصارع الدهر وتبقى على مر الزمن "(٢). ويرى أن هذه الكلمة , هي التي اضطرت ابن جني إلى الاعتراف بوجود الأصل القديم لهذه الظاهرة في الواقع اللغوي (٣).

ب. الأصل المفترض لهذه الأفعال في معاجم الأفعال :

---

(١) ابن جني , سر صناعة الإعراب : ١ /١٧٨.

(٢) رمضان عبد التواب , بحوث ومقالات : ٥٩.

(٣) المرجع السابق : ٦٧.

(٤) ابن القوطية : ١٦٥ وابن القطاع : ٢٥٤.

(٥) ابن القوطية : ٤٤ والسرقسطي : ١ /٣٧١ وابن القطاع : ٢٥٦/١.

(٦) ابن القوطية : ٣٥ والسرقسطي : ٤٦٦/١, وابن القطاع : ٢٩٣/١.

(٧) السرقسطي : ٣ / ٣٧٥.

(٨) سيبويه , الكتاب : ٣٤٤/٤, ٣٩٨.

لقد وضع علماء العربية القدامى الضوابط الصرفية للإعلال , إلا أن معاجم الأفعال موضوع دراستنا تطالعنا بأفعال حافظت على أصلها المعياري ؛ أي جاءت على صورة الأصل المفترض , نحو : أحْوَذَت الإبل : أسرعت , وأحْوَذتُها بمعنى جمعتها (٤) , وحَوِرَتِ العين (٥) , وأخْوَصَ النخل : نبت خُوصُه ,وهو ورقه (٦) , واستَتْيَستِ الشاة ؛صارت تيْساً (٧) , و يقتضي القياس ألا تصحّح الأفعال السابقة , ويرى سيبويه أن ما هو نحو : عَوِر , وحَوِل , وصَيِد " فإنما جاءوا بهنّ على الأصل في معنى ما لا بُدّ له من أن يخرج على الأصل , نحو : اعْوَرَرْتُ , واحْوَلَلْتُ ... فلما كنّ في معنى ما لا بُدّ له من أن يخرج على الأصل لسكون ما قبله تحرّكن , فلو لم تكن في هذا المعنى اعتلّت , ولكنها بُنيت على الأصل إذ كان الأمر على هذا "(٨), وتابعه في ذلك عدد من العلماء القدامى , ففسروا عدم اعتلال هذه الأفعال بأنها منقولة من اعوَّر واحوَلَّ وأضرابهما ؛ لأن الأصل في العيوب أن يكون من باب (افعلَّ) و (افعالَّ) (١).

أما الأفعال التي نحو : أحْوَذَ وأخْوَصَ , واسْتَتْيَسَ , فيقتضي القياس أيضاً أن تُعلّ بقلب الواو والياء فيها أيضاً , وذلك لنقل فتحتي الواو والياء إلى الساكن قبلهما , نحو : أقام واستقام , فأصلهما : أقْوَمَ واسْتَقْوَمَ (٢).

ويعلل سيبويه ذلك بقوله :"... شبهوه بفاعلْت إذ كان ما قبله ساكناً , كما يسكن ما قبل واو فاعلْت , وليس هذا بمطرد ... وذلك نحو قولهم : أجْوَدْتُ , وأطولت , واسْتحوذ , واسْتروح , وأطْيَبَ , وأَخْيَلْتُ , وأَغْيَلَت , وأغْيَمَتْ واسْتَغْيَلَ , فكل هذا فيه اللغة المطردة , إلا أنا لم نسمعهم قالوا إلا استروح إليه ,وأغْيَلَتْ ,واسْتَحْوَذَ, بيّنوا في هذه الأحرف كما بينوا في فاعلْت , فجعلوها بمنزلتها في أنها لا تتغير , كما جعلوها بمنزلتها حيث أحيوها فيما تعتل فيه نحو : اجتَوروا , إذ توهموا تفاعلوا " (٣).

---

(١) انظر : المبرد , المقتضب : ١ /١١٤ , وابن جني , الخصائص : ١ /١٤٩ , والثمانيني , شرح التصريف : ٢٩٧ –٢٩٨ , ٤٣٨ –٤٣٩ , وابن يعيش , شرح المفصل : ١٠/٧٤ – ٧٥ , وابن عصفور , الممتع الكبير في التصريف : ٣٠٦, والعيني , شرح المراح في التصريف : ٢١١ –٢١٢.

(٢) انظر : ابن عصفور , الممتع الكبير في التصريف : ٣١١.

(٣) سيبويه , الكتاب : ٤ / ٣٤٦.

فعلّةُ التصحيح في هذه الأفعال عند سيبويه ,هي المشابهة بـــ (فاعلْت) لسكون مـــا قبل العلة في كليهما, نحو :سايَرْتُ وقاوَمْتُ ؛ فبينوا الياء والواو في (اسْتَفْعَل) و(أَفْعَـــلَ) كما بينوهما في (فاعَلْت) .و يعتمد سيبويه في عقد المشابهة بين (فاعَلْت) و (اسْتَفْعَلْت) على تصوره أن الألف حرف يقبل السكون, وقد أثبت علم الأصوات الحديث أن الألـــف فتحة طويلة ؛ وبهذا تنتفي المشابهة التي عقدها سيبويه .

كما, يظهر من كلام سيبويه الســـابق أن الفعلـــين (اسْـــتَرْوَحَ)و(أَغْيَلَـــتْ) لا يستعملان إلا صحيحين وتبعه في ذلك ابن عصفور ؛ فبعد أن ذكر الأفعال التي شذت على القياس,والتي منها(اسْتَرْوَحَ),قال : " ولا يُحْفَظ في شيء من ذلك المجيءُ على الأصل ... أما " أغْيَلَ " فلا يَحْفظ فيه كافة النحويين إلا التصحيح, إلا أبا زيد الأنصاري فإنه حكى :

أغْيَلَتِ المرأة وأغالت بالتصحيح والإعلال "(١), إلا أن ذكر الصورتين (أغْيَلت)و(أغالت) ليس مقتصراً على أبي زيد الأنصاري ,كما يقول ابن عصفور , فقد وجدتُ أن الأزهـــري والثمانيني ذكرا استعمال الفعل تارّةً معـــلاً , وتارّة مصححاً (٢), كما وجدتُ أن معاجم الأفعال ذكرت(أَغْيَلَت)و(أَغالَت) بمعنى واحـــد (٣), أمـــا (اسْـــتَرْوَحَ) فوجـــدت , أيضاً,ذكره عند ابن القطاع بالتصحيح والإعلال : (اسْتَرْوَحَ) و (اسْتَراحَ) (٤).

ويرى ابن جني أن هذا الخروج " إنما جُعِل تنبيهاً على باقي المُعْتل , واقتصـــارهم على تصحيح (اسْتَحْوذ , وأغْيَلَت) دون الإعلال,مما يؤكد اهتمامهم بإخراج ضَرْب من المعتل على أصله , وأنه إنما جُعِل تنبيهاً على الباقي , ومحافظة على إبانة الأصول المغيرة , وفي

---

(١) ابن عصفور , الممتع الكبير في التصريف : ٣١١.

(٢) انظر : الأزهري , تهذيب اللغة : ٨ / ١٧١ , والثمانيني , شرح التصريف : ٤٦١ – ٤٦٢.

(٣) ابن القوطية : ٣٠ والسرقسطي : ٢٠/٢ وابن القطاع : ٢/ ٤٤٣ , وأغيلت المرأة ولدها : أرْضَعَتْه وهي حامل .

(٤) ابن القطاع : ٦٥/٢.

(٥) ابن جني , المنصف : ٢٧٧/١.

(٦) انظر : الثمانيني , شرح التصريف : ٤٦١ –٤٦٢ وابن عصفور , الممتع الكبير في التصريف : ٣١١.

(٧) أرى أن عدم الاعتلال في هذا الفعل عائدٌ إلى أنه مزيد ليس له مجرد , فهو مشتق كما يظهر في فصل(المجرد والمزيد في معاجم الأفعال) من الاسم الجامد (التَّيس) .

(٨) انظر : رمضان عبد التواب , بحوث ومقالات في اللغة : ٦٠ , وكتابه التطور اللغوي : ١٢.

(٩) احمد مختار عمر , دراسة الصوت اللغوي : ٣٨٦ .

هذا ضرب من الحكمة في هذه اللغة العربية "(٥), وهو بذلك يعلل عدم الإعلال بأنه من باب التنبيه على الأصل , وممن تابعه في هذا التعليل الثمانيني وابن عصفور (٦).

أما المحدثون ففسر بعضهم ما هو نحو:(حَوِر) و(هَيِف) و(اسْتَتْيَسَ) (٧) بأنه من باب الركام اللغوي , الذي يشير إلى مرحلة تاريخية سابقة , هي مرحلة الصحة ؛ بمعنى أن تلك الأفعال تؤكد وجود الأصل المفترض واستعماله (٨) .

وفسر آخرون ما هو نحو : أحْوَذَ , وأخْوَصَ بأنه من باب المخالفة , الذي يشير إلى تحقيق أمن اللبس ؛ و تيسير الجانب الدلالي ؛ لذا فإن المخالفة مرتبطة بسهولة النطق وبسهولة التفريق بين المعاني (٩), فهم يرون أن الإتيان بالصورة القياسية المعلة يُحْدِثُ لبساً بين دلالتي الفعل الواحد , إذا لم تتوافر القرائن , نحو : حال بمعنى أتى عليه الحول , وحَوِلَ لعيب يصيب العين , وأعال ؛ بمعنى كَثُر عياله , وأعْوَلَ ؛ بمعنى صرخ , واستراح من الراحة,واسْتَرْوَحَ ؛ بمعنى وَجَدَ (١), وكذلك الأمر في الأفعال الناقصة .

ويمكن الرد على الطائفة الأخيرة منهم بأن المعاجم المدروسة أوردت الصورتين الصحيحة والمعلة لكثير من الأفعال , دون أن تتغير الدلالة , نحو الأفعال المجردة الجوفاء الآتية : حَوِلت العين : أقبل لَحْظُها على مُؤْخِرِها , وحالت لغة (٢), وخَوِرَ الشيءُ وخار بمعنى ضَعُفَ (٣),وشَوِسَ الرجل وشاس : إذا عُرف في نظره الغضب والحقد , وشَوِعَ وشاع ؛ بمعنى انتشر وتفرق (٤), وعَوِرت العين وعارت (٥), وغَيِفت الشجرة وغافت ؛ بمعنى تمايلت أغصانها يميناً وشمالاً (٦), وغَيِن وغان بمعنى عطش (٧) وهَيِفت الجارية وهافت ؛ بمعنى رقّ خصرها (٨), و هَيِمَ وهَام بمعنى عطش(٩) ...

---

(١) انظر : الحموز , ظاهرة التغليب في العربية :١٣٦ –١٣٨.

(٢) ابن القوطية : ٤٤ والسرقسطي : ١ /٣٧٠ وابن القطاع : ١ / ٢٥٤.

(٣) ابن القوطية : ٢٠٥ والسرقسطي : ١ /٥٠٣.

(٤) السرقسطي (شاس) ٢ / ٣٩١ , و (شاع) ٢ / ٣٥٧.

(٥) ابن القطاع : ٣٩٠/٢.

(٦) ابن القوطية : ١٩٩ والسرقسطي : ٤٠/٢ وابن القطاع : ٢ /٤٤٥.

(٧) السرقسطي : ٢١/٢ وابن القطاع : ٤٤٠/٢.

(٨) ابن القطاع : ٣ / ٣٦٢.

(٩) ابن القوطية : ١٨٦ والسرقسطي : ١/ ١٨٥ وابن القطاع : ٣ / ٣٦٦.

(١٠) السرقسطي : ٢ / ٣٦٠.

(١١) ابن القوطية : ١٩٤ –١٩٥ والسرقسطي : ١ / ٣١٤.

ونحو الأفعال المجردة الناقصة الآتية : شَفَتِ الشمسُ وشَفِيَت بمعنى غابت إلا قليلاً (١٠), وعَسِيَ الشيخ وعسا : كبر , واشتدّ (١١) , وغَسِيَ الليل وغسَا بمعنى أظلم (١), وغَوَى الإنسانُ : ضدّ رَشَدَ , وغَوِي لغة (٢), وقوِيت الدار , وقَوَتْ بمعنى أقْفَرَت (٣), ووَرَتِ النار و وَرِيَت لغة (٤) ...

ولعل الكسرة في الأفعال السابقة هي التي حفظت الفعل من الاعتلال في بعض البيئات الاستعمالية , ومع ذلك فقد أعلّت هذه الأفعال في بيئات استعمالية أخرى .

---

(١) ابن القوطية : ٢٦ والسرقسطي : ٦/٢ وابن القطاع : ٢ / ٤٠١.

(٢) ابن القوطية : ١٩٩ والسرقسطي : ٢ / ٤٣, وابن القطاع : ٢ / ٤٤٦.

(٣) السرقسطي : ٥٥/٢.

(٤) ابن القوطية : ١٥٦ وابن القطاع : ٣ / ٣٣١.

(٥) السرقسطي : ٤ /٩٣ .

(٦) السرقسطي : ٣ / ٥٦٦ وانظر : سيبويه , الكتاب : ٤ / ٣٨٢ , ٣٨٨ والميداني , نزهة الطرف في علم الصرف : ١٠.

(٧) السرقسطي : ١٧١/٤.

(٨) المصدر السابق : ٣ /٣١١.

(٩) نفسه : ٢/ ٢٣٩.

(١٠) ابن القطاع : ٢ / ٤٨٨.

(١١) السرقسطي :٢ / ٢٧٦ وابن القطاع : ١ /١٩٠.

(١٢) ابن القوطية : ٣٨ والسرقسطي : ١ /٣٣٤ وانظر : ابن القطاع : ١ /٢٥٥.

(١٣) ابن القطاع : ١ / ٢٥٧.

(١٤)ابن القوطية : ٣٥ وابن القطاع : ١ / ٣٢١ –٣٢٢.

(١٥)السرقسطي : ٣ / ٥١ , وابن القطاع : ٢ / ٦٧ –٦٨ .

(١٦)ابن القوطية : ١١٩ والسرقسطي : ٣ / ٢٦٠ وابن القطاع : ٢ / ٣٠٨.

كما سجلت المعاجم المدروسة عدداً من الأفعال التي ظلت محافظة على بنيتها المفترضة, مِنْ غَيْرِ ما كُسِرت عينه في الماضي ؛ أي جاءت على زنة (فَعُل) ,منها : بَهُوَ ؛ بمعنى ملأ العينَ جماله (٥), وسَرُوَ,والسراوة :جمع السَّخاء والمروءة (٦) ,و مهُوَ قلب الرجل : إذا كان جباناً,ومهُوَ الشيءُ :رقَّ (٧),واستخدم الصحيح في بعض الأفعال إلى جانب المعلّ , نحو : دَهُوَ الرجل ,ودها : صار داهياً ؛ أي عاقلاً (٨), وضَرُوَ السبعُ وضَرَى : لزم الصيد , وأُولع به (٩), وفَضُوَ المكان وفضا , بمعنى اتسّع (١٠).

ومما جاء على الصحة والإعلال من الأفعال المزيدة ما يأتي : أجادَ الرجل وأجودَ :إذا أتى بالجيّد من قول أو فعل (١١) , وأحال وأحْوَلَ : أتى عليه حَوْلٌ(١٢) , وأحان الشيءُ وأحْيَنَ أتى عليه حين (١٣) , وأخاف الحاجّ وأخْيَفَ , نزلوا خَيْفَ مِنى , وهو مكان المسجد وما حوله من مُنْحدر الجبل (١٤) , وأرْوَضَ المكان وأراض : صارت فيه الرياض (١٥),وأطْوَلْتُ الشيء لغة في أَطَلْته : جعلته طويلاً (١٦), وأعاذَت الناقة بولدها عند النتاج : لزمته , وأعْوذَتْ أيضاً , " هذا قول الكلابيين "(١), وأعالَ الرجل وأَعْيل كثر عياله , وأعالَ الرجلُ وأعول : صاح مع بُكائِه , وتعني أيضاً حرص (٢)...

والذي أراه أن التصحيح في الأفعال السابقة يعد من باب المحافظة على الأصل الثلاثي المفترض, كما أرى أن وجود هذه الأفعال الجوفاء والناقصة دون إعلال ,أي بتصحيح حرفي العلة : الواو والياء فيهما , إلى جانب المعلّ منهما دليل واضح على أن الأصل الذي نقدره لهما في تحليلنا الصرفي صحيح , وليس مجرد افتراض نظري , وهذا يدعم ما ذهب إليه بعض الباحثين في هذه المسألة (٣).

وربما سبَّب وجودُ الصورتين : المفترضة العميقة , والمستعملة السطحية صراعاً لغوياً بينهما , تكون الغلبة فيه للأكثر شيوعاً ولعل هذا الصراع تأتّى بسبب

---

(١) السرقسطي : ١ / ٢٠٣.

(٢) ابن القطاع : ٢ / ٣٩٢ وانظر : السرقسطي : ١ /٢٤٤ –٢٤٥.

(٣) انظر : داود عَبْده , دفاع عن الأصل المقدر : ١٦٠ –١٦٨ , المجلة العربية للعلوم الإنسانية , جامعة الكويت , العدد الأول , المجلد الأول , ١٩٨١م,وانظر: حسن الشاعر , الأصول اللغوية المرفوضة – تأصيل وتعليل : ١٢٧ – ١٣٧ , أبحاث اليرموك , العدد (٢) , المجلد (٢٠) , ٢٠٠٢ , وفيه يبين المراد بالأصول المرفوضة وأنواعها ودواعي الرد إليها .

(٤) انظر : ابن منظور (حول) ١١ /١٩١ , و (عور) ٣ / ٢٦٢. وضاحي عبد الباقي , لغة تميم , دراسة تاريخية , وصفية : ٤٤١ –٤٤٢ , وداود سلوم , المعجم الكامل في لهجات الفصحى : ٣٥٢ .

(٥) انظر : ابن منظور (بقى) ١٤/٨٠.

اختلاف اللهجات , فقد وردَ أن التميميين يقولون : (حالت) عينه و (عار) الرجل , وهافَتِ المرأة , فيما يقول الحجازيون : (حَولت) عينه و (عَور) الرجل , وهَيفَت المرأة (٤), ووردَ أيضاً أن قبيلة طيّئ تقلب الياء ألفاً في الأفعال المعتلة الآخر , فتقول : بقَى وبَقَت مكان بَقِيَ وبَقِيَتْ (٥).

أو ربما تأتى بسبب تفلت عدد من الأفعال الجوفاء والناقصة من أثر التطور اللغوي , الذي أصاب معظم هذه الأفعال ؛ فتسرّبت إلى الواقع الاستعمالي للغة , وبقيت في مرحلة الصحة , وقد أطلق بعض العلماء – كما ذُكر سابقاً – على هذه الأفعال مصطلح (الرُّكام اللغوي).

كما أن الأصل المفترض يفسر لنا وجود الواو في بعض الاشتقاقات ,نحو : (يقول) و(يدنو) , و (قَوْل) و (دُنوّ)..., ويفسر الياء في (يبيع) و (يرمي) وفي (بَيْع) و (رَمْي) ..., والضّمّة في (قُل) و (لم يقُل) و (ادنُ) و (لم يدنُ)... والكسرة في (بِعْ) و (لم يَبِعْ) و (ارمِ) و (لم يَرْمِ) ...

إذن , يمكننا القول إن وجود الصورتين : العميقة المفترضة , والسطحية المستعملة للأفعال الجوفاء والناقصة في الواقع اللغوي دليلٌ على أن الأصل المفترض لهذه الأفعال صحيح تاريخياً , وصحيح منهجياً باعتباره منطلقاً معقولاً للتحليل الصرفي .

ويرى جعفر عبابنة أن كل العمليات الصرفية تجري في المستوى التحتي , ومن البنى الصرفية ما يبقى على حاله دون تغيير لانعدام موجِب الإعلال أو التغيير , أو ميلاً للمماثلة والمشاكلة وطَرْد الباب على وتيرة واحدة , ومنها ما يتغير لوجود موجب الإعلال , فتستعمل بنيته الطارئة التي يؤدي إليها التغيير وتُطَّرَحُ بنيته الأصلية العميقة التي يقتضيها القياس اللغوي . أما وجود الأصل والبنية السطحية معاً وجنباً إلى جنب فيدلّ على مراحل تطور متفاوتة حُفِظَ فيها الأصل المهجور إلى جانب البنية المستعملة , أو يدل على اختلافات لهجية جغرافية , إذ كانت بعض اللهجات تحتفظ بالأصل دون تغيير وتحتمله على ما فيه من ثقل حفاظاً على أصل الباب وطرداً له على وتيرة واحدة , على حين كانت لهجات أخرى تأخذ بالبنية الحاصلة بفِعْل التغيير طلباً للخفة والانسجام الصوتي . ولربما كان الاحتفاظ بالبنى العميقة دون تغيير يجري لدفع اللبس بين الفعل ومصدره , فـ (غَيِدَ)

مثلاً لا يصيبها الإعلال مع وجود موجبه , لأن الإعلال سيجعلها (غادَ) فتلتبس بالمصدر (غَيَد) الذي يصبح (غاد) أيضاً , إذا أُعِلَّ (١) .

(١) جعفر عبابنة , في حديث خاص .

الفصـــل السادس

ثنائـــيّة الألفاظ في معـــاجم الأفعال

شغلت قضية ثنائية الألفاظ العربية وثلاثيتها الباحثين المحدثين العرب والمستشرقين . فهل كانت أصول الألفاظ في أول وضعها على ثلاثة أحرف , أو كانت على حرفين ثم تطورت مع ارتقاء اللغة إلى ثلاثة ؟

يمكن الإجابة عن هذا التساؤل من خلال دراسة المحاور الآتية في هذا الفصل :

١. التعريف بنظرية ثنائية الألفاظ .
٢. رأي القدماء .
٣. رأي المحدثين .
٤. ثنائية الألفاظ في معاجم الأفعال.

١. التعريف بنظرية ثنائية الألفاظ :

اختلف علماء اللغة في أصل الوضع للكلمات العربية , فمنهم من رأى أن أصول الكلمات كانت منذ البدء ثلاثية , ومنهم من رأى أنها كانت ثنائية تتركّب من حرفين أساسيين . وعندما اتسعت الحياة وتعددت المعاني وظهرت الحاجة الى التعبير عن معانٍ أدقّ و أوضح من المعاني العامّة التي تفيدها الأصول الثنائية , تكونت الأصول الثلاثية لتسهم في التمييز بين الألفاظ (١) , ولتعتدل الكلمة وتتكون من حرف يُبْتدأ به وحرف يُحْشى به , وحرف يوقف عليه (٢) .

(١) انظر: باكزة حلمي , " الثنائية والميزان الصرفي في اللغات العربية في الجزيرة العربية ", ص ٦١ , مجلة مجمع اللغة العربية الأردني , العدد الثاني – المجلد الأول ,١٩٧٨ م, وانظر : أنستاس ماري الكرملي, نشوء اللغة العربية ونموها و اكتهالها : ١٩, وحامد عبد القادر , ثنائية الأصول اللغوية : ١٢٣ , مجلة مجمع اللغة العربية , القاهرة , الجزء الحادي عشر , ١٩٥٩ .

(٢) انظر : ابن جني , الخصائص : ١ /٥٦ .

(٣) الدومنكي, المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية : ٦

(٤) الأب أنستاس ماري الكرملي , نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ص ١ وانظر : صبحي الصالح , دراسات في فقه اللغة : ١٤٨ .

فالنظرية الثنائية هي " النظرية القائلة بأن الأصول في العربية – وكذلك في أخواتها السامية – ليست الألفاظ ذوات الحروف الثلاثة , بل ذوات الحرفين "(٣).

وتفسر هذه النظرية نشأة اللغة الإنسانية بأنها محاكاة لأصوات الطبيعة , كتقليد الإنسان أصوات مظاهر الطبيعة , وأصوات الحيوانات وتعبيره عن انفعالاته أو عن الأفعال التي تُحدث عند وقوعها أصواتاً معينة " فالكلمُ وضعت في أول أمرها على هجاء واحد : متحرك فساكن , محاكاة لأصوات الطبيعة , ثم فُثّمت (أي زيد فيها حرف أو أكثر في الصدر , أو القلب , أو الطرف) فتصرّف المتكلمون بها تصرفاً , يختلف باختلاف البلاد , والقبائل والبيئات , والأهوية ..." (٤).

ويمكن تسمية المرحلة الأولى من مراحل الثنائية التي نشأت محاكاةً لأصوات الطبيعة (الثنائية التاريخية) , وقد كانت الكلمة ذات مقطع واحد , ثم انتقلت – كما يرون – من نطاق التاريخ إلى بطون المعاجم, فأطلقوا عليها (الثنائية المعجمية) يعنون بذلك أن الكلمة ضعّف حرفها الثاني فأصبحت ثلاثية بواسطة الشدة نحو : صلَّ , أو كرر مقطعها بكلا حرفيه فأصبحت رباعية بطريقة المضاعفة والتكرار (١) . نحو:صَلْصَلَ .وعليه تكون المرحلة الثلاثية متأخرة بالنسبة للثنائية , والفرق بين المرحلتين بعيدٌ جداً (٢) .

٢. رأي القدماء :

أشار بعض القدماء إلى هذه النظرية , حين فصلوا بين الأفعال الثنائية والثلاثية في ترتيب الألفاظ في معاجمهم اللغوية من أمثال ابن دريد في الجمهرة وابن فارس في معجمية " المجمل في اللغة " و " مقاييس اللغة " , فهو يردّ في (مجمل اللغة) مثلاً – باب الجيم والذال وما يثلثهما إلى معنى (الأصل) (٣). ويردّ أصل باب القاف والطاء وما يثلثهما مثلاً في (مقاييس اللغة) إلى معنى (القطع) (٤). ومن

(١) انظر : صبحي الصالح , دراسات في فقه اللغة , ١٤٨ – ١٥٤ .

(٢) انظر: إبراهيم السامرائي , الفعل زمانه وأبنيته : ١١٧ .

(٣) ابن فارس , مجمل اللغة , ١ / ١٨٠ – ١٨١ .

(٤) ابن فارس , مقاييس اللغة : ٥ / ١٢ – ١٣ .

(٥) انظر: : الراغب الأصفهاني , المفردات في غريب القرآن , ص ٤٦٥ .

(٦) ابن القوطية : ٨ , وابن القطاع : ١ /٢٣ .

(٧) السرقسطي : ١ /٥٥ .

هؤلاء العلماء أيضاً الراغب الأصفهاني في معجمه (المفردات في غريب القرآن) فهو يضع فيه مثلاً الفعل (مَرَّ) قبل (مرج) (٥).

فيما يرى ابن القوطية وابن القطاع أن " أقل ما بُنيت عليه الأسماء والأفعال ثلاثة أحرف فما رأيته ناقصاً عنها فاعلم أن التضعيف دخله , مثل : فَرَّ , وردَّ , وما زادَ على ثلاثة أحرف فبحروف الزوائد الداخلة فيه "(٦).

ويرى السرقسطي أن "أقل أصولها ثلاثة أحرف , وما جاءَ منها على أقل من ثلاثة فلعلّة دخلت الفعل أوجبت الحذف من الأصل,أو لتضعيف دخله فصار لفظه ثنائياً"(٧).

وهذا يعني أن أصحاب معاجم الأفعال ينكرون ثنائية الأبنية في اللغة العربية , ويرون أن أقل الأصول ثلاثة أحرف .

٣. رأي المحدثين :

أما المحدثون , فقد تبنّى بعضهم الثنائية ودافع عنها , ولعل أبرزهم الأب أنستاس ماري الكرملي , الذي وضع فيها كتاباً بعنوان " نشوء اللغة العربية ونموّها واكتهالها ", وفيه زعم أن مواد اللغة ثنائية الأصول , وما زاد فيها على اثنين ليس إلا تصديراً للمادة الثنائية أو حشواً أو كسعاً (تذييلاً) (١).

وممن دافع عنها أيضاً الأب مرمرجي الدومنكي , فكتب فيها مباحثَ عدة , ثم جمع طائفة منها في ثلاثة كتب صغيرة , نشرها بعنوان " أبحاث ثنائية ألسنيّة "(٢) ولتأكيد ما ذهب إليه اعتمد على المقارنة بين العربية والألسنيّة الساميّة , قال : " ومن الأدلة على وجود الثنائي في أصل اللغات ولا سيما السامية منها هو أن المضاعف العربي الذي يقال إنه مركب من ثلاثة أحرف أصليّة لا نجد مقابله في السريانية إلا بحرفين اثنين لا أكثر . مقابل " مصَّ" "مص " و بحذا "حمَّ " "حم" وبإزاء "مسَّ " "مس" وهكذا كل المضاعفات التي هي بالحقيقة ثنائيات " , وهو يرى أن طريق الاشتقاق يتم من الأقل إلى الأكثر , أي وفق سنة الرقي الطبيعية وليس بالعكس , " فأصل المفردات حرفان فيجري التطور بزيادة حرف ثالث عليها إما

تتويجاً وإما إقحاماً وإما تذييلاً مع بقاء اللحمة المعنوية بين الثنائي والثلاثي كما هي مستمرة بين الثلاثي والرباعي وما فوقه من المزيدات " (٣).

ويفسر عبد الله العلايلي نشأة الثلاثي من الثنائي بواسطة المعلاّت , بزيادة حرف من الهجاء غالباً ما يكون حشواً في وسط الكلمة (٤), فالفعل (عبثَ) مثلاً يعود إلى (عث) وصورته المعتلة هي (عثا) .

ويخلص العلايلي إلى أن الثنائية لم تكن سوى مرحلة تاريخية , وإلى أن العربية لم تَعُدْ على شيء سوى الثلاثي (٥) ويرى جرجي زيدان أن معظم ألفاظ اللغة تعود إلى أصول ثنائية , فيقول : " واللغويون يردون كلا من الاسم والفعل إلى أصول معظمها ثلاثية,وبعضها رباعية,ولا يرون هذه الأصول قابلة للرد إلى أقل من ذلك,وعندي أنها قابلة ولو بعد العناء "(٦) .

وهو يرى أن كثيراً من الصيغ الثلاثية منحوت من أصلين ثنائيين لكل منهما معنى في نفسه , و ذلك نحو (قطف) الذي يفيد القطع والجمع , فهو من (قَطْ + لَفْ), الأول قطع ,والثاني جمع ,ويرى أن مما يقوّي رأيه هذا وجود النحت في الرباعي,وهذا الرأي صدى لآراء بعض القدماء وفي مقدمتهم ابن فارس (١).

ويذهب إبراهيم أنيس – مؤيداً في ذلك " جسبرسن " – إلى " أن الاتجاه في تطور البنية للكلمات نحو الاختصار والاختزال , لا نحو التكثير أو التضخيم , أي إنهم شاهدوا أن اللغات في أقدم صورها المعروفة لنا كانت تتضمن كلمات كثيرة الحروف طويلة البنية متعددة المقاطع , وأن هذه الكلمات بتوالي العصور قد أصبحت قصيرة البنية قليلة المقاطع , وقد تم هذا نتيجة الميل العام لدى الإنسان– – في كل شئونه الاجتماعية ومنها اللغة – نحو أيسر السبل وبذل أقل مجهود " (٢).

---

(١) انظر : الكرملي , نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها : ٤ – ٥ .

(٢) الدومنكي, هل العربية منطقيّة ؟ أبحاث ثنائية ألسنية , مطبعة المرسلين اللبنانيين – لبنان , ١٩٤٧ .

(٣) الدومنكي , الثنائية والألسنية السامية : ٣٧٦, ٣٨٢ , مجلة مجمع اللغة العربية , الجزء الثامن , ١٩٥٥ .

(٤) العلايلي , مقدمة لدرس لغة العرب : ٢٠٠ – ٢٠٣ .

(٥) المرجع السابق : ٢٠٣ .

(٦) جرجي زيدان , الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية : ٩٨ .

ويرى إبراهيم السامرائي أن المعاني العربية تؤدّى بصامتين ويدلل على ذلك بقوله :" إن هذا الثالث الطارئ على طريقة التضعيف زيادة في الكلمة وليس أصلاً , وذلك أن أحد هذين الحرفين يتغير على طريقة الإبدال " لتنشأ أفعال جديدة تدل على معانٍ جديدة مع بقاء شيء من المعنى القديم العام لمحاً للأصل , مثل كنّ وكَهَن (٣), وهذه الأفعال تشعر "بالثنائي القديم الذي ابتدأت به الألفاظ العربية , ثم انتقلت إلى مرحلة الثلاثي التي صارت من ميزات العربية , كما هي الحال في سائر اللغات السامية "(٤).

ويرى حامد عبد القادر " أن المواد اللغوية نشأت في أول أمرها ثنائية , يتركب كل منها من مقطع واحد مغلق , أي من حرفين أولهما متحرك حركته قصيرة وثانيهما ساكن , وأن سنة التطور والنمو المطّرد تعززها التجربة , والمشاهدات المتجددة هي العامل الفعال في تعْديل المادة الثنائية من جهة , و في جعلها مركبة من ثلاثة أحرف أو أكثر من جهة أخرى " , وغالباً ما يكون التثليث بتضعيف الحرف الثاني , " أو بإضافة حرف آخر في الغالب حرف علّة أو حرف من أحرف الذلاقة , أو أحرف الحلق أو أحرف السفير (يقصد الصفير)" (١).

فيما يقدم أمين فاخر رأياً منطقياً ومعتدلاً في هذه القضية ,فيقول : " لا ينبغي أن يكون هناك رأيان في ذلك,بل رأي واحد, هو أن الكلمات الثلاثية التي ظهرت فيها العلاقة واضحة بينها وبين الأصل الثنائي القريب منها في اللفظ والمعنى هي من ذلك الأصل الثنائي,وما لم تظهر فيه هذه العلاقة فأجدر بنا أن نقول إنه قد وضع هكذا , وعلى علماء اللغة أن ينقبوا عن ذلك في المعاجم ليوجدوا الصلة بين هذه الكلمات , ويبيّنوا كيف تطورت حسب قوانين التطور اللغوي,هذا هو الأجدى في دراسة هذه القضية , لا

---

(١) انظر : ابن فارس , معجم مقاييس اللغة : ١ / ٣٢٨ – ٣٢٩ .

(٢) إبراهيم أنيس , تطور البنية في الكلمات العربية , ص ١٦٨ وانظر : أثر التطور الصوتي في تفسير بنى الكلمات في :
Jespersen O ., Language , Its Nature , Development and Origin , P 328 - 332

(٣) إبراهيم السامرائي , الفعل زمانه وأبنيته : ١١٧ .

(٤) المرجع السابق : ١١٩.

(١) حامد عبد القادر , ثنائية الأصول اللغوية : ١١٣ .

(٢) أمين فاخر , ثنائية الألفاظ في المعاجم وعلاقتها بأصول الثلاثية : ٦ .

أن يختلف العلماء منقسمين إلى فريقين يبطل كل منهما كلام الآخر ثم لا نصل في نهاية الأمر إلى نتيجة حاسمة "(٢).

وفي غياب دراسة إحصائية شاملة , و موازنات ساميّة عميقة , وتحقيقات دلالية مستوعبة , أرى أن حجج القائلين بالثنائية أو بالثلاثية هي حجج منطقية حسب , ويمكن الميل إلى إحدى النظريتين اعتماداً على قوة الحجة المنطقية لدى كل طرف . ولذلك أذهب إلى أن رأي أمين فاخر في هذه المسألة هو الأنسب , لأنه يفسح المجال للقول بهاتين النظريتين معاً , وفق الشروط التي ذكرها .

٤. ثنائية الألفاظ في معاجم الأفعال :

سجّلت معاجم الأفعال أمثلة كثيرة , يرى الثنائيون أنها تثبت الأصل الثنائي لمجموعة من الأفعال الثلاثية التي تشترك في حرفين دون الثالث , وفي معنى عام يجمعها . ويمكن حصر طرق تنمية المواد الثنائية وجعلها ثلاثية على النحو الآتي :

١. تضعيف الصوت الثاني في جميع الأفعال الثنائية .

٢. إضافة صوت علّة إلى كثير من الأفعال الثنائية .

٣. إضافة صوت صحيح إلى كثير من الأفعال الثنائية .

ويلاحظ أن كثيراً من هذه الأمثلة يدل على الكسر والخرق والشق والهدم والتفتيت لأن أكثرها – كما يرى الثنائيون – مأخوذ من حكاية صوت , نحو : دقَّ ودَمَقَ ومَدَقَ (١).

١. تضعيف الصوت الثاني :

قال بهذه الطريقة أحمد فارس الشدياق في كتابه " سر الليال في القلب والإبدال " , فمعظم اللغة عنده مأخوذة من حكاية صوت أو صفة , نحو : دبْ ودقْ وهَزْ , أي بالوقف عليها بالسكون ,وعندما تصبح فعلاً وتتصل بالفاعل الظاهر أو المستتر يُفْتَحُ آخره ويُضَعَّف الحرف الثاني , فتصبح : دبَّ ودَقَّ وهَزَّ ,كما أن اللغة عنده لم تكن مكتملة من أوّل وهلة , فقد وصلت إلى مرحلة الاكتمال تدريجياً (٢).

ولم تسجل المعاجم اللغوية مرحلة الثنائية التاريخية المفترضة للأفعال (دَبْ , دقْ , هَزْ) بينما سجّلت المرحلة الثنائية المعجمية (دبَّ , دقَّ , هَزَّ) ,ومن هذه المعاجم معاجم الأفعال , إذ حفظت كثيراً من الأفعال الثنائية المضعفة الآخر التي تدلّ على معنى عام مشترك , نحو: بضَّ الماء وبصَّ بمعنى سالَ(٣), وجزَّ وجدَّ وجذَّ للدلالة على القطع (٤),وهضَّ وهصّ وهدَّ وهتَّ وهذَّ للدلالة على الكسر والتفتيت والسحق والهدم (٥).

وقد ذُكر في أثناء الحديث عن الإبدال الصوتي التاريخي العلاقة بين أصوات كل مجموعة وإمكانية تعاقبها , وهذا يثبت أنّ كل مجموعة تعود إلى أصل ثنائيّ مضعّف واحد , وليس هذا التعدّد الناجم عن التبدّل التاريخي بين الأصوات إلا وسيلة من وسائل تنمية الأفعال في اللغة العربية .

فالأفعال الثنائية (مَدْ) و (شَدْ) وأضرابهما تثلّث بتكرار الصوت الثاني وإدغامه إدغاماً واجباً مع مكرّره المتحرك بالفتحة , نحو : مدْ ـــمدْدَ ـــ مدَّ , وهذا حادثٌ في أغلب تلك الأفعال . أو تثلّث بتكرار الصوت الثاني مع جواز الإدغام وعدمه – وهو قليل في العربية – شريطة تحريك الصوت الأول من المتماثلين بالكسرة في حالة عدم إدغامه مع مكرره الثاني , نحو : حيَّ و حَيِيَ بمعنى تحرك (١), ورتَّ فلانٌ ورِتتَ , والرُّتّة كالحُبْسَة في اللسان (٢), وعَيَّ بالمنطق وعَيِيَ به , بمعنى عجز عنه (٣). أو تثلّث بتكرار الصوت الثاني مع تحريك الصوت الأول من المتماثلين بالكسرة ؛ ليجب عندها عدم الإدغام – وهذا قليل جداً في العربية – ومن أمثلته : دَبِبَتِ المرأة بمعنى نبت الشعر على جبينها (٤), وأَلِلَ السقاء : تغيّرت رائحته (٥), وقَطِط الشعر : اشتدّت جعودته (٦), وصَكِكَ الدابّة صكَكَاً ؛ بمعنى قَرَعَ أحد عُرْقوبيه بالآخر (٧).

٢. إضافة حرف علّة في بداية المادة الثنائيّة أو وسطها أو آخرها.

---

(١) انظر : الشدياق , سر الليال في القلب والإبدال : ٢٢ , ٢٤ وانظر : إبراهيم محمد نجا , فقه اللغة العربية : ١٤٨ .

(٢) الشدياق , سر الليال في القلب والإبدال : ٢٢

(٣) السرقسطي : ٤ / ١٠١ .

(٤) المصدر السابق : (جدَّ) و(جزَّ) ٢ / ٢٥٣ ,(جذّ) ٢ / ٢٨٢ وابن القطاع : ١ / ١٧٦ – ١٧٧ .

(٥) السرقسطي : ١ / ١٤٤ , ١٤٥ , ١٤٦ .

ينجم عن إضافة حرف علّة في بداية المادة الثنائيّة نشوء الفعل المثال, وينجم عن إضافته في وسطها نشوء الفعل الأجوف,وعن إضافته في آخرها نشوء الفعل الناقص .

وتذهب باكزة حلمي إلى أن ما كانت فاؤه حرف علّة من الأفعال,نحو: وَعَدَ ثلاثيّ صحيح, وأما ما كانت عينه حرف علّة,نحو: قال ,وما كانت لامه حرف علّة نحو:سعى , فهما ثنائيان جرى عليهما بعض التغيرات الصوتية عند الإسناد أو الإضافة لأسباب صوتية محضة (٨).

وقد حفظت معاجم الأفعال أمثلة ظهر فيها إضافة حرف علّة في أوّل المادة الثنائية منها :(خطّ) و (وَخَطَ), إذْ وردَ: " خطَّ الإنسان بالسيف : قطعه نِصْفين,وخطَّ الأرض بالقدم : شقها , وخطّت بقر الوحش بأظلافها : كذلك .. "(٩), ووردَ : " وخَطَهُ بالرمح : طعنه و وَخَطَه بالسيف : تناوله من بعيد "(١٠), ومنها :(هسَّ) الشيء و(وَهَسَه) بمعنى كسره (١١) ,و(لقَّ)و(وَلَقَ) بمعنى ضَرَبَ (١٢).

كما سجّلت معاجم الأفعال أمثلةً كثيرة ظهر فيها إضافة حرف علّة في وسط المادة الثنائية , منها : تعَّ الرجل وتاع , بمعنى قاءَ (١),وطرَّ وطار (٢), وذَمَّه وذامه بمعنى عابه وذانه أيضاً (٣), وهضَّ وهاضَ بمعنى كسر (٤).

وقد أشار الشدياق إلى هذه الطريقة , وسجل عليها أمثلة , نحو : طب وطاب وضَر وضار وصر وصار أي صوّت ... (٥) ويرى الدومنكي أن " قام أصله قَم توسّع بإطالة حركة حرفه الأول . وعلامة ذلك في الكتابة الألف ... وبعد التوسّع بإشباع الحركة , جرى النشوء والتطور بإقحام حرف , كما في ــ (عِور , وعوِص ,

---

(١) السرقسطي : ١ / ٣٧٢ , وابن القطاع : ١ /٢٦٠ .
(٢) ابن القطاع : ٢ / ٥٧ .
(٣) السرقسطي : ١ / ٢٤١ وابن القطاع : ٢ / ٣٥٤ .
(٤) ابن القطاع : ١ / ٣٦٣ .
(٥) المصدر السابق : ١ /٥٥ .
(٦) ابن القوطية : ٢١٩ , والسرقسطي : ٢ / ٩٦ .
(٧) ابن القوطية : ٢٤١ والسرقسطي : ٣ / ٤٠٣ وابن القطاع : ٢ / ٢٥٥.
(٨) باكزة حلمي , " الثنائية والميزان الصرفي في اللغات العربية في الجزيرة العربية " ,٦٠, ٧٥ .
(٩) السرقسطي : ١/ ٤٧٤ .
(١٠) المصدر السابق : ٤ / ٢٦٣ , ٢٦٤ .
(١١) نفسه (هسّ) ١ / ١٤٨ , و (وهس) ٤ / ٢٥٦ .
(١٢) نفسه (لقَّ) ٢ / ٤٤٤ – ٤٤٥ , (ولق) ٤ / ٢٥٩ .

وحوِل)..."(٦).ويستدل علىذلك بأدلـــــة منها الإسناد إلى الضمائر,إذ يُقال : (قُمْتُ) , و (رَمَتْ) فتبقى هذه الأفعال دالة على معنى تام في حالتها الثنائية (٧).

ويرى حامد عبد القادر أن السبب في العدول عن المضاعف إلى الأجوف هـــو الميل نحو التخلّص من ثقل تشديد عين الفعل بإطالة حركة فائه (٨) , فيما يرى إبراهيم السامرائي أن المضعف قد وَلَّدَ على طريقة الإبدال والتعـــويض الفعـــلَ الأجـــوف , فالفعل (كنّ) أصل (كان) مثلاً , كما يرى أن ثمة أفعالاً معتلة الوسط كثيرة لا سبيل إلى معرفة أصلها المضعف ؛ لفقدان استعمال هذا الأصل وبعد العهد به , " فانقطعت الصلة وأصبح لمحه من الأمور الصعبة "(٩).

إذن , يـــرى عدد من الثنائيين أنّ (غَضْ) مثلاً هي الأصل , ثم ضُعّفت الضـــاد , فنشأ الفعل (غضَّ), ومن استثقل تضعيف الضاد لجأ إلى إطالة فتحة العين في (غَضْ) , فنشأ الفعل (غاض) . بينما يرى آخرون أن (غاضَ) نشأت عن (غَضَّ) – الناشـــئة بدورها عن (غضْ) – عن طريق الإبدال والتعويض .

والراجح أن الفعل (غاض) ناجم من الفعل (غضَّ) عن طريق المخالفـــة الرجعيـــة المتصلة , إذ أثرت الضاد الثانية في الأولى فخالفتها إلى الألف,اقتصاداً في الجهد النطقـــي المبذول لنطق المتماثلين المتجاورين,فنشأ الفعل (غاض) , وكذلك الأمر في جميع الأفعـــال الثلاثية الجوفاء التي تشترك في معانيها مع أفعالها الثنائية المضعّفة , فالمخالفة الصوتية وسيلةٌ من الوسائل التي عملت على نشوء كثير من الأفعال الثلاثية من أفعالها الثنائية المضعفة (١).

وسجّلت معاجم الأفعال أيضاً أمثلة ظهر فيها إضافة حرف علّة في آخر المـــادة الثنائية , منها : جَخَّ برجـــــله وجخا بها , إذا نَسَفَ بها التراب في مَشْيه (٢), وجلَّ وجلا

---

(١) السرقسطي (تاع) ٣ / ٣٥٣ (تع) ٣ / ٣٥٤ .

(٢) ابن القوطية : ١١٧ , والسرقسطي : ٣ / ٢٥٠ .

(٣) ابن القوطية : ٢٧٣ , وابن القطاع : ١ / ٢٧٣ .

(٤) ابن القوطية , ١٨٢ , ١٨٦ و السرقسطي (هضّ) ١ / ١٤٤ (هاض) ١ / ١٨١ .

(٥) الشدياق , سر الليال في القلب والإبدال : ٢٥ .

(٦) مرمرجي الدومنكي , " طلائع الثنائية في القديم " : ٢٢٠ .

(٧) انظر : مرمرجي الدومنكي , " الثنائية والألسنية السامية " : ٣٨٠ .

(٨) حامد عبد القادر " ثنائية الأصول اللغوية " : ١٢٧ .

(٩) إبراهيم السامرائي , الفعل زمانه وأبنيته : ١١٧ – ١١٨ .

بمعنى رحل (٣) , وحكّ الأمر في صدري وحَكَى (٤), وكفَّ الإنسانُ وكفا بمعنى ذهب بصره (٥) .ويرى حامد عبد القادر أن الناقص ينشأ بمدّ حركة الحرف الثاني بدلا من تشديده (٦).

ويمكن الردّ عليه بطرح السؤال الآتي : من أين جاءت الفتحة التي تعرّضت للمد؟! فالأصلُ عند الثنائيين هو (جَلْ) مثلاً , أي بسكون آخره , وليس بفتحه , ثم تعرّض للتضعيف , فنشأ (جَلَّ) , ولعلَّ الفعل (جلا) ناشِئٌ من الفعل (جلَّ) عن طريق المخالفة التقدمية المتصلة .

٣ . إضافة صوت صحيح إلى المادة الثنائية :

قد يكون الصوت المضاف من أصوات الذلاقة الآتية : (الميم,والراء ,والباء والنون,والفاء ,واللام) وهي أخفّ الأصوات .

ومن أمثلتها في معاجم الأفعال : جذَّ وجزَّ , وجدَّ وجذر, وجزر وجذف ,وجزم وجزل , وكلها تدلّ على معنى القطع (٧) ,ولعلَّ جذَّ هي الأصل , وإبدال الذال زاياً أو دالاً تقره القوانين الصوتية , كما ذُكر سابقاً (٨) .

وقد يكون السبب في نشوء الأنماط الفعلية السابقة تدخّل قانون المخالفة الصوتية , فالأصل المرجّح هو (جذَّ) , ونجم عنه بالمخالفة التقدمية (جذف) و (جذر) , وربما تطور إلى (جزَّ) للقرب المخرجي بين الذال والزاي , وسعياً لتحقيق السهولة والتيسير في أثناء النطق , ثم تدخل قانون المخالفة الصوتية , فنشأ جزر وجزم وجزل .

ومن الأمثلة أيضاً : شزَّ وشزب وشَسَّ وشسبَ وشَسَفَ , وتعني كلّها : يَبِس وضَمِر (١) , وتعاقب السين والزاي , الذي تقرّه القوانين الصوتية يوضّح العلاقة بين

---

(١) انظر : فصل المخالفة الصوتية من هذه الدراسة .

(٢) السرقسطي : ٢٨٤/٢ .

(٣) المصدر السابق : ٣ / ٤٩ .

(٤) ابن القطاع : ١ / ٢٦٧ .

(٥) السرقسطي : ٢ / ٦٥ .

(٦) حامد عبد القادر , ثنائية الأصول اللغوية : ١٢٧ .

(٧) السرقسطي(جذّ)٢٨٢/٢ (جزّ) ٢ / ٢٥٣ (جدَّ) ٢ / ٢٥٣ (جذر) ٢ / ٢٨٦ (جزر) ٢ /٢٥٧ (جذف) ٢ / ٢٨٥ (جزم) ٢ / ٢٩٤ (جزل) ٢ / ٢٦٨ .

(٨) انظر : فصل الإبدال الصوتي التاريخي من هذه الدراسة .

(شَزَّ) و (شَسَّ) ثم بالمخالفة الصوتية , نشأت الأنماط الفعلية الأخرى (شزب) و (شسف) وشسب , والباء والفاء من أحرف الذلاقة . ومن الأمثلة أيضاً : شطَّ وشَطَنَ وشَطَرَ بمعنى بَعُدَ (٢), ولعل الفعلين (شطن) و (شطر) ناجمان عن المخالفة الصوتية أيضاً .

وقد يكون الصوت المضاف من أصوات الحلق , ومن أمثلة ذلك في معاجم الأفعال : بَجَّ الجرح بمعنى شَقَّهُ , وبعج بطنه :شقَّهُ (٣), ودَخَسْتُ الشيءَ : دَسَسْتَه (٤), و فَضَّ وفَهِضَ بمعنى كسر , وفَحَضَ الشيء : شدخه , لغة يمانية , وفَطَهَ الرجلُ : إذا أصابه شبيهٌ بالفَرَز في الظهر (٥). ولعلَّ فَطَهَ متطورة عن فهض , إذْ تعاقبت الطاء مع الضاد , وهذا ممكن في العربية , كما تعرّضت الكلمة للقلب المكاني فنجم (فَطَهَ) وفطحْتَ الرجلَ : ضربْتَ ظهْرَه بالعصا,وفطأتَ الشيءَ : شَدَخْتَه . وفَدَخَ رأسه بالحجر : إذا شَدَخَهُ , ولا يكون الفَدْخ إلا في الشيء الرَّطْب (٦), ولعلّ هذا من باب تخصيص الدلالة.

وقد يكون الصوت المضاف من أصوات الصفير الآتية : (السين والزاي والصاد) أو مما يلحق بها من الأصوات على التوالي (التاء والذال والضاد أو الظاء) (٧). ويقلّ استخدام هذه الطريقة مقارنة بالطرق الأخرى , ومن الأمثلة عليها في معاجم الأفعال : قَبَبْتُ كلَّ شيء : جمعْتُ أطرافه , وقَبَصْتُ الشيءَ : أخذته بأطراف الأصابع , وقَبَضْتَهُ : أخذتَه بجميع كَفكَ (١). ولعلّ ذلك من باب تخصيص الدلالة . ووردَ أيضاً :" قَبَّ اللحم و الكلأ, والتمر والجرح قُبوباً : يَبس , وقبَّ الفحل والأسدُ قبيباً : صوّت بنابيه .." وقَسَبَ الشيءُ صَلُبَ " ويقال أيضاً قَسُبَ بالضم . وقَسَبَ الماء قسيباً : صوَّت بجريه ..."(٢). وفلَّ وفَلَذَ بمعنى قَطَعَ (٣), **ووردَ أيضاً** : " وغَمَمْتُ الرُّطَبَ : إذا جعلته في جرَّة وغطّيته حتى يُرطب , وهو رُطبٌ مغموم" وغَمَض الشيء:خفي و" غَمدْتُ السيف غَمْداً وأغمدته أدخلته في غمد " وغَمَتَهُ في الماء : غطّسه , وكذلك " غَمَسَ الشيء

---

(١) السرقسطي (شزَّ) ٢ / ٣٦٥ (شزب) ٢ / ٣٧٣ (شسَّ) ٢ / ٣٦٥ (شسب) ٢ / ٣٧٥ (شسف) ٢ / ٣٧٤ .

(٢) السرقسطي (شط) ٢ / ٣٢٤ (شطن) ٢ / ٣٧١ (شطر) ٢ / ٣٧٢ .

(٣) السرقسطي (بجَّ) ٤ / ١٠١ (بعج) ٤ / ١٠٤ .

(٤) المصدر السابق : (دَخَس) ٣ / ٣٠١ .

(٥) نفسه (فضّ) ٤ / ٩ (فهض) ٤ / ٤٥ (فحض) ٤ / ٤٥ (فطه) ٤ / ٤٥ .

(٦) نفسه (فطح) ٤ / ٤٧ (فطأ) ٤ / ٣٢ (فدخ) ٤ / ٤٦.

(٧) حامد عبد القادر , ثنائية الأصول اللغوية : ١٣١ – ١٣٢ .

في الماء وغيره غَمْساً,وغَمَسَت المرأة يدها في الخضاب : أدخلت , وغمست اليمين الكاذبة صاحبها في الإثم ..."(٤). فكلّ هذه الأنماط الفعلية تدلّ على معنى عام مشترك , هو الإدخال والإخفاء .

وإذن , أذهب مذهب أمين فاخر في هذه المسألة , فثمّة أفعال ثلاثية نشأت في أول أمرها ثنائية , ويؤكد ذلك وضوح العلاقة اللفظية والمعنوية بينهما وبين أصولها الثنائية .وثمّة أفعال ثلاثية في أصل وضعها,لا يمكن ربطها بمادة ثنائية , منها: بعض الأفعال المعتلة الأول , نحو: (وعَدَ) , وبعض الأفعال الجوفاء نحو: (قال) و (باع) , وبعض الأفعال الناقصة مثل : (مشى) و (نما) , وكذلك بعض الأفعال الثلاثية الصحيحة , مثل : (كَتَبَ) و (سَمِعَ) و (كَبُرَ)...

و يمكن أن نفسر الأفعال المتحدةَ المعنى أو المتقاربةَ فيه المتعرّضة لزيادة في أوّلها , نحو (وَشَقَ) و(شقَّ) بأنها ناجمة عن تأثير ظاهرتي المخالفة الصوتية , والقلب المكاني , فربما تعرض الفعل (شقَّ) الناشئ بدوره عن (شَقْ) – للمخالفة الصوتية , إذْ خولف بين القافين بجعل إحداهما واواً , فأصبح (شوق) أو (شقو) , ثم تعرّض للقلب المكاني , فنتج الفعل (وشق) . وقد يكون في هذا التفسير شيء من التعسّف , ولكن يسوّغه أن عدد الأفعال المتعرضة للزيادة في أوّلها ـ وفق دقّة البحث ـ نادرة مقارنة بهذا الكمّ الهائل من أفعال اللغة العربية .

ويمكن تفسير ما تعرض للزيادة في وسطه أو آخره بالإبدال الصوتي والقلب المكاني والمخالفة الصوتية , التي تحدث بإسقاط أحد المتماثلين والتعويض عنه بصوت آخر, ليس بالضرورة أن يكون من أصوات العلّة أو الأصوات المائعة ,كما يبدو في الأمثلة السابقة .وعلى هذا , يجب إعادة النظر في الفكرة التقليدية السائدة عن المخالفة الصوتية .

أمّا قول الثنائيين بأن أصل ما هو نحو (قال) و (باع) ثنائي هو (قَلْ) و (بَعْ) فمردود لعودة الواو والياء في التصاريف المختلفة لهذين الفعلين , نحو : يقول ـ

---

(١) السرقسطي (قبَّ) ٢ / ٥٨ (قبص) ٢ / ١١١ (قبض) ٢ / ٥٩ .
(٢) المصدر السابق (قبَّ) ٢ / ٥٧ (قَسَبَ) ٢ / ١٠٤ .
(٣) نفسه (فلّ) ٤ / ١٠ (فلذ) ٤ / ٤١ .
(٤) نفسه (غمَّ) ٢ / ٢٦ (غمض) ٢ / ١١ (غمد) ٢ / ٣ (غمت) ٢ / ٣٠ (غَمَسَ) ٢ / ٢٨ .

قول - أقوال... و يبيع - بَيْع - بَيْعَة ... الخ , ومما يؤيد ثلاثيّتها أيضاً إسنادها إلى الضمائر المختلفة نحو (قُلْتُ) و (بِعْتُ) وصوغ الأمر منها(قُل) و(بِع) ,وجزمها , نحو : (لم يقُلْ) و (لم يبِعْ), فالضّمّة التي على القاف هي بعض الواو المحذوفة , والكسرة التي على الباء هي بعض الياء المحذوفة .

ومن أدلّة ثلاثيّة الأفعال الناقصة , نحو : (مشى) و (نما) أيضاً عودة الواو والياء في تصاريفها المختلفة , نحو : يَمْشي -مَشْيٌ , يدعو - دَعوة ... وعودهما أيضاً عند الإسناد إلى الضمائر , نحو : مَشَيْتُ ودَعَوْتُ , وصوغ الأمر منهما : (امشِ) و (انمُ) , و جزمهما : (لم يمشِ) , و (لم ينمُ) , فالكسرة التي على الشين مشعرة بالياء المحذوفة , وكذلك الضمة التي على الميم مشعرة بالواو المحذوفة .

الفصل السابع

نشـــوء الفعـــــــل الربـــــاعي

اختلف علماء اللغة العربية في أصل الفعل الرباعي : هل هو صنف مستقل بذاته وجد هكذا في أصل الوضع , أو أنه يردّ إلى أصول ثلاثية ؟

وقد رأيت أن يُدْرَسَ هذا الموضوع بتقسيمه على النحو الآتي :

١. أصل الفعل الرباعي عند القدماء .

٢. أصل الفعل الرباعي عند المحدثين .

٣. طرق نشوء الفعل الرباعي في معجمي السرقسطي وابن القطّاع. وقد اقتصرتُ على هذين المعجمين لأن معجم ابن القوطية لم يتطرق إلى هذه المسألة .

١. أصل الفعل الرباعي عند القدماء :

ظهر اختلاف علماء العربية القدماء في أصل الفعل الرباعي في أثناء حديثهم عن قضية الاشتقاق وأصل الكلمة العربية , فذهب البصريون إلى أن " بنات الأربعة والخمسة ضربان غير بنات الثلاثة , وأنّهما من نحو جعفر وسفرجل , لا زائد فيهما ألبتة " (١) . وقد سبق إلى هذا سيبويه , إذ قال :" هذا باب تمييز بنات الأربعة والخمسة من الثلاثة . فأما جعفر فمن بنات الأربعة , لا زيادة فيه , لأنه ليس شيءٌ من أمهات الزوائد فيه , ولا حروف الزوائد التي تجعلها زوائد بثبت, وإنما بنات الأربعة صنف لا زيادة فيه , كما أن بنات الثلاثة صنف لا زيادة فيه ,وأما سفرجل فمن بنات الخمسة , وهو صنف من الكلام , وهو الثالث , وقصته كقصة جعفر ... "(٢).

وذهب ابن جني إلى أن " الأفعال التي لا زيادة فيها تكون على أصلين : أصل ثلاثي , وأصل رباعي , ولا يكون فعل على خمسة أحرف لا زيادة فيه "(٣).

---

(١) أبو البركات الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف : ٧٩٣/٢٠ .

(٢) سيبويه : ٤ / ٣٢٨.

(٣) ابن جني , المنصف : ١ /١٨ .

(٤) أبو البركات الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف : ٢ / ٧٩٣ وانظر : ابن يعيش , شرح المفصل : ١٢/٦ وابن دريد , جمهرة اللغة : ٣ / ٤٨٤ , و الأسترابذي , شرح الشافية : ٤٧/١ , ومن أبرز هؤلاء الكوفيين الكسائي والفراء , ويرى الكسائي بأن الزائد في الرباعي الحرف الذي قبل آخره بينما يرى الفراء أنه الحرف الأخير .

وذهب الكوفيّون إلى أن الثلاثي هو الأصل في الاشتقاق " فكل اسم زادت حروفه على ثلاثة أحرف ففيه زيادة , فإن كان على أربعة أحرف نحو جعفر ففيه زيادة حرف واحد (٤).

واحتج كل من الفريقين بالميزان الصرفي (١),ولكن لا يمكن جعله دليلاً لبيان الحرف الأصلي من الزوائد , فالكلمات وجدت أولاً , ثم وضع الميزان الصرفي وفقاً لملاحظتهم في أن أكثر الألفاظ من أصل ثلاثي (٢).

ويرى ابن القوطية أن " ما زاد على ثلاثة أحرف فبحروف الزوائد الداخلة فيه " ويؤيده في ذلك ابن القطاع (٣),فالفعل الرباعي عندهما ناشئٌ من الفعل الثلاثي,في حين يرى السرقسطي غير ذلك " فأقصى ما ينتهي إليه الفعل أصلياً أربعة أحرف نحو : دحرج , وسلهب "(٤) , فالفعل الرباعي عنده أصليٌّ بذاته غير متطور عن الفعل الثلاثي.

أما ابن فارس (٥) ,فقد أكد في مقاييس اللغة أن معظم الرباعي والخماسي منحوت من كلمات ثلاثية , يقول : " اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس , يستنبطه النظر الدقيق , وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت , ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتُنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ "(٦) فمقياس الرباعي عنده على ضربين أحدهما :المنحوت ,والآخر " الموضوع وضعاً لا مجال له في طرق القياس"(٧), ثم يقول : " باب من الرباعي آخر , ومن هذا الباب ما يجيء على الرباعي وهو من الثلاثي على ما ذكرناه , لكنهم يزيدون فيه حرفاً لمعنى يريدونه من مبالغة ...لكن هذه الزيادة تقع أولاً وغير أول "(٨).

---

(١) انظر حجّة كلا الفريقين في : " الإنصاف في مسائل الخلاف : ٢ / ٧٩٣ –٧٩٤.

(٢) مزيد إسماعيل نعيم , الصيغ الرباعية والخماسية اشتقاقاً ودلالة , ص ١٤٢ – ١٤٣ .

(٣) ابن القوطية , ص ٨ وانظر : ابن القطاع : ١ /٢٣ .

(٤) السرقسطي : ١ / ٥٥ .

(٥) يسبق ابن فارس , زمنياً السرقسطي وابن القطاع , ولكن آثرتُ وضع رأييهما في الموضع الذي يرد فيه رأي ابن القوطية الذي يتقدم ابن فارس زمنياً.

(٦) ابن فارس , مقاييس اللغة : ١ / ٣٢٨ – ٣٢٩ .

(٧) المصدر السابق : ١ / ٣٢٩ .

(٨) نفسه : ١ / ٣٣٢ .

(٩) نفسه : ١ / ٥٠٦ .

وبهذا فإن الرباعي عند ابن فارس يضم :

١. المنحوت,وذلك نحو : (جَرْدَب) للرجل إذا ستَر بيديه طعامه كي لا يُتناوَل من جَدَبَ لأنه يمنع طعامه , ومن جرب , فكأنه جعل يديه جراباً يَعِي الشيء ويحويه (٩).

٢.ما يجيء على صورة الرباعي , وهو من الثلاثي ولكن فيه زيادة حرف لمعنى يريدونه من مبالغة , وتقع هذه الزيادة أولاً وغير أوّل , نحو : " قولهم للانقباض (تَجَعْثُم) , والأصل فيه عندي أن العين فيه زائدة , وإنما هو من التجثم , ومن الجُثمان "(١).

٣. الموضوع هكذا على صورة الرباعي , نحو :" (جَحْمظْتُ) الغلام , إذا شددتَ يديه إلى رجليه وطرحته "(٢) .

وبالنظر الدقيق في معجم ابن فارس (مقاييس اللغة) نجد أن حروف الزيادة عنده تضم حروفاً ليست من حروف الزيادة المجموعة في عبارة (سألتمونيها) , فنجد عنده مثلاً الباء زائدة في (بلذم) (٣), والدال زائدة أيضاً في (جَحْدَل) (٤), والغين زائدة في (دَغْفَقَ) (٥).

٢ . أصل الفعل الرباعي عند المحدثين من العلماء :

للباحثين المحدثين رأي في أصل الفعل الرباعي (٦), ولعل من أبرزهم أحمد فارس الشدياق الذي يرى " أن الفعل الثلاثي قبل الرباعي , فهو أصل له "(٧). وعند النظر في كتاب (سرّ الليال) نجد أن الشدياق قد تابع في كثير من آرائه ابن فارس ,

---

(١) ابن فارس, مقاييس اللغة : ١ / ٥١٠ .

(٢) المصدر السابق :١ /٥١٢.

(٣) نفسه : ١ / ٣٣٣ " (بلذَمَ) إذا فَرِقَ فَسَكَت . والباء زائدة , وإنما هو من لَذِمَ , إذا لزم بمكانه فرقاً لا يتحرك ".

(٤) نفسه: ١ / ٥٠٩ " ومن ذلك قولهم للحادر السمين (جَحْدَلٌ) فممكن أن يقال إن الدال زائدة , وهو من السقاء الجَحْل , وهو العظيم , ومن قولهم مجدُول الخَلق , وقد مضى ".

(٥) نفسه : ٢ / ٣٤٠ " (دَغْفَقْت) الماء : صَبَبْتُه , و الغين زائدة , وإنما هو من دفقت " .

(٦) لن أذكر طرق نشوء الفعل الرباعي عند كل واحد منهم , بل سأعول على تلك الطرق في الصفحات القادمة للتمثيل عليها من معاجم الأفعال .

(٧) أحمد فارس الشدياق , سر الليال في القلب والإبدال : ١١.

(٨) انظر : جرجي زيدان , الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية , ١٠٦ .

وخاصة ما يتعلق بالنحت في اللغة العربية , وبوجود حروف زوائد في الكلمات غير الثلاثية , ليست من حروف الزيادة المعروفة .

ومنهم أيضاً جرجي زيدان الذي يؤكد في " الفلسفة اللغوية " أن الأصول الرباعية يمكن أن تردّ الى أصول ثلاثية , والأصول الثلاثية بدورها قابلة للردّ إلى أصول ثنائية ولو بعد العناء (٨).

وأما الأب مرمرجي الدومنكي , فذهب إلى إثبات أن الثلاثي ليس بدء الاشتقاق بل الثنائي (١), و لم يكن اهتمامه موجهاً إلى الأصول الرباعية في بداية بحوثه , ولكن عندما هاجم أديب عباسي فكرته تلك في مقالته " أصول الفعل الرباعي " (٢) دافع الدومنكي عنها في كتابه (هل العربية منطقية) في فصل بعنوان " الثنائي أصل الثلاثي والرباعي " وهو فيه يقبل فكرة ردّ الرباعي إلى الثلاثي ويحاول من جانبه رد الثلاثي إلى ثنائي , و لا يقبل القول بأن اللغة العربية لغة نحتية , ويرى أنها اشتقاقية بطريق الزيادة من الثنائي إلى الثلاثي والرباعي وغيره (٣) .

ويرى الأب أنستاس ماري الكرملي أن الرباعي تفرّع عن الثلاثي كما تفرع الثلاثي عن الثنائي, إذْ يقول :" وهناك الزيادة على الثلاثي تشبه الأصلية ,غير الزيادات الاشتقاقية المعهودة ,بل زيادات معنوية من رباعية وخماسية ,مثل الجَمْهرة والجُمهْور , والجُمْعُور , والجَمْعد , والجُمثورة والجُمْجُمة والجُمْعُلَة , إلى غيرها وهي لا تحصى كثرةً "(٤).

ويرى الشيخ عبد الله العلايلي (٥) أن الرباعي "حلقة من حلقات التطور اللغوي , وان الثلاثي والرباعي وما إليه لم تنشأ بالنحت ... وإنما نشأت بزيادة الحرف فقط وذلك نحو : جخدب-جخد – جد ونحو: طمرس – طمر – طر .

---

(١) انظر : الدومنيكي , هل العربية منطقية ؟ أبحاث ثنائية ألسنية : ١٥٠.

(٢) أديب عباسي , أصول الفعل الرباعي ,ص٧٩ – ٨٤ , مجلة المقتطف , الجزء الأول , مجلد ٩٧ , ١٩٤٠م.

(٣) الدومنكي, هل العربية منطقية ؟ : ١٤٥ – ١٥٠.

(٤) أنستاس ماري الكرملي , نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها , ص ١٤١ .

(٥) عبد الله العلايلي , مقدمة لدرس لغة العرب : , ١٣١ , ١٥٣ ٢٣٠.

(٦) انظر حسين الكنتوري , مقدمة فقه اللسان , ١٩١٥م.

(٧) تمام حسان , مناهج البحث في اللغة , ص ٢١٧ –٢٢٢, .

وردَّ الباحثان الهندي كرامت حسين الكنتوري في مقدمة كتابه"فقه اللسان"(٦) وأديب عباسي في بحث له بعنوان" أصول الفعل الرباعي"نشره في المقتطف عام ١٩٤٠- كثيراً من الأفعال الرباعية إلى أصل ثلاثي .وحاول تمام حسّان في كتابه " مناهج البحث في اللغة" أن يرد بعضها إلى أصل ثلاثي في مبحث بعنوان "وسائل خلق الرباعي "(٧),وأما مرادكامل فله جهد واضح في البحث في نشأة الفعل الرباعي وطرق بنائه معتمداً في ذلك على اللهجات العربية الحديثة واللغات السامية الحية,وهو يرى" أن نشأة الفعل الرباعي في تلك اللغات مشتركة في قيامها على الثلاثية في الأكثر وبعضها على الثنائية,وهذا في حدود كل لغة بذاتها "(١).

ويعرض الأب هنري فليش لأصل الفعل الرباعي,ويرى أنه إمّا أن يكون تطوراً لأصل ثلاثي,نحو: شَمْخَرَ من شَمَخَ وَشَمْعَلَ من شَمَعَ أي تشتت,أو أن يكون من أصل اسمي:مَسمْرَ من مسمار,أو أن يكون تكراراً لعنصر ثنائي,نحو:زفزف من زفَّ بمعنى أسرع الخطى, ورقرق من راق ورأرأ من رأى وكبكب من كبّ بمعنى قلب... (٢).

وتحدث إسماعيل عمايرة أيضاً عن نشأة الفعل الرباعي بتأثير عوامل متعددة ,منها النحْت والاشتقاق من كلمات أجنبيّة,والقلب المكاني,والتبادل الصوتي,والتخلص من صعوبة نطقية, والمحاكاة والدلالة على الكثرة والتوهّم والتصحيف(٣). ويرى فوزي الشايب أن

---

(١) مراد كامل , تربيع الفعل الثلاثي في العربية وأخواتها من اللغات السامية , ص ٧٣ , مجلة مجمع اللغة العربية , الجزء الواحد والثلاثون , ١٩٧٣م , وانظر كتابه : نشأة الفعل الرباعي في اللغات السامية الحية : ٣.

(٢) انظر: هنري فليش, العربية الفصحى, نحو بناء لغوي جديد : ١٥٥ – ١٥٨ .

(٣) انظر : إسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف – الأقيسة الفعلية المهجورة : ١٢ – ١٣ .

(٤) فوزي الشايب , الإلحاق في اللغة العربية ", رسالة ماجستير : ٣٧٧ , وانظر : المرجع السابق : ٣٧١ .

(٥) مصطفى النحاس , مدخل إلى دراسة الصرف العربي على ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة : ٤٢ مكتبة الفلاح – الكويت , الطبعة الأولى , ١٩٨١ م .

(٦) انظر أحمد عبد المجيد هريدي , نشوء الفعل الرباعي في اللغة العربية " مكتبة الزهراء , القاهرة . ١٩٨٨ م وفي هذا الكتاب عرض تحليلي وافٍ لآراء القدماء ودراسات المحدثين في هذا الموضوع .

(٧) إبراهيم أنيس , " تطور البنية في الكلمات العربية " , ص ١٦٨ , مجلة مجمع اللغة العربية , القاهرة , الجزء الحادي عشر , ١٩٥٩ م .,

(٨) المصدر السابق , ص ١٧٢ .

الثلاثي هو الأصل,وما فوقه فـــرع عليـــه بالزيادة(٤), وهذا هو رأي مصطفى النحـــاس أيضاً (٥), وغيره من الباحثين (٦) ممن لا يتسّع المجال لذكرهم في هذه الدراسة .

أما الرأي المقابل للآراء السابقة الذكر,التي تجمع أن معظم الأفعال الرباعية تردّ إلى أصـــول ثلاثية,فهو رأي إبراهيم أنيس,الذي يتلخص في أن بنى الكلمـــات تتطـــــور نحـــو الاختصـــار والاختزال ,لا نحو التكثير أو التضخيم (٧). ويرى" أن افتراض الصورة الصغيرة هي الأصـــل يوقعنا دائماً في مشاكل وصعوبات ,فلا نكاد ندري العلة في زيادة حرف عليها أو العلة في كون الحرف الزائد هو كذا بالذات وفي ذلك الموضع من الكلمة بالذات"(٨),فالمعقول عنـــد أنـــيس افتراض أن تكون الصورة الكبيرة هي الأصل,لذا نجده يتخذ من النحت في العربية دليلاً على ما يذهب إليه في الكلمات العربية (١).

٣. طرق نشوء الفعل الرباعي في معاجم الأفعال :

يمكـــن تقسيم طرق نشوء الأفعال الرباعية الواردة في معجمي السرقسطي وابن القطاع , على النحو الآتي (٢):

أ. طرق نشوء الأفعال الرباعية ذات الأصل الثلاثي .
ب. طرق نشوء الأفعال الرباعية ذات الأصل الرباعي المجرد.

أ. طرق نشوء الأفعال الرباعية ذات الأصل الثلاثي , ولعل أبرزها ما يأتي:

١. النشوء بزيادة حرف في أول الأصل الثلاثي أو وسطه أو آخره .
٢. النشوء بالتكرار .

---

(١) انظر : إبراهيم أنيس , " تطور البنية في الكلمات العربية : ١٦٩ – ١٧١ .

(٢) استقيت هذا التقسيم من الباحث عمر يوسف عكاشة في دراسته : " الفعل الرباعي في لسان العرب : دراسة تأصيلية " وقد استقاه مـــن تقســـيم مـــراد كامل و تقسيم إسماعيل عمايرة ,

(٣) ابن القطاع : ١ / ١١١ ومن الأمثلة التي نشأت بزيادة الباء قبل فاء الفعل أيضاً : بملق ولمق (بعد التعرض للقلب المكانـــي) (السرقســطي : ٤ / ١٢٩ وانظر : لسان العرب (لمق) ١٠ / ٣٣٣ , وبرشم ورمش (بعد التعرض للقلب المكانـــي) (السرقسطي : ٤ / ١٣٠).

٣. النشوء بإقحام همزة في وزن افعالً.

١. النشوء بزيادة حرف في الأصل الثلاثي :

أ. الزيادة في الأوّل :

وردت أفعال في معجمي السرقسطي وابن القطاع ,دخل عليها حرف زائد من أوّلها قبل فاء الكلمة , ومن هذه الأفعال : بزمخ الرجل, تكبّر (٣), ولعله من (زمَخَ) بزيادة الباء " وزمَخَ بأنفه زموخاً : رفعه تكبّراً . قال أبو عثمان : وزمخ الأنف نفسُه : طال تكبّراً ..."(١).وقد يكون الفعل منحوتاً من(زمَخ) و (بَزِخ) ,كما ذكر ابن فارس (٢), وأيده في ذلك إبراهيم السامرائي (٣), وعند البحث في معنى بزخ نجد أن بزخ بزخاً تعني اطمأنَّ خِلْقةً , وقد أنشد أبو عثمان :

يمشي من البِطنة مشيَ الأبزخ(٤)

وقد يُقال : إنه معنى بعيد عن معنى بزمخ , لكن يمكن القول إنه قد يكون منحوتاً عن (زمخ) و (بزخ) المتطورة عن (بذخ) , فتعاقب الذال والزاي مما تقره القوانين الصوتية , كما مرَّ سابقاً , ويؤيد ذلك أن الفعل (بذخ) يدل على ما يدلّ عليه الفعل (بزمخ) فهو يعني : تطاول فخره وكلامه (٥). وقد يكون (بزمخ) من بذخ بزيادة الميم حشواً وإبدال الذال زايا .

ومن الأمثلة أيضاً (دغرق وغرق) وهما يدلان على معنى مشترك , وهو التغطية والإخفاء " يُقال : دغرقت المرأة سترها : أرسلته , ومنه دغرقةُ الليل وهو أن يُلبِس كل شيء "(٦), وجاءَ في لسان العرب : "... يقال : غَرِق في الماء وشَرِق إذا غمره الماء فملأ منافذه حتى يموت "(٧). ويدلان أيضاً على الماء الكثير , فجاء من معاني دغرق أيضاً " ودغرقَ الماء صبّه صبّاً شديداً "(٨), وقد تعاقبت الراء مع الفاء , وهذا ممكن لما بينهما من قرب مخرجي , فنشأ الفعل (دغفق) الذي يحمل المعنى نفسه (٩).

---

(١) السرقسطي : ٣ / ٤٥٩ .

(٢) ابن فارس , مقاييس اللغة : ١ / ٣٣١ .

(٣) إبراهيم السامرائي , الفعل زمانه وأبنيته : ١٣٦ – ١٣٧ .

وهذا يعني أن الإبدال الصوتي التاريخي من الطرق أو الوسائل التي أسهمت في تعدّد صور الفعل الرباعي بعد نشوئه , و أسهم – كما ذُكر سابقاً – في إغناء المعاجم العربية بمداخل جديدة .

وقد تزاد السين صدراً قبل فاء الفعل , ومن الأمثلة على ذلك: (سرهد)و(رهد) و " سرهدْتُ الصبيّ حسّنت غذاءه "(١) , ومن معاني (رهد): نَعُمَ ورخُصَ (٢), فتحسين الغذاء يدل على التنعّم.و(سقلب) و (قلب) , فالسين هي حرف التعدية (٣). والسقلبةُ الصرع (٤), وجاء في مادة (قلب) : قلبتُ " الشيء أصبت قلبه... وأقلب البعير قُلاباً وجعه قلبه فمات ... " (٥), والقُلاب يقود إلى المصرع, فكلاهما يدلّ على الداء . والسين في (سقلب) تقابل الهمزة في (أقلب) (٦).

وأما الفعل(سلقى) فيرى سيبويه أنه مزيد على زنة (فعلى) , إذْ يقول : " هذا باب مالحقته الزوائد من بنات الثلاثة , وألحق ببنات الأربعة , حتى صار يجري مجرى ما لا زيادة فيه , وصارت الزيادة بمنزلة ما هو من نفس الحرف ... ومثل ذلك فعليْتُه نحو : سلقيته سلقاةً "(٧). فكأنه بذلك يعدّ الأصل الثلاثي له (سلق) , ويرى السرقسطي أيضاً أنه بمعنى سلَقَ , أي بزيادة الألف في آخره , " وسلق الرجل على قفاه : إذا بطحه "(٨).

ويرى أحمد عبد المجيد هريدي أنه من الأفعال الرباعية التي تكونت باندماج مورفيم التعدية في الساميات , وهو السين مع الفعل , فالفعل (سلقى) مشتق من الفعل (لقى) , وليس من الفعل (سلق) لأن سَلْقى : بمعنى ألقى (٩). وأرجح ذلك الرأي , كما هو الحال في اللغة الآرامية (١٠) . و(شرسف) ربما نشأت من (رسف) , " ويُقال شَرْسَفَتِ الشاةُ شُرْسفةً , وذلك إذا كان بجنبيها بياض قد

---

(٤) السرقسطي : ٤ / ١١٣ .
(٥) المصدر السابق : ٤ / ١١٦ .
(٦) نفسه : ٣ / ٣٤٤ .
(٧) ابن منظور (غرق) ١٠ / ٢٨٤ .
(٨) ابن القطاع : ١ / ٣٨١ .
(٩) المصدر السابق : ١ / ٣٨١ .

غُشِي الشراسيف والشواكل " (١١) و رسف المقيّد : مشى في قيده (١٢).

ولعل العلاقة غير واضحة بينهما , ولكن وَرَدَ في لسان العرب " والشُرْسوف أيضاً:البعير المقيّد, وهو أيضاً الأسير المكتوف , وهو البعير الذي قد عُرقبت إحدى رجليه"(١),وما جاءَ في لسان العرب يثبت العلاقة المعنوية واللفظية بينهما (٢).

و شَشْقل و شَقَل , " يقول : شَشْقلنا الدنانير شَشْقلة أي عَيَّرناها وذلك إذا وزنوها ديناراً ديناراً وهي كلمة حِميرية عباديّة , ويقال ليست الشَشْقلة بعربية محضة "(٣) ,ووردَ في لسان العرب:" ... الشَّقْل الوَزْن , يقال : اشْقُل لي هذا الدينار أيْ زِنه ...(٤), فالمعنى للفعلين واحد ,ولا يمكن أن يكون الفعل (شَشْقل)على زنة(فَعْلَلَ) ؛ لأن الفاء تماثل العين , وليس في العربية كلمة تماثل فيها الفاء العين , وهذا يؤكد أن (شَشْقل) ليست بعربية محضة , فهي على زنة " شَفْعَل من الفعل المزيد في السريانية (= أفعل في العربية والآراميّة = هفعل في العبرية) "(٥).

إذن , فالزيادة بالشين أو السين قياسية في بعض اللغات السامية , " ولعل في هذا ما يؤكد الأصالة التاريخية للزيادة بالشين والسين في العربية , ولكن الزيادة بالهمزة قد غَلَبت , فانقرضت الزيادة بالشين والسين , و لم يَعُد من آثارها سوى هذه الشواهد المتحجّرة substrata التي أَخذت اللغة تتعامل معها ,كما لوكانت الشين

---

(١) ابن القطاع : ٢ / ١٧٤ .

(٢) المصدر السابق : ٢ / ٤٤ .

(3) Wright , W., A Grammar of the Arabic Language , P 46 .

(٤) ابن القطاع : ٢ / ١٧٤ .

(٥) المصدر السابق : ٣/ ٢٣.

(٦) انظر : إسماعيل عمايره , معالم دارسة في الصرف – الأقيسة الفعلية المجهورة , ص ٣٨ .

(٧) سيبويه : ٤ / ٢٨٦ .

(٨) السرقسطي : ٣ / ٥٤٠ .

(9) Wright, W., A Grammar Of the Arabic Language , P 46.

(١٠) أحمد عبد المجيد هريدي , نشوء الفعل الرباعي في اللغة العربية , ص ١٢ .

(١١) السرقسطي : ٢ / ٤٠٤ .

(١٢) المصدر السابق : ٣ / ٧٥ .

(١) ابن منظور (شرسف) ٩ / ١٧٥ .

(٢) انظر أيضاً : إسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف – الأقيسة الفعلية المهجورة , ص ٣٩ .

(٣) السرقسطي : ٢ / ٤٠٣ وانظر : ابن القطاع : ٢ / ٢٢٨ .

(٤) ابن منظور (شقل) ١١ / ٣٥٦ .

والسين فيها أصيلتين "(٦). ويؤيد ذلك كثرة الأمثلة المصدرة بالشين الزائدة في اللهجات العربية الحديثة , نحو شخبط و شقلب , وشلفق , وشَعْلق ...(٧).

ويذهب عمر يوسف عكاشة إلى أن (شقل) قد يكون معرباً , فهو في العبرية (šáqαl) بمعنى وزن وعَيّرَ , ويقابل الفعل (ثقل) في العربية , فالثاء في العربية تقابلها شين في العبرية (٨).

ولعل (شعوذ) من (عوذ) (١) و" شعوذ الرجل شعوذة : إذا وُصِف بفعل السحر , أو ما يُشبهه, ويقال : إن هذه الكلمة ليست من كلام أهل البادية إنما هي مولدة "(٢), وهذا يؤيد أنها على وزن (شفعل) الذي يُقابل (أفعل) في العربية .

وقد تزاد الهاء صدراً قبل فاء الفعل , فينشأ الفعل (هفعل) , وهذه الزيادة قياسية في بعض اللغات السامية كالعبرية (هفْعيل) وهو يقابل (أفعل) في العربية (٣), يقول إسماعيل عمايرة : " لقد تعطّلت التعدية بالهاء فلم تعد قياسية , أو قل دخلت في باب الأقيسة المهجورة وأُخليت السبيل بهذا إلى التعدية بالهمزة , ولم يبق من آثار تلك الظاهرة سوى أمثلة قليلة , احتفظت بها اللغة على أنها سماعية لا قياسية "(٤).

ومن الأمثلة على هذه الزيادة في معجمي السرقسطي وابن القطاع : هزرف وزرف " وهزرف البعير أسرع فهو هُزروف وهِزْراف "(٥), وأزرف القوم : أسرعوا وكذلك زرفوا (٦), فالعلاقة المعنوية تؤيد نشوء هزرف من زرف , ويرى إسماعيل عمايرة " أن هزرف وأزرف , من أصل واحد , وقد تبادلت الهاء والهمزة على نحو ما حصل في : أراق وهراق , وهما من المادة الثلاثية زرف " (٧). ومن الأمثلة أيضاً : (هلقم) الشيء و (لقمه) بمعنى ابتلعه (٨). و (همزج) و (مزج) يدلان على الاختلاط (٩), ونشأت (هزمج) بالقلب المكاني أيضاً لتدل على معنى اختلاط

---

(٥) السيد يعقوب بكر , دراسات مقارنة في المعجم العربي , ص ١٦٥ , مجلة مجمع اللغة العربية – القاهرة , ج ٢٦ , ١٩٧٠ م ,.

(٦) إسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف – الأقيسة الفعلية المهجورة , ص ٤٣.

(٧) انظر : مراد كامل , تربيع الفعل الثلاثي في العربية وأخواتها من اللغات السامية , ص ٧٩ وانظر إسماعيل عمايرة معالم دارسة في الصرف – الأقيسة الفعلية المهجورة , ص (٤٠ – ٤٢) .

(٨) عمر يوسف عكاشة , الفعل الرباعي في لسان العرب : دراسة تأصيلية , ص ٦٢ .

(١) انظر : أديب عباسي , أصول الفعل الرباعي , ص ٨٠ وإسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف – الأقيسة الفعلية المهجورة , ص ٤١ وهو يعدّ (شعوذ) مما درج في اللهجات الحاضرة .

الأصوات (١٠), ولعل (هنبش) ناشئة عن (نبش),فنبش تدل عـــلىمعنى الإخراج (١١), ومرّ فلان (يتهنبش) على أخبار الناس إذا تجسَّس(١٢) , والتجسّسّ فيه معنى الإخراج .

وقد تزاد العين أيضاً قبل فاء الفعل,فينشأ الفعل (عفعل)وهي تقابل الهمزة في (أفعل) ومن ذلك :(عبهل) الناشئة مـــن (بهل), وعَبْهَلْتُ الأبل :أهملتهـــا,و" عبهلتُها وأبهلتُهـــا واحد , أُبدلت الهمزة عيناً (١). والقول بإبدال الهمزة عيناً في هذا الفعـــل الربـــاعي يثبت أن (عَفْعل) تقابل(أفْعل) .وجاءَ في مادة بهل: " بَهَلت الناقة بهولاً , وأبهلتُها أنـــا فهي باهل ومُبهلة : إذا تركها بلا صدار, ولا سمة " (٢) وهذا فيه معنى الإهمال أيضاً .

وقد تزاد النون صدراً كما في (نَخْربَ) : " نَخْرَبَ القادح الشجرة نخربـــة , وهي شجرة مُنَخْربَة : إذا أخْلَقَت , وصار لها نخاريب " (٣) وهي تشترك في المعنى مع خرب : " وخَرَبْتُ الشيءَ خرْباً : شققْته ... وخرب المكان خراباً : صار كـــذلك , وخرِبَ الرجل خرباً : انشقّت أُذُنه ..." (٤) و قد يكون الفعل (نخْرب) ناشئاً بزيـــادة الباء في آخر الفعل (نخر):" ونخر العظم والعودُ نخْراً : تفتّتا وبليا فهو ناخر ونخِر ... " (٥) فالعلاقة المعنوية بين (نخر) و (نخرب) واضحة أيضاً .

---

(٢) السرقسطي : ٢ / ٤٠٨ وانظر : المصدر السابق (عاذ) ١ / ٢٠٣ وابن القطاع : ٢ / ٢٢٨ .

(٣) انظر : إسماعيل عمايرة, معالم دارسة في الصرف ص ٣١ والسيد يعقوب بكر , دراسات مقارنة في المعجم العربي , ص ١٦٥.

(٤) إسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف , ص ٣٢ – ٣٣ .

(٥) ابن القطاع : ٣ / ٣٧٢ .

(٦) المصدر السابق : ٢ / ٨٧ .

(٧) إسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف , ص ٣٤.

(٨) ابن القطاع (هلقم) ٣ / ٣٧٢ (لقم) ٣ / ١٢٣ , وانظر : إسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف , ص ٣١ ومراد كامل , تربيع الفعل الثلاثي في العربية وأخواتها في اللغات السامية , ص ٧٧ وانظر : فوزي الشايب , الإلحاق في اللغة العربية : ١٨٨ , ٢٤٣ .

(٩) ابن القطاع (مزج) ٣ / ١٩٤ (همزج) ٣ / ٣٧١ .

(١٠) ابن القطاع : ٣ / ٣٧١.

(١١) المصدر السابق : ٣ / ٢٥٢ .

(١٢) نفسه : ٣ / ٣٧٣ .

(١) السرقسطي : ١ / ٣٢٠ وانظر : ابن القطاع : ٢ /٤٠٨ .

(٢) السرقسطي : ٤ / ٦٨ .

(٣) السرقسطي : ٣ / ٢٤١ .

(٤) المصدر السابق : ١ / ٤٥٣ .

(٥) نفسه : ٣ / ٢٠٦ .

(٦) انظر : إسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف , ص ٥٧ .

(٧) السرقسطي : ٣ / ٣٥٦ .

ب . الزيادة في الوسط

وتكون هذه الزيادة للمخالفة الصوتية بين المتماثلين في صيغة (فعَّلَ) وذلك بإسقاط أحد المتماثلين والتعويض عنه بزيادة حرف , يغلب أن يكون من الأحرف المائعة أو أحرف اللين أو المد , فيقع بذلك الحرف المعوض به بين فاء الفعل وعينه أو بين عين الفعل ولامه , ويترتب على ذلك إعطاء الصيغة الجديدة الناجمة عن المخالفة معنى خاصاً يغاير أحياناً المعنى الأصلي الذي للفعل قبل فك الإدغام ,أو التخلص من المتماثلين (٦).

١. عندما يكون الحرف المعوض به , بين فاء الفعل وعينه :

والأمثلة عل ذلك كثيرة جداً , منها :تَوْبَلَ من الفعل (تَبَّلَ) بالمخالفة الصوتية , وقد وردَ " تَبَلْتُ القدر وتَوْبلتها : ألقيت فيها التوابل "(٧) . وثَعْجَرَ دَمْعَه : إذا صبَّهُ , فاثْعَنْجَرَ الدمع بمعنى سال (١). ولعلّ الفعل (ثعجر) ناشئٌ من (ثجر) بزيادة العين . والثاء في (ثجر) مبدلة من الفاء , أي إن الأصل هو (فجر) ويؤيد ذلك ما جاءَ في لسان العرب : " ... انْثجر الجُرْح وانفَجَر إذا سال ما فيه , الجوهري : انْثجر الدم لغة في انفجر "(٢) , ومن الأمثلة أيضاً : دَحْرَجْتُ الشيء ودرّجتُه (٣), بزيادة الحاء بعد سقوط الراء الأولى (٤).

ودَغْفَق من دفّقَ بزيادة الغين , بدلاً من الفاء الأولى الساقطة بعد فكّ الإدغام , ودَغْفَقْتُ الماء : صببته . ودَفَقَ الماء : انصب (٥). و (زلقم) بمعنى بلع (٦), قد تكون من زقم الدالة على الابتلاع (٧) أيضاً , أي بزيادة اللام ,وقد تكون من لقم أيضاً بزيادة الزاي صدراً , ولعل زمجر(٨) من (زجر) بزيادة الميم (٩). ويرى أديب عباسي أن (زمجر) من الأفعال التي صيغت بحكاية أصوات الطبيعة (١٠).

---

(١) المصدر السابق : ٣ / ٦٣٤ وابن القطاع : ١ / ١٤٧ .

(٢) ابن منظور : ٤ / ١٠٠ –١٠١ .

(٣) ابن القطاع : ١ / ٣٧٩ .

(٤) وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه في فصل المخالفة الصوتية من أنها لا تكون بالتعويض عن أحد المتماثلين المحذوف بصوت من أصوات العلة أو بصوت من الأصوات المائعة فقط , فالحاء في (دحرج) مثلاً ليست من تلك الأصوات , وكذلك العين في (ثَعْجَرَ) .

(٥) السرقسطي : (دغفق) ٣ / ٣٤٤ (دَفَق) ٣ / ٣٢٩ وانظر : إسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف , ص ٦٠ – ٦١ .

(٦) السرقسطي : ٣ / ٤٨٥ .

(٧) ابن منظور : (زقم) ١٢ / ٢٧٢.

(٨) السرقسطي : ٣ / ٤٨٥ .

(٩) انظر : ابن فارس , مقاييس اللغة : ٣ / ٥٣ .

(١٠) انظر : أديب عباسي , أصول الفعل الرباعي , ص ٨٤ .

ولعل (شَمْعَل) و (اشمَعَلَّ) من شعَّلَ) إذ خولف بين صوتي العين , بسقوط العين الأولى وإضافة صوت من الأصوات المائعة , وهو صوت الميم .وقد جاءَ في مادة (شَمْعَلَ) : " شمعلت اليهود شمعلة وهي قراءَتهم "(١١) , وربما كانت تلك القراءة على ضوء الفتائل المشعْلَة . وجاء في مادة (اشمعلَّ) : " اشمعلّت الإبل : إذا تفرَّقت ومضَت مرحاً ونشاطاً ..."(١٢). فشمْعَل تدل على معنى التفّرق أيضاً , وهذا يتفق ومعنى (شعل) , إذْ جاء في مادة (شعل) : " وأشعلتِ الفارة : تفرَّقت . والفارة المُشْعِلة : المنتشرة المتفرقة ... وجرادٌ مُشْعِل : كثير متفرق إذا انتشر وجرى في كل وجه ... وأشعل الإبل : فرقهم , عن اللحياني . وأشعلت جمعه إذا فرقته ..."(١). ويرى هنري فليش أن اللام هي الزائدة في (اشمعلَّ) فالفعل من (شمع) بمعنى تشتت (٢), وليس في مادة (شمع) معنى التشتت, لكن يمكن تعسّفاً إدراك هذا المعنى في " وأشمع السراج : سَطَعَ نوره ..."(٣) فالنور عندما يسطع تتفرق أشعته,ويرى ويليام رايت أن (شمعل) من (شمع) بزيادة اللام (٤).

و أرى أن المعنى الجامع بين (شمع)و(اشمعلَّ) هو الدلالة على المرح والنشاط والمزاح واللعب والطرب والضحك (٥), لهذا يمكن أن تكون (اشمعلَّ) من (شمع) , ويرى أديب عباسي أن (اشمعلّ) من الفعل (مَعَلَ): "اشمعلّ الرجل – جدَّ في المعنى , ومعلَ الرجل – أسرع في سيره "(٦), فالشين عنده زائدة , وقد جاءَ في مادة (معل) :" ومعل

---

(١١) السرقسطي : ٢ / ٤٠٣ وابن القطاع : ٢ / ٢٢٧ .

(١٢) السرقسطي : ٢ / ٤٠٧ .

(١) ابن منظور (شعل) ١١ / ٣٥٤ .

(٢) انظر : هنري فليش , العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد , ص ١٥٦ .

(٣) ابن منظور (شمع) ٨ / ١٨٦ .

(4) Wright , W., A Grammar of the Arabic Language , P 47

(٥) انظر : ابن منظور (شمع) ٨ / ١٨٦.

(٦) أديب عباسي , أصول الفعل الرباعي , ص ٨١ , مجلة المقتطف , الجزء الأول , المجلد السابع والتسعون , ١٩٤٠ م .

(٧) ابن منظور (معل) ١١ / ٦٢٦ .

(٨) المصدر السابق (شعل) ١١ / ٣٥٥ .

(٩) السرقسطي : ٢ / ١٢٦ .

(١٠) المصدر السابق :٢ / ١٣٠ .

(١١) نفسه : ٢ / ١٥٩ .

السير يمعله معلا : أسرع,وغلامٌ مَعِل أي خفيف ..."(٧),و لم يتنبه على أن(شعل) أيضاً تدل على ما يدل عليه الفعل (معل) , فجاء في مادة (شعل):"وغلامٌ شَعْلٌ أي خفيف متوقّد ,ومعل مثله "(٨).

ولعل (قَهْوَسَ) من قَوِس بزيادة الهاء قبل الواو , فهما يشتركان في معنى الانحناء ," فقَوِسَ قَوَساً , فهو أقوسَ : إذا انحنى كالقوس ..."(٩), وجاء فلان يَتَقَهْوَس : إذا جاءَ منحنياً يضْطرب " (١٠). وكَنْثَأً من كَثَأَ بزيادة النون ,و جاء في مادة (كَثَأَ) : " كَثَأَت لحيته , وكَنْثَأَتْ : طالت " (١١).

٢. عندما يكون الحرف المعوض به بين عين الفعل ولامه :

ومن أمثلة ذلك في معجمي السرقسطي وابن القطاع : بذلخ من بذخ بزيادة اللام بعد الذال و " بذلخ بذلخة" , فهو مُبذلخ وبِذلاخ وهو الذي تسميه العامة المطرمِذ "(١), وبذخ يعني : تطاول فخره وكلامه (٢). ولعل الفعلين (بذلخ) و (بزمخ) مادة واحدة , فإبدال الذال زاياً واللام ميماً مما تقره القوانين الصوتية , وهما يعودان إلى الفعل الثلاثي (بذخ) . و " بلهس أسرع في مشيه , وبلأص عدا من فزع وبلعص مثله "(٣), ولعل جميع هذه الأفعال مادة واحدة , وهي (بلأص) , ثم بُولغ في تحقيق الهمزة فأبدلت عيناً فنشأ الفعل (بلعص) وربما سهلت الهمزة بعض الشيء فأصبحت في النطق هاءً , وأبدلت الصاد سيناً , فنشأ الفعل (بلهس) .

وعندما بُحث في مادة (بلص) لم يُعثر على معنى السرعة أو الفزع أو ما يقاربهما ,وهذا يعني أن الأصل ليس (بلص),وقد يكون (فلص) (٤) التي تدل على التفلّت والفرار(٥) ,ثم أبدلت الفاء باءً وزيدت الهمزة حشواً فنشأ الفعل (بلأص) .

---

(١) ابن القطاع : ١ / ١١١ , و المطرمذ هو " الذي له كلام وليس له فعل " (ابن منظور (طرمذ) ٣ / ٤٩٨)

(٢) السرقسطي : ٤ /١١٦ .

(٣) ابن القطاع : ١ / ١١٢ .

(٤) انظر: عمر يوسف عكاشة , الفعل الرباعي في لسان العرب , ص ١٤٤ .

(٥) ابن منظور (فلص) ٧ / ٦٧ .

ومن الأمثلة أيضاً (جلمح) من جلح و (جلمه) من جله بزيادة الميم بعد عين الفعل , ولعلها تعود إلى مادة واحدة , إذ إن تعاقب الهاء والحاء واردٌ في العربية , ويؤيد ذلك الاشتراك في المعنى فالفعل (جلح) يعني " انحسَرَ شعر مقدّم رأسه " وجَلْمَح رأسه بمعنى حَلَقَه (٦). وجَلَه العِمامة نزعها,وجَلِه أكثر من جَلِح إلى نصف الرأس,وجَلْمَه رأسه:حلقه (٧).وجَلْمَطَ رأسه من جلطه بمعنى حلقه (٨), بزيادة الميم حشواً بعد عين الفعل.وقد تعود جميع هذه الأفعال إلى الفعل الثنائي المضاعف (جلَّ),وكذلك الأمر في جلا, التي تدل على الذهاب والزوال(٩).ورهكت المرأة ورَهْوَكت : إذا أرخت المفاصل في المشية (١), فنشأ الفعل (رهوك) بزيادة الواو بعد عين الفعل , و (نَأْمل) من (نَأَل) بزيادة الميم بعد عين الفعل , ويؤيد ذلك اشتراكهما في المعنى العام , فالفعل (نَأْمل) يعني : مشى مشيَ المقيّد (٢), و نَأَلَ الرجلُ : إذا مرَّ يتدافع بحمل ثقيل (٣).

وبهذا تميل اللغة إلى التوسعة على نفسها و الانطلاق من الفعل الثلاثي المضعف العين بفك إدغامه عن طريق إقحام حرف جديد , لأداء معنى جديد مع بقاء المعنى العام المشترك (٤).

---

(٦) السرقسطي (جلح) ٢ / ٢٩٨ (جلمح) ٢ / ٣١٣ .
(٧) السرقسطي (جله) ٢ / ٢٩٨ وابن القطاع (جلمه) ١ / ١٩٨ .
(٨) السرقسطي : ٢ / ٣١٤ وابن القطاع : ١ / ١٩٨.
(٩) السرقسطي : ٢/٢٥٢ – ٢٥٣ .

(١) السرقسطي :٣ / ٧٦ .
(٢) السرقسطي : ٣ / ٢٤١ .
(٣) المصدر السابق : ٣ / ٢٣١ .
(٤) انظر : إسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف , ص ٦٣ .
(٥) ابن القطاع : ١ / ١١٤ وانظر : السرقسطي : ٤ / ١٣٠ .
(٦) ابن منظور (بلعم) ١٢ / ٥٦ .
(٧) السرقسطي : ٣ / ٣٣٥ .
(٨) المصدر السابق : ٣ / ٤٨٥ .
(٩) ابن منظور (زرد) ٣ / ١٩٤ .
(١٠) السرقسطي : ٣ / ٥٧١ .
(١١) ابن منظور (سمه) ١٣ / ٥٠٠.

ج. الزيادة في الآخر :

نشأت صيغ رباعية بزيادة حرف بعد لام الفعل الثلاثي,و من هذه الصيغ :(بلعم) , فقد تكون من (بلع) بزيادة الميم آخراً , فالبلعمة تعني الابتلاع (٥), وقد ذكر ابن منظور صراحةً أن الميم زائدة (٦). ودَخْشَمَ قد تكون من دَخِشَ , بمعنى امتلأ لحماً , فالميم زائدة . وقد ذكر ذلك أبو بكر ابن القوطية فقال : " وأحسب أنّهم سمّوا دخْشَماً من هذا الباب , والميم زائدة "(٧). وزَرْدَمَهُ : إذا خنقه (٨), وهو أيضاً معنى (زردَه) (٩) وهذا يعني أن الميم زائدة في الفعل الرباعي (زرْدم) .ولعل الفعل (سَمْهَج) من الفعل (سمه) بزيادة الجيم , فجاء في مادة (سَمْهَج) : " يقال : سَمْهَجَ الكلام سَمْهجة : إذا كذب فيه "(١٠) , وجاء في مادة سمه : والسُّمّهُ والسُّمَّهى والسُّمَّيْهى , كله : الباطل والكذب.وقال الكسائي:من أسماء الباطل قولهم السُّمَّهُ ..."(١١) ويرى عمر يوسف عكاشة أن (سمهج) فعل مشتق من الاسم (سامه) وسامه: العهد والحلف في الفارسية , وسمهج اليمين تعني شدَّدَ في الحلف (١), وقَمَطَ الشيء : "شدّ يديه ورجليه"(٢), وروي عن الكسائي:" قمْطرت القربة:إذا شَدَدْتَها بالوِكاء"(٣),فهما يدلان على معنى الشدّ, وهَرْمَلَ قد تكون ناشئة عن(هرم) ,جاء في مادة هرْمَلَ:"وهَرْمَلَتِ العجوز:صارت كالخرقة البالية "(٤).

وتزاد الألف بعد لام الفعل , نحو : (جخّى) التي قد تكون من (جَخَّ) , إذ جاء في مادة (جخَّى) : " جَخَّت المرأة تُجَخّي تجخية , ومالت تميل ميلاً , وانصبّت انصباباً , وهوت هُويّاً, كله واحد "(٥). ويعني (جَخَّ) : تحوّل من مكان إلى غيره (٦) , و لعلهما يشتركان في معنى الميل والتحول , وربما نشأ الفعل (جخَّى) بإشباع فتحة الخاء , على النحو الآتي : ğaḫḫa > ğ aḫḫā

---

(١) انظر: عمر يوسف عكاشة , الفعل الرباعي في لسان العرب : ١٧٠.

(٢) السرقسطي : ٢ / ١٠٥.

(٣) المصدر السابق : ٢ / ١٣١.

(٤) نفسه :١ / ١٨٧.

(٥) نفسه : ٢/ ٣١٨ .

(٦) نفسه :٢٨٤/٢.

(٧) السرقسطي : ٢ / ٢٩٧ وتعني جعب : جمع مثل جحل وتعني أيضاً : صَرَع , انظر : إسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف:٨٢ .

(٨) السرقسطي : ٢ / ٢ .

(٩) المصدر السابق : ١ / ٥١٢ .

ولعل (جَعْبَى) من (جَعَبَ) , " يقال : جَعْباه بمعنى جَعَبَه " (٧) وربما نشأ الفعل (جَعْبَى) بإشباع فتحة الباء في (جَعَبَ) , ولتعدد المقاطع المفتوحة , الذي تكرهه العربية , سقطت فتحة العين , فتغير ترتيب هذه المقاطع , كما يظهر في المخطط الآتي : ğa/ʿa/ba > ğa/ʿa/bā > ğaʿ/bā

وكذلك الأمر في (غَنْظى) من غَنَظَ , فقد جاء في مادة غَنَظَ :"وغَنَظْتُه غنْظاً , وأغْنظْتُه : غَمتُه أشدّ الغمّ .. قال : ويُقال للمرأة التي تَبْذُؤُ وتجيء بالكلام القبيح هي تُغَنْظي "(٨), وأيضاً (خَنْظى) (٩), إذْ تتعاقب الخاء مع الغين .

وأما تظنّى وتسرَّى , وما هو نحوهما من الأفعال , فقد نشأت عن طريق المخالفة الصوتية , إذْ الأصل : تظنّن وتَسَرَّرَ , فسقط الصوت الأخير في كل منهما , وعوض عنه بإشباع فتحة ما قبله كما في المخطط الآتي : tasarrā < tasarra> tasarrara

ومما نشأ بسبب المخالفة الصوتية أيضاً الفعل (ارْعَوَى) (١) ويرى إسماعيل عمايرة أنه فعل ناشئ بزيادة حرف بعد لام الفعل (رعا) , لذلك يجعله على زنة (افْعَلَى) (٢).

٢. النشوء بالتكرار :

١. الأفعال التي يتماثل فيها فاء الفعل مع لامه الأولى , وعينه مع لامه الثانية , نحو : زلزل ودمدم وهجهج و صرْصر ...., ويمكن حصر الآراء (٣) التي فسرت نحو هذه الأفعال فيما يأتي :

أ.الرأي الذاهب إلى أنها ناشئة بتكرار المقطع الثاني (فَعْ) , فتكون بذلك على زنة (فَعْفع) وهذا التكرار يؤدي لوناً جديداً من ألوان المعنى , الذي يؤديه المقطع الثاني (فَعْ) , وهذا الرأي هو رأي الثنائيين , ويؤيده وجود أمثلة عديدة عليه في اللغات السامية الأخرى , ويعدّ مثل هذه الأفعال من باب المحاكاة لأصوات الطبيعة (٤), فبين جرس كل منها ومعناها تناسب وتوافق , وقد حاول ابن جني في

---

(١) انظر : فصل (المخالفة الصوتية) من هذه الدراسة , وذلك إذا كان على زنة (افعول) من (رعوَ) , أي إن البنية العميقة له هي (ارعوو) .

(٢) إسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف , ص ٨٢ – ٨٣ .

(٣) انظر : المرجع السابق : ٨٦ – ٨٨ وعمر يوسف عكاشة , الفعل الرباعي في لسان العرب : ١٢٣ – ١٢٤ .

(٤) انظر : ولفنسون ,تاريخ اللغات السامية : ٢٢, وإبراهيم السامرائي , الفعل زمانه وأبنيته : ١٩٥ وإسماعيل عمايرة, معالم دارسة في الصرف : ٨٦ – ٨٨.

(٥) ابن جني , الخصائص : ٢ /١٥٤.

(٦) انظر : السيوطي, المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٢ / ٤٦ وتمام حسان , مناهج البحث في اللغة , ٢١٨ وإسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف:٨٩

(الخصائص) أن يبحث ذلك في أبـــواب منهـــــا : " في إمساس الألفاظ أشباه المعاني "(٥).

ب.الرأي الذاهب إلى عـــدم إهمال التضعيف , فهي – وفقاً لذلك – ثلاثية الأصل من (فَعَلَ) , نحو : جرَّ – جرجر ,و زلَّ – زلزل , و صرَّ – صَرْصَرَ , ونادى بهذا الرأي ابن دريد (٦),ويمكن تفسيره بفكّ الإدغام في (صرَّ) ليصبح (صَرَرَ) ثم تكرار فاء الفعل ليفصل بين المتماثلين (عين الفعل ولامه) لينشأ : (صَرْصَرَ) .

ج. أما الرأي الثالث فهو الذي يجعل الفعل (زلزل) وما هو نحوه يعود إلى وزن (فَعَّل) الذي تتماثل فيه العين المضعفة مع اللام , فيتوالى ثلاثة أصوات متماثلة (زَلَّلَ) وهذا مستثقل في العربية تفرّ منه اللغة بالمخالفة الصوتية بحذف اللام الثانية , والتعويض عنها بتكرار فاء الفعل (الزاي) لينشأ (زَلْزل) , وهذا هو رأي الكوفيين في هذه الأفعال ورأي من تابعهم (١), .

وقد أنكر ابن جني أن يكون أصل حَثْحَثَ هو حثَّثَ , قال : " فأما قول من قال في قول تأبّط شرّاً : **كأنّما حَثْحَثوا حُصّاً قوادمُهُ أو أُمَّ خِشْفٍ بذي شَثٍّ وطُبّاقِ**

أنه أراد : " حَثَّثوا " فأبدل من الثاء الوسطى حاء , فمردود عندنا , وإنما ذهـــب إلى هذا البغداديون وأبو بكر معهم أيضاً . وسألت أبا علي عن فساده , فقال : العلـــة في فساده أن أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها , وذلـــك : الـــدال والطاء والتاء , والذال والظاء والثاء , والهاء والهمزة , والميم والنون , وغير ذلك ممـــا تدانت مخارجه . فأما الحاء فبعيدة من الثاء , وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها , قال : وإنما حَثْحَثَ أصل رباعي , وحَثَّثَ أصل ثلاثي , وليس واحد منهما من لفظ صاحبه , إلا أن حثحث من مضاعف الأربعة , وحَثَّث من مضاعف الثلاثة "(٢) .

وأرى صحة الآراء الثلاثة في تفسير نشوء الرباعي المضاعف , فبعض الأفعـــال بين جرسها ومعناها تناسب وتوافق , يؤكدان نشوءها محاكاة لأصوات الطبيعة من

---

(١) الفراء , معاني القرآن : ٣ / ١١٤ , تحقيق عبد الفتاح شلبي , مراجعة علي النجدي ناصف , الهيئة المصـــرية العامـــة للكتـــاب , ١٩٧٢ , والزبيدي, لحن العامة : ١٢٤ , تحقيق عبد العزيز مطر , دار المعارف , ١٩٨١ م , وابن السكيت , إصلاح المنطق , ٣١٩ , تحقيق أحمد محمـــد شـــاكر وعبد السلام هارون , دار المعارف – القاهرة ,الطبعة الرابعة .

(٢) ابن جني , سر صناعة الإعراب : ١ / ١٨٠ , تحقيق حسن هنداوي , دار القلم – دمشق , الطبعة الثانية , ١٩٩٣م.

مقاطع ثنائية , وبعضها نشأ من الأفعال الثلاثية التي على زنة (فَعَلَ) والتي يتشابه فيها الأصلان الثاني والثالث , عن طريق المخالفة الصوتية بالفصل بين المتماثلين بصوت آخر يماثل تماماً فاء الفعل , فمن طرق التخلص من توالي الأمثال الفصل بين المتماثلين , وهو بذلك طريقة من طرق المخالفة , وبعض الأفعال يمكن تفسيرها على أنها من الأصل (فَعَّلَ) الذي تُماثل فيه العين المضعفة اللام , فتنشأ بالمخالفة الصوتية بين الأصوات الثلاثة المتماثلة المتوالية, بإسقاط الصوت الثاني والتعويض عنه بتكرار فاء الفعل .

وربما كان لمعنى كل فعل من هذه الأفعال الرباعية المضاعفة دور في تحديد طريقة نشوئه التي لا تخرج عن إحدى الطرق السابقة .ومعجما السرقسطي وابن القطاع يَغصَّان بالأفعال الرباعية المضاعفة, منها "جأجأتُ بالإبل قلت لها جِيء لتشرب "(١),وسأسأْتُ بالحمار زجرْته , فقلت له:سأسأ, ليمشي (٢). وسَعْسَع بالنعجة والكبش :إذا قال سَعْسَعْ,وهو زجر (٣). ولعل(سَعْسَع) و(سأسأ) يعودان إلى مادة واحدة,فتعاقب الهمزة والعين مما تقره القوانين الصوتية,وأمثلته كثيرة في العربية.ومَهْمَهْتُ بفلان بمعنى قلت له:مَهْ مَهْ (٤) .وكذلك الأمر في : نقنق الدجاج (٥) و طنطن البعوض (٦), وطَبْطَبَ السيل طبطبةً,وهو صوت تلاطمه (٧), وغير ذلك من الأفعال الرباعية المكررة التي نشأت مختصّة بالكلام والتردد فيه , أو بصوت شيء ما في الطبيعة , كما أن هذه الأفعال تدل على

---

(١) ابن القطاع : ١ / ١٩٣ .
(٢) السرقسطي : ٣ / ٥٧٣ .
(٣) ابن القطاع : ٢ / ١٧٢ .
(٤) السرقسطي : ٤ / ٢١٤ .
(٥) المصدر السابق : ٣ / ٢٤٣.
(٦) نفسه : ٣ / ٢٨٤ .
(٧) نفسه : ٣ / ٢٨٥ .
(٨) انظر: يحيى جبر , " الصوت لفظاً ومعنىً" ,ص ٤٠ – ٤١ , مجلة " اللسان العربي " العدد ٣٧ , ١٩٩٣ م مكتب تنسيق التعريب .
(٩) ابن القطاع : ١ / ١٩٥ .
(١٠) السرقسطي : ٣ / ٣١٥ .
(١١) ابن القطاع : ٢ / ١٧٣ .
(١٢) السرقسطي (عضَّ) ٢ / ٢٦ (غَضْغضَ) ٢ / ٤٦ .
(١٣) المصدر السابق (غلَّ) ٢ / ٧ (غَلْغلَ) ٢ / ٤٧ .
(١٤) ابن القطاع : ٢ / ٧٨ .
(١٥) السرقسطي (مضمض) ٤ / ٢١٤, (مصمص) و(مزمز)و (مسمس) ٤ / ٢١٥ .

معانٍ متقطعة متكررة , ومعظمها يدل على أصوات بعينها ,وتفسير ذلك أن المعنى المتقطع المكرر أليق ما يكون بالأصوات(٨).

ومن هذه الأفعال أيضاً:(تجفجف) الثوب مثل(جَفَّ) (٩),فلعله نشأ بإقحام الجيم لتفصل بين المتماثلين في(جفَّ) بعد فك الإدغام. ودفَّ الطبل:ضربه ودَفْدَفه:إذا ضربه ضرباً سريعاً (١٠), وسَحْسَحْتُ الماء مثل سَحَحْتُهُ (١١), وغضَّ وغَضْغَضَ بمعنى نقص (١٢), وغَلَّ في الشيء : دخل فيه وغَلْغَلَ الشيءُ في الشيء :دخل فيه حتى يُخالطه (١٣). ورَقْرَقَ الماء بمعنى رقَّقَ,أي جرى جرياً سهلاً,وكذلك الدمع (١٤). ومَضْمَضَ ومَصْمَصَ ومَزْمَزَ ومَسْمَسَ (١٥), وتشترك كلها في الدلالة على معنى التحريك .

ولعل الإبدال الصوتي التاريخي من أبرز الطرق التي أدت إلى تعدد صور الفعل الرباعي ,فالإبدال بين الضاد والصاد , وبين الزاي والسين , وبين الصاد والسين مما تقره القوانين الصوتية , فلعلها جميعها تعود إلى مادة رباعية واحدة , ناشئة عن فعل ثلاثي تماثلت فيه العين واللام , عن طريق المخالفة , بتكرار صوت الفاء ليفصل بين المتماثلين , أو ناشئة عن فعل ثلاثي مضعف العين عن طريق المخالفة الصوتية أيضاً .

٢. الأفعال التي نشأت بتكرار فاء الفعل بعد عينه في صيغة فَعَل , التي تختلف فيها العين عن اللام .

و من أمثلة ذلك : دَرْدَجَ :" يقال : دَرْدج الصاحبان دردجةً:إذا توافقا بمودّتهما "(١),ولعله من الفعل الثلاثي (درج) بمعنى ذهب ومشى (٢), " فكأنَّ الرجلين المترافقين يدرجان شيئاً فشيئاً مع بعضهما,أي يمشيان وينتقلان من مكان إلى آخر معاً "(٣).

ودَهْدَقَ من دهَق بتكرار فاء الفعل بعد عينه , و" دَهْدَق اللحم والعظام دهدقةً ودهداقاً :كسرها ..."(٤)وجاء في مادة (دهق): " ودَهقْتُ الشيء :كسرته وقطعته ,

---

(١) السرقسطي : ٣ / ٣٤٦ .

(٢) انظر : ابن منظور (درج) ٢ / ٢٦٦ – ٢٦٧ .

(٣) عمر يوسف عكاشة , الفعل الرباعي في لسان العرب , ص ١٢٨ .

(٤) السرقسطي : ٣ / ٣٤٥.

(٥) ابن منظور (دهق) ١٠ / ١٠٧ .

(٦) ابن القطاع : ١ / ٣٥٩ وانظر : السرقسطي : ٣ / ٣٢٤ .

وكذلك دهْدَقتـــه .... (٥), و(دَهْدَعَ)من(دَهَعَ)و" دَهَعَ الراعـــي بعنوقة دَهْعاً ,زجرها , و (دَهْدَع) بها أيضاً كذلك " (٦)و (طَرْطب) قـــد تكون مـــن(طرب) بتكرار الطاء بعد الراء , إذْ وردَ في مادة (طَرْطَب) : " وطَرْطب بالحُمر : إذا دعاها ..." (٧), و من معاني (طرب) : مد الصوت (٨), والدعاء فيه مد للصوت, و (جَرْجَم) اللقمة بمعنى أكلها (٩), وقد تكون من (جرم) بمعنى قطـــع (١٠), فالأكل فيه قطع و (قَرْقم) قد تكون من (قرم) : " قـــرقمْتُ غذاءَه قرقمة : إذا أسأته , فهو مُقْـــرقم ســـيئ الغذاء " (١), وقرم : إذا أكل أكلاً ضعيفاً (٢).

٣. الأفعال الرباعية الناشئة بتكرار عين الفعل الثلاثي قبل فائه :

ومنها : الفعل (دهدم) الذي قد يكون من (هدم) فالعلاقة واضحة بين دهدم بمعنى قلب , وهدم بمعنى أسقط (٣), فالإسقاط قد يرافقه قلب . و (زَهْـــزَق) بالضحك بمعنى أكثر منه , من (هَزق) , فقد وردَ في مادة (هـــزق) : " هـــزق الرجل هَزَقاً , وأهزق أكثر الضحك "(٤). وقد تكون (قرقس) من ركـــس , إذ إن إبدال الكاف قافاً واردٌ في العربية , وقرقس بالجَرْو إذا دعاهُ (٥), و " رَكَسْتُ الشيء وأرْكَسْتُه إذا رَدَدْتَه ورجَعْتَه " (٦) ولعل القرقسة بالجرو فيها ترجيع أيضاً.و(قرقف) قد تكون من (رقف) بتكرار عين الأصـــل الثلاثي قبل الفاء , إذ جاءَ في مـــادة (قرقف) : " يقال سمعت له قرقفة من البرد , وهو أن تصطكّ أسنانه , ومنه سُـــمّيت الخمر قرقفاً , لأن صاحبها يُقرقِفُ إذا شربها (أي : يُرْعَد)" (٧).وصرَّح ابـــن منظـــور بتكرار القاف في أول الأصل الثلاثي في مادة (رقف) فقال : " القَرْقَفةُ : الرعدة , وقد قَرْقَفه البرد مأخـــوذ مـــن الإرْقاف , كرّرت القاف في أولها "(٨). وقد تكون (قرقف) ناشئة من (قفقف) عن طريق المخالفة الصوتية الرجعية التامة المنفصلة , بسقوط الفاء الأولى والتعويض عنها بصوت الراء . وقفْقَفَ ناشئة بدورها من (قَفَّفَ) بالمخالفة الصوتية أيضاً , إذ جاءَ في مادة (قرقف) :... ويقال أيضاً قَفْقَفَ (بمعناه) :

---

(٧) السرقسطي : ٣/٢٨٤.

(٨) ابن منظور (طرب) ١ / ٥٥٧ .

(٩) السرقسطي : ٢ / ٣١٥ .

(١٠) ابن منظور (جرم) ١٢ / ٩٠ .

إذا أُرعِد من البرد "(٩) , وجاء في مادة (قَفَفَ) : " ...و القُفّة : الرعدة , وعليه قُفّة أي رِعدة وقُشَعْريرة . وقفَّ يَقِفُّ قُفوفاً : أُرعد واقْشَعَرَّ ..." (١٠).

٤. الأفعال الرباعية الناشئة بتكرار لام الأصل الثلاثي بعد اللام .

ومن أمثلته : مَعْدَدَ من معد , بتكرار لام الأصل الثلاثي بعد اللام , ويؤيد ذلك اشتراكهما في المعنى : " وتَمَعْدَدَ الرجل : سَمِن ..." (١) , ووردَ في مـــــادة (معد) : " وشيءٌ مَعْدٌ : غليظ . وتَمَعْدَدَ : غلظ وسَمِن ..." (٢) فكلاهما يدل على الغِلْظة .

٥. تكرار فاء الأصل الثلاثي وعينه بعد إسقاط لامه :

وهذه الطريقة تؤدي إلى نشوء فعل رباعي , يماثل في بنيته السطحية بنية الفعل الرباعي المضاعف , ومن الأفعال الناشئة بهذه الطريقة :

دَجْدَجَ من دجا , بعد حذف لام الأصل الثلاثي , وتكرار الفاء والعـــين , ويؤيـــد ذلك اشتراكهما في الدلالة على معنى واحد , فكل منهما يعني : أظلم (٣).

وقد يكون الفعل (دَهْدَه) من الأصل الثلاثي (دحى) بإبـــدال الحـــاء هـــاءً وحذف الألف وتكرار الدال والهاء , إذْ جاءَ في مادة (دَهْدَه) : " دَهْدهْتُ الشـــيء من أعلى إلى أسفل دهدَهة : قَذَفْتهُ تدحرجاً" (٤) وجاء في مادة (دحى) : " ودحـــى الصبيُّ الخشبة : دفعها "(٥), والقذف فيه دفع .

---

(١) السرقسطي : ٢ / ١٣٢ .

(٢) ابن منظور (قرم) ١٢ / ٤٧٤ , ولعل العلاقة المعنوية بين (جرم) و (قرم) وجرجم وقرقم واضحةٌ , فربما عادت إلى مادة لغويـــة واحدة و لا سيما أن تعاقب الجيم والقاف واردٌ في العربية .

(٣) ابن القطاع (دهدم) ١ / ٣٨١ (هدم) ٣ / ٣٤٩ .

(٤) السرقسطي (زهزق) ٣ / ٤٨٤ (هزق) ١ / ١٢٩ .

(٥) المصدر السابق : ٢ / ١٣٢ وابن القطاع : ٣ / ٦٩ .

(٦) ابن منظور (ركس) ١٠٠/٦.

(٧) السرقسطي : ٢ / ١٣٣.

(٨) ابن منظور : (قرقف) ٩ / ٢٨٢ .

(٩) السرقسطي : ٢ / ١٣٣.

(١٠) ابن منظور (قفف) ٩ / ٢٨٨ .

(١) السرقسطي : ٤ / ٢١٦ .

(٢) ابن منظور (معد) ٣ / ٤٠٤ .

(٣) انظر: ابن القطاع (دجا) ١ / ٣٧٠ , و (دَجْدَج) ١/ ٣٧٧.

(٤) السرقسطي : ٣ / ٣٤٦ وانظر ابن القطاع : ١ / ٣٧٧ .

(٥) المصدر السابق : ٣ / ٣٤١ وانظر : ابن القطاع : ١ / ٣٧٤ .

(٦) نفسه : ٣ / ١٠٩ وانظر : ابن القطاع : ٢ /٧٨ .

(٧) السرقسطي : ٣ / ٢٤٢ .

ولعل الفعل(رأْرأ)من الأصل الثلاثي (رأى) بعد حذف الألف وتكرار الراء والهمزة, إذ وردَ في مادة (رأرأ) :"رَأْرأْت عينُه رأرأة :إذا أدارها, ورجل رأراء العين"(٦) , ونَهْنَهَ من الأصل الثلاثي (نهى), إذ وردَ : " ونَهْنَهْتُ الرجل نَهْنهةً : كفَفْته ونَهَيْته (٧).

٦. تكرار فاء الأصل الثلاثي ولامه بعد إسقاط عينه :

وهذه الطريقة تؤدي إلى نشوء فعل رباعي يماثل في بنيته السطحية بنية الفعل الرباعي المضاعف أيضاً ,ومن أمثلتها : (دَخْدَخ) من الأصل الثلاثي (دوخ) بإسقاط عين الفعل (الواو) وتكرار فاء الفعل ولامه : " يُقال : دخْدَخناهم بمعنى دوّخناهم : أي ذلّلْناهم ووطِئناهُم "(١). وصَعْصَعَ من (صاع) بعد حذف عين الأصل الثلاثي وتكرار الفاء واللام , و (صَعْصَعَ) القوم : فَرّقَهم (٢), وكذلك (صاع) الراعي إبله : فرّقها (٣).

٧. تكرار عين الأصل الثلاثي ولامه بعد إسقاط فائه :

وهذه الطريقة أيضاً تؤدي إلى نشوء فعل رباعي يماثل في بنيته السطحية بنية الفعل الرباعي المضاعف , ومن الأمثلة عليها : ذَرْذَرَ من الأصل الثلاثي (بَذَر) بعد حذف الباء وتكرار الذال والراء , " تقول : ذرْذرْتُ الشيء ذرْذرةً : إذا فرّقته أيضاً وبذّرتَه " (٤),فالفعل ذَرْذَر يشترك مع بذر في معنى التفريق : " بذر الحبّ للزراعة بذْراً : فرّقه " (٥) , وضَعْضَعَ بمعنى خَضَعَ (٦), من وضع التي تحمل معنى الخضوع أيضاً "خِلاف الرّفْعة في القَدْر ... ووضَعَ منه فلان أي حطَّ من درجته , والوضيع : الدني , من الناس ..." (٧), ولعل (ضغضغ) من (مضغ) بعد حذف الميم وتكرار الضاد والغين . إذ وردَ في مادة (ضَغْضَغَ) : " ضَغْضَغَ كلامه ضَغْضَغَةً : إذا كنت لا تفهمه كأنه يمضُغُه مضغاً وظلّ يُضَغْضِغ كلاماً : لا أدري ما هو ..." (٨).

---

(١) السرقسطي : ٣ / ٣٤٧

(٢) ابن القطاع : ٢ / ٢٦٣ .

(٣) المصدر السابق : ٢ / ٢٦٠.

(٤) السرقسطي : ٣ / ٦٠٩.

(٥) المصدر السابق : ٤ / ١١٤ .

(٦) نفسه : ٢ / ٢٤٢ .

(٧) ابن منظور (وضع) ٨ / ٣٩٧ .

(٨) السرقسطي : ٢ / ٢٤٢ .

٣. النشوء بإقحام همزة في وزن (افعالَّ) :

وسنعرض هذه الطريقة , في أثناء الحديث عن تحوّلات الصيغ (٩) .

ب. طرق نشوء الأفعال الرباعية ذات الأصل الرباعي المجرّد :

يمكن تقسيم هذه الطرق على النحو الآتي :

١. الاشتقاق من الأسماء .

٢. الاشتقاق بتأثير النحت .

٣. أفعال رباعية مرتجلة ارتجالاً .

١. الاشتقاق من الأسماء :

لقد اشتق الواضع الأول بعض الأفعال الرباعية من أسماء الأعيان مباشرةً , وليس من جذورها , ومن هذه الأسماء ما هو عربيّ الأصل , ومنها ما هو دخيل . ومن أمثلة هذه الطريقة :

- (ثَعْلَبَ) من الاسم (ثَعْلب) : " ثعلب الرجل ثَعْلَبةً , وتثعلب أي جَبُنَ , وراغ على معنى الفَرَق "(١).

- و (دَرْمَنَ) من الأفعال الناشئة بتأثير التعريب : " وتقول : درْمَنْتُ الشيء بمعنى زَمَمْتُه , وهي كلمة معرّبة وأصلها بالفارسية "(٢).

- (دَهْقَنَ) من (الدِّهْقان): " تدهْقَن الرجل تدهْقُناً من الدِّهْقان والاسم : الدّهقنة ..." (٣). وهو فارسي معرب , والدُّهْقان والدِّهْقان : القوي على التصرف مع حِدّة(٤).

- و "زَبْرق عمامتَه : إذا حمّرها , ويقال : إذا صفّرها , ويقال : إنَّ الزِّبرقان بن بدر كان يلبس ذلك "(٥). والفعل (زَبْرَقَ) قد يكون من (زَبْرَجَ) (٦) من الزِّبْرج , وهو الوشي أو الذهب (٧).

---

(٩) انظر : فصل تحوّلات الصيغ من هذه الدراسة .

(١) السرقسطي : ٣/٦٣٤.

(٢) المصدر السابق : ٣ / ٣٤٦ .

- و " سرجَنْتُ الأرض وسرقنتها : إذا أصلحتها بالسرجين , وهو السرقين أيضاً , وهو الزِّبل " (٨)ويقال في (سرجن) و (سرقن) ما قيل في (زبرج) و (زبرق) . ويرى الجوهري أن السِّرْجِين بالكسر معرّب . ويقال سِرْقِين (٩).

- ويصرح السرقسطي باشتقاق الفعل (سردق) من السرادِق : " وسردَقْتُ البيت سَردقة : إذا شددته كلّه أسْفلَه وأعلاه مُشتقٌّ من السرادق " (١٠).

- والفعل (مَصْطَكَ) مشتق من المَصْطَكى : " ويقال مَصْطَكَ دواءَه : إذا جعل فيه المصْطكى , وهو دخيل "(١).

٢. الاشتقاق بتأثير النحت :

ويقصد بالنحت : انتزاع أصوات كلمة من كلمتين فأكثر أو من جملة كثيرة التداول في الحديث , تخضع للأوزان المعروفة في اللغة العربية .واستعمل النحت في الألفاظ التي يكثر دورانها في الكلام؛ طلباً لسهولة التعبير وإيجازه (٢), فالنحت جنس من الاختصار (٣) .

وقد كانت ظاهرة النحت اللغوية معروفة لدى علماء العربية القدامى , وفي مقدمتهم ابن فارس , فهو إمام القائلين بها في كتابه " مقاييس اللغة " , إذْ قال : " اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس , يستنبطه النظر الدقيق , وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت , ومعنى النحت : أن تُؤْخَذَ كلمتان , وتُنْحَتَ منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ"(٤).

---

(٣) نفسه: ٣ / ٣٤٨.

(٤) ابن منظور (دهقن) ١٣ / ١٦٣ , ١٦٤ .

(٥) السرقسطي : ٣ / ٤٨٥ .

(٦) انظر : عمر يوسف عكاشة , الفعل الرباعي في لسان العرب :١٤٢.

(٧) ابن منظور (زبرج) ٢ / ٢٨٥ .

(٨) السرقسطي : ٣ / ٥٧٢.

(٩) الجوهري , الصحاح (سرجن) ٥ / ٢١٣٥ , تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار , دار العلم للملايين , بيروت , الطبعة الرابعة , ١٩٩٠.

(١٠) السرقسطي : ٣ / ٥٧٢ , والسُّرادِق : ما أحاط بالبناء (ابن منظور (سردق) ١٠ / ١٥٧) .

(١) السرقسطي : ٤ / ٢١٤ , وذكره " الأزهري في الثلاثي : وأما المَصْطكا العِلْك الرومي فليس بعربي والميم أصلية والحرف رباعي " (ابن منظور (مصطك) ١٠ / ٤٩٠).

وفي كتابه " الصاحبي في فقه اللغة " أيضاً , يذكر أن أكثر ما زادَ على ثلاثة أحرف منحوت (٥).غير أن بعض المحدثين أخذ على ابن فارس مبالغته في مذهب النحت هذا , ومنهم إبراهيم السامرائي الذي قال :" التوصل بلطف ودقة إلى الأصلين اللذين جاء منها المنحوت لا يخلو من افتيات واصطناع , وذلك أننا لا نلمح المعنى لكل من الثلاثيين بيسر ووضوح , ولا بد من التعليل والتأويل حتى يتم و ينسجم لنا المعنى المتحصل الذي تحمله المادة الرباعية المنحوتة ..." (٦) .

وقريبٌ من هذا رأي صبحي الصالح , إذ قال : " ولسنا نبرئ ابن فارس من التكلف في بعض ما ادّعى فيه النحت ... ولكن تكلفه في بعض أمثلة النحت , لا يعني فساد مذهبه فيما جاء من كلام العرب , على أكثر من ثلاثة أحرف "(١). فالمنحوتات محدودة العدد في اللغة العربية لا تتجاوز ستين كلمة (٢), لأنها ظهرت لاختزال جمل وعبارات شاعت على ألسنة الناس كثيراً , ومعظم هذه الكلمات القليلة مستحدث في الإسلام (٣).

وقد أورد أبو عثمان السرقسطي وابن القطاع أمثلة قليلة جداً على الأفعال الرباعية المنحوتة , منها بأبأ , و (بأبأتُ) بالصبي إذا قلت له بأبي أنت (٤). وبَسْمَل : إذا أكثر من قول بسم الله (٥). وجَعْفَل : إذا أكثر من قول جُعلت فداك (٦) .وحَسْبَلَ الرجل , إذا أكثر من قول حسبي الله. وحَمْدَلَ : أكثر من قول الحمد الله . وحَوْقَلَ : إذا أكثر من قول لا حول ولا قوّة إلا بالله. وحَيْعَلَ : إذا أكثر من قول حيَّ على

---

(٢) انظر : الألوسي , كتاب النحت : ٣٨ .

(٣) ابن فارس , الصاحبي في فقه اللغة : ٢٦٣ – ٢٦٤ وانظر : إبراهيم أنيس , تطور البنية العربية : ١٧٠ .

(٤) ابن فارس , مقاييس اللغة : ١ / ٣٢٨ – ٣٢٩ , وانظر: نهاد الموسى , النحت في اللغة العربية : ٦٦ .

(٥) ابن فارس , الصاحبي في فقه اللغة , ص ٢٦٤.

(٦) إبراهيم السامرائي , الفعل زمانه وأبنيته : ١٣٥ .

(١) صبحي الصالح , دراسات في فقه اللغة : ٣٠٩ وانظر : لتوضيح المذهب والتمثيل عليه : الدراسة نفسها " أصل الفعل الرباعي عند القدماء من علماء العربية .

(٢) انظر : عبد الله أمين , الاشتقاق : ٣٩٣ , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة , الطبعة الأولى , ١٩٥٦م. وانظر : Wright, w., A Grammar Of the Arabic Language , P 49 .

(٣) علي عبد الواحد وافي , فقه اللغة , ١٨١ , وانظر : محمد المبارك , فقه اللغة : ١٢٤ , نهاد الموسى , النحت في اللغة العربية : ٦٩

(٤) السرقسطي : ٤ / ١٣٣ وابن القطاع : ١ / ١٠٨.

(٥) ابن القطاع : ١ / ١١٤.

كذا , وكذلك حَيْهَلَ (٧) , بتعـــاقب العين والهـــاء . و (طَلْبَقَ) و (دَمْعَـــزَ) إذا أكثر من قول : أطال الله بقاءك وأدام الله عزّك(٨) .وهَيْلَلَ إذا أكثر من قول لا إله إلا الله (٩).

٣. أفعال رباعية مرتجلة ارتجالاً :

ذكر أبو عثمان السرقسطي وابن القطاع أفعالاً رباعية , لم أستطعْ ردهـــا إلى أصول ثلاثية , والراجح عندي أنها أفعال ذات أصول رباعية مجـــردة , ارتجلـــت ارتجالاً , منها :

- اجْلنظأ واجْلنظى : بمعنى استلقى على ظهره , ورفع رجليه (١).
- اصْلَخَمَّ الرجل بمعنى غضب (٢).
- اغْرَنْدَى واغْلَنْتى , بتعاقب الراء واللام , وكذلك الدال والتـــاء , واغرنْـــدَوا : إذا أقبلوا عليك بالسبّ والضَرْب والاستضعاف (٣).

أما الفعل الرباعي (بَرْهَمَ) بمعنى أدام النظر (٤), فيجعله عمر يوسف عكاشة من الأفعال الرباعية المرتجلة ارتجالاً (٥), وأرى أنه قد يكون ناشئاً من الفعل الثلاثي (بره) بزيادة الميم في الآخر , فالبُرْهةُ : الحين الطويل من الدهر (٦), وإدامة النظـــر تحتاج إلى زمن طويل .

---

(٦) المصدر السابق : ١ / ١٩٧ .
(٧) نفسه : ١ / ٢٧٤ .
(٨) نفسه : ٢ / ٣١٦ – ٣١٧ .
(٩) نفسه : ٣ / ٣٧٣.
(١) السرقسطي : ٢ / ٣٢٠ .
(٢) ابن القطاع : ٢ / ٢٦٥ .
(٣) السرقسطي : ٢ / ٤٨ .
(٤) المصدر السابق : ٤ / ١٣٠ .
(٥) عمر يوسف عكاشة , الفعل الرباعي في لسان العرب , دراسة تأصيلية (رسالة ماجستير) : ١٧٥ .
(٦) ابن منظور (بره) ١٣ / ٤٧٦.
(٧) انظر : إسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف , ص (١٢ – ١٣) وتابعه عمر يوسف عكاشة في " الفعل الرباعي في لســـان العـــرب " ص (١٣٤ – ١٥٦) .
(٨) السرقسطي : ١ / ٣٧١ وابن القطاع : ٢ /٤١٠ .
(٩) السرقسطي : ٣ / ٣٤٥ .
(١٠) المصدر السابق :١٣٤/٤.
(١١) ابن القطاع : ١ / ٢٠١ .

ويذكر بعض الباحثين (٧) أن الفعل الرباعي قد يُبنى بتأثير عوامل أخرى , منها :

١. الإبدال الصوتي التاريخي , وذلك نحو : عَلْكَس وعَرْكس بمعنى تراكم (٨). ودَهْنَج البعير ودَهْمَجَ : إذا أسرع مع تقارب خطو (٩), وابْذَقَرَّ القوم وابذعرّوا بمعنى تفرّقوا (١٠), واجلعدَّ واجلخدَّ : إذا سقط على قفاه (١١).
٢. القلب المكاني , نحو : حَجْحج عن الأمر وجَحْجح : إذا كفّ (١٢). وهَدْهَدَ الشيء من عُلُوّ إلى سُفل : مثل دَهْدَهَه (١٣) .واضْمَحَلَّ الشيء وامْضَحَلَّ مقلوب بمعنى : ذَهَبَ (١٤).وغَذْمَرْتُكَ الشيء وغذرمُتكه مقلوب بمعنى : بِعْتَكَهُ جُزافاً من غير كيل ولا وزن (١). وقصمل وقلصم بمعنى قطع (٢).
٣. التصحيف أو التحريف في الكتابة (٣), نحو:ابلندى واجلندى بمعنى اشتدّ وصلب (٤). فقد تكون الباء في (ابلندى) محرّفة عن الجيم في (اجلندى) , واجلندى تعود إلى الجذر الثلاثي(جلد) الذي يدل على معنى الشدة والصلابة.

و(اجلعدَّ) و (اجلخدَّ) و (اجلخبّ) بمعنى ضربه فسقط على قفاه (٥), فتعاقب العين والخاء واردٌ في العربية ,وقد يعودان إلى الجذر الثلاثي (جلد),كما ذكرت سابقاً – أما (اجلخبَّ), فلعل الباء فيها محرّفة عن الدال . و (علهص) و (علضه) و (عَضله) ,أصلها – على الأرجح عندي – (علهص) , إذ نشأ الفعل (علهض) بسبب التصحيف,ثم (علضه)وعَضْلَه,بالقلب المكاني . وقد جاء في مادة (علهصَ) : " وقال اللحياني علهص العين بالصاد فقأها والقارورة صم رأسها , والرجل عالجه وأيضاً تناول منه شيئاً "(٦) و (عَلْضَهت) القارورة صَمَمت رأسها , والعين استخرجتها , والمرأة تناولت منها شيئاً , والرجل عالجته و (عَضلَهت) مثله , هذا قول الخليل , وقال

---

(١٢) السرقسطي : ١ / ٤٢٧ .
(١٣) المصدر السابق : ١ /١٩٠.
(١٤) نفسه : ٢ / ٢٤٣ .

أبو حاتم هذا بناء مستنكر"(٧). وقد أشار السيوطي إلى أن الخليل بن أحمد وقع في التصحيف , فذكر مثلاً : (علهض) و(علهص) , والصواب (علهص) (٨).

وأرى أن تلك العوامل لم تكن هي السبب في نشوء تلك الأفعال الرباعية , بل هي عوامل أسهمت في تعدد صور الفعل الرباعي الواحد , بعد نشوئه بالطرق أو العوامل التي عَرضت لها الدراسة سابقاً . فالإبدال الصوتي التاريخي , والقلب المكاني , والتصحيف والتحريف ,عوامل أسهمت في نشوء ظاهرة الترادف في العربية .

---

(١) السرقسطي : ٢ / ٤٥ .

(٢) ابن القطاع : ٣ / ٦٦ .

(٣) التحريف هو تغيير في شكل الحروف المتشابهة الرسم , كالدال والراء والدال واللام , والنون والزاي ... و التصحيف هو تغيير في نقط الحروف المتماثلة في الشكل , كالباء والتاء والثاء , والجيم والحاء والخاء ...

(٤) ابن القطاع : ١ / ١١٤ , ٢٠١ .

(٥) المصدر السابق : ١ / ٢٠١ .

(٦) نفسه : ٢ / ٤٠٩ .

(٧) نفسه : ٢ / ٤٠٩ .

(٨) السيوطي , المزهر : ٢ / ٣٨٢ .

الفصل الثامن

المجرّد والمزيد في معاجم الأفعال

يسعى هذا الفصل إلى دراسة بعض القضايا المتعلّقة بالمجرّد والمزيد من الأفعال، والتمثيل عليها من معاجم الأفعال، ويمكن حصرها في المحاور الآتية:

أ- الفعل المجرّد والفعل المزيد : معناهما وأقسامهما.

ب-الفعل المجرّد الذي ليس له مزيد يتّفق معه في المعنى.

ج-الفعل المزيد الذي ليس له مجرّد يتّفق معه في المعنى.

د-(فعل) و (أفعل) بمعنى واحد.

هـــ- مجيء (فعل) متعدّياً و (أفعل) منه لازماً خلافاً للمعتاد.

أ- الفعل المجرّد والفعل المزيد : معناهما وأقسامهما:

يُقسم الفعل من حيث التجرّد والزيادة إلى مجرد ومزيد، والمجرّد ما كانت حروفه أصولاً كلها، لا يسقط أيٌّ منها في تصاريف الكلمة بغير علّة، والمزيد ما زيد على حروفه الأصول حرف أو اكثر.

والفعل المجردّ ثلاثي ورباعيّ فقط، والثلاثي له ثلاثة أبنية (فَعُل) أو (فعِل) أو (فَعَل) . وأمّا الرباعي فله بناء واحد هو (فعلل)[١]. ولم يأتِ " الفعل المجردّ سُداسيًا ؛ لئلا يتوهم أنه كلمتان، ولا خُماسيًّا ؛ لأنه قد يتّصل به تاء الفاعل أو نونه ؛ فيصير كالجزء منه، ولهذا يجب أن يسكن له آخر الفعل"[٢]" ولّما كان بناء الفعل الرّباعيّ ثقيلاً قياساً بالثلاثي كانت موادّه أقلّ من مواد الثلاثي[٣].

والمزيد قسمان: مزيد الثلاثي ، ومزيد الرباعي، أمّا مزيد الثلاثي ففيه ثلاثة أقسام: الأوّل ما زيد فيه حرف واحد، ويأتي على ثلاثة أوزان: أفعل، وفاعل، وفعّلَ. والثاني ما زيد فيه حرفان ، ويأتي على خمسة أوزان: انفعل ، وافتعل، وافْعَلّ وتفعَّلَ، وتفاعل. والثالث ما زيدت فيه ثلاثة أحرف، ويأتي على أربعة أوزان هي: اسْتَفْعَل ، وافْعَوْعَل، وافْعالَّ، وافْعَوَّل ومزيد الرباعي قسمان: ما زيد فيه حرف واحد، وهو وزن (تَفَعْلَلَ) فقط، نحو: تَدَحْرَج، وما زيد فيه حرفان، وهو وزنان: الأوّل (افْعَنْلَلَ)، نحو احْرَنْجَمَ ، والثاني (افْعَلَلّ)، نحو: اسْبَطَرَّ الشعر بمعنى طال[٤].

---

(١) انظر: الحملاوي، شذا العرف: ٢٩ , ٣٦ وملحقات الرباعي عنده سبعة: فعلل وفوعل وفَعْول، وفَيْعل وفَعْيَلَ، وفعلى وفَعْنل.

(٢) بَحْرَق ، فتح الأقفال وحلّ الإشكال: ٥٩.

(٣) انظر: المصدر السابق: ٥٩.

(٤) انظر: بَحْرَق ، فتح الأقفال : ١٣٤-١٣٥ والحملاوي ، شذا العرف: ٣٦-٣٨، ويذكر الحملاوي: " والملحق بما زيد فيه حرف واحد يأتي على ستة أوزان" ، هي: تَفَعْلَلَ، وتَفَعْول، وتَفَيْعَل وتَفَوْعَل، وتمفْعَلَ، وتَفَعْلى . والملحق بما زيد فيه حرفان، وزنان ، هما: افْعَنْلَلَ و افْعَنْلى (شذا العرف: ٣٨) وقد تناول فصل نشوء الفعل الرباعي من هذه الدراسة تفسير نشوء بعض الأفعال الربّاعية، التي عدّها القدماء رباعيّة أو ملحقة

ويرى الحملاوي أنه " لا يلزم في كل مجرّد أن يستعمل له مزيد، ولا في كل مزيد أن يُستعمل له مجرد، ولا في ما استُعْمل فيه بعض المزيدات، أن يُستعمل فيه البعض الآخر، بل المدار في كل ذلك السماع، ويُسْتثنى من ذلك الثلاثي اللازم فتطّرد زيادة الهمزة في أولّه للتعدية، فيقال في ذهب أذهب، وفي خرج أخرج[١]". ولم يوضح الحملاوي قوله السّابق بإعطاء الامثلة الدّالة.

ب- الفعل المجرّد الذي ليس له مزيد يتفق معه في المعنى:

تفترض الصورة العقليّة وجود الفعل المجرّد، الذي ليس له مزيد يتفق معه في المعنى، ولكنيّ لم أقف على أمثلة على ذلك في المعاجم المدروسة، إلاّ بعض الأفعال الجامدة التي لازمت صورة واحدة ، نحو: كرِب من أفعال المقاربة ، وعسى وحَرَى من أفعال الرجاء، وطفِق من أفعال الشروع، وبعض الأفعال المتصّرفة الناقصة ، نحو: ظلّ[٢].

وهذه الأفعال جامدة أو ناقصة التصرف " لقوة شبهها بالحروف ؛ لأنها لا تقبل التغيير" [٣]، فهي تقوم بوظائف نحوية محددة مما يحدّ من التوسع في اشتقاقاتها . غير أننا يمكن أن نعد الفعل المجرد (فَدَح) مما ليس له مزيد يتفق معه في معناه، فقد وردَ عن ابن القّطاع: " وفَدَحه الدين فدحاً أثقله ،ومنه الحديث " وعلى المسلمين ألا يتركوا مَفْدوحاً في فداء أو عَقْل... وهو الذي أثقله الدين، وفدَح الأمر عال وبهظ، ولم يسمع أفدح ممن يوثق بعربيّته[٤]"، وهو بذلك ينفي وجود الصيغة المزيدة (أفدح). وقد تتبّعت هذا الفعل في معاجم الأفعال فما وجدت له أفعالاً مزيدة، ويؤكد ابن منظور هذا الأمر، إذْ يقول: " فأمّا قول بعضهم في المفعول مُفْدح فلا وجه له لأنّا لا نعلم أفْدَح... ولم يُسْمع أفدحه الدين ممّن

بالرباعي، نحو: الفعل (سلقى) ، فهو عندهم على زنة (فَعْلَى) خلافاً لما أظهرته الدراسة من أنه على زنة (سَفْعَل) (انظر : فصل نشوء الفعل الرباعي من هذه الدراسة).

(١) الحملاوي، شذا العرف: ٣٩.

(٢) السرقسطي (كرب) ١٤٩/٢، (عسى) ٣١٥/١، (حرى) ٤٢١/١، (طَفِق) ٢٧٥/٣، (ظلّ) ٥٧٩/٣.

(٣) بَحْرق، فتح الأقفال: ٢٧.

(٤) ابن القطاع: ٤٧٨/٢.

يوثق بعربيّته [١]". ولعلي بهذا أقدم مثالاً على الفعل المجرد الذي ليس له مزيد يتفق معه في المعنى . فالحملاوي – في قوله السابق الذي ذكرناه – لم يذكر مثالاً على هذا .

جـ–الفعل المزيد الذي ليس له مجرّد يتفق معه في المعنى

سجلّت المعاجم المدروسة مجموعة من الأفعال ، لم يُسْتعمل مجرّدها في معناها؛ فأغنت عنه لعدم وروده ، وقد جاءت هذه الأفعال على زنة: أفعل، وفاعل، وفعّل، وتفعَّل ، وافتعل ، وانفعل، واستعفل ، وافْعَلَّ، وافعالَّ، وافْعَوَّل، وافْعوعل، وافْعَلَلَّ ، وقد قدّمها السرقسطي تحت عنوان " الرباعي المفرد وما جاوزه بالزيادة" وقد أراد تلك التي لم يستعمل منها ثلاثي في معناها[٢].

١–ما جاءَ منها على زنة (أفْعَل).

أوردَ السرقسطي ما جاء على زنة (أفعل) مما أغنى عن أصله تحت عنوان " الرباعي المفرد وما جاوزه بالزيادة"، فيما وصف ابن القوطيّة ما جاء منها بأنها أفعال رباعيّة صحيحة[٣]، ومن هذه الأفعال : أدرك الشيءُ ؛ أي فني ، وبلغ وقته[٤]؛ فلم تذكر معاجم الأفعال فعلا ثلاثياً له، وأدقل النّخل؛ صار ثمره دقلاً، وهو ثمر الدَّوم[٥]،فليس له فعل ثلاثي ؛ لأنه مشتق من الاسم الجامد (الدَّقَل) ، وكذلك الأمر في الفعل (أذْرق) من الاسم الجامد (الذُّرَق) ، فقد وردَ: " أذْرقت الأرض: أنبتت الذُّرَق ، وهو الحَنْدَقوق"[٦]، وأذْعَنَ بالطاعة؛ أقر بها وأذْعنَتِ الناقة؛ سهُل سيرها[٧]،فلم تسجّل له معاجم الأفعال فعلاً ثلاثيا، وكذلك الأمر في أذْنب الإنسان ، وأرْسلْتُ الرسول والوصيّة، بعثتها ، وأَرْقَل القوم والإبل:

---

(١) ابن منظور (فدح) ٥٤٠/٢.
(٢) انظر: السرقسطي، حاشية صفحة (٥١٦) من الجزء الأول.
(٣) انظر: ابن القوطيّة: ١٦٣–١٧٥.
(٤) المصدر السابق: ١٧١ والسرقسطي: ٣٤٢/٣ وابن القطّاع: ٣٥٧/١.
(٥) السرقسطي: ٣٤٢/٣ وابن القطاع: ٣٥٧/١.
(٦) ابن القوطيّة : ١٧١ والسرقسطي:٦٠٩/٣.
(٧) ابن القوطيّة: ١٧١ والسرقسطي: ٦٠٩/٣ وابن القطاع: ٣٩٠/١.

أسرعوا ، وأرْنفت النّاقة أرخت أذنيها من الإعياء[١].وأقْرن الدُّمَّل : إذا حان أن يتفقّأ، " و لم يُستعمل منه الثلاثي في هذا المعنى" [٢]، وأقسم بالله ؛ أي حلف وأَنَخْتُ الإبل؛ فَبَرَكتْ، ولا يُقال ناخت[٣].

وثمة أفعال أختُلِف في استخدام مجرد لها فقد ظن بعض الصرفيين أن الأفعال : أعشب وأورق وأفلح لم يأتِ منها مجرد,ولذلك عدّوا اسم الفاعل منها على صيغة فاعل غيرَ قياسي , إلا أن معاجم الأفعال قد ذكرت للفعل (أعشب) مجرداً , قال السرقسطي : " عَشِبَتِ الأرض عشَباً وأعْشَبَت : أنبتت العُشْب"[٤] فمجيء (عشِب وأعْشب) بمعنى واحد يثبت استخدام الثلاثي منه، وقد أكدّ ذلك ابن القوطيّة وابن القطّاع في معجميهما[٥]، وهذا يفسّر اسمي الفاعل (عاشب ومُعْشِب) [٦]، مع أنّ صيغة (عاشب) قد تكون بمعنى " ذو عشب " .

وذكر بحْرق اليمني والحملاوي أنّ (أفلح) بمعنى فاز أغنت عن أصلها لعدم وروده[٧]، إلاّ أنّ ابن القطاع ذكر: " وأفلح الرجل فاز بنعيم الآخرة و (فَلَح) أيضاً لغة فيه"[٨] وهذا يدعم استخدام ثلاثيّه وإن كان في لغة.وأما الفعل أورق الشجر بمعنى نبت ورقه،فقد جاءَ في معجمي ابن القوطية والسرقسطي : " شجرة وارقة وشجر وارقٌ ذو

---

(١) ابن القوطية (أذنب) ١٧١، و(أرسل) ١٦٩، والسرقسطي (أذنب) ٥٩٠/٣ و (أرسل) ٤٤/٣ و (أرقل) ١٠٦/٣، وابن القطاع (أذنب) ٣٩٠/١، و(أرسل) و (أرقل)، و(أرنف) ٤٩/٢.

(٢) السرقسطي: ١٣٩/٢-١٤٠.

(٣) ابن القوطيّة(أقسم) ٦١، و (أناخ) ١٧٠، والسرقسطي (أقسم)٨٦/٢، و(أناخ) ٢٤٠/٣، وابن القطاع (أقسم) ٣٠/٣، و (أناخ) ٢٨١/٣.

(٤)السرقسطي: ٢٠١/١, إلا أن السرقسطي قد نسي قوله هذا ؛ فنجده في موضع لاحق من معجمه قد تابع الصرفيين فقال : " ولم يأتوا فيه بالفعل الثلاثي " (٢٣٨/١) .

(٥)ابن القوطيّة: ١٦ وابن القطّاع: ٣٣٥/٢.

(٦)السرقسطي: ٢٣٨/١.

(٧)بَحْرق ، فتح الأقفال: ١٣٧، والحملاوي ، شذا العرف: ٤٠.

(٨)ابن القطاع : ٤٦٤/٢.

ورق ولا فعلٌ ثلاثيّ له"[١] فصيغة (وارق) عندهما بمعنى ذو ورق؛ أي إنها ليست اسم فاعل، إلاّ أن ابن القطّاع ذكر: " وقالوا (وَرُق) الشجر خرج ورقُه"[٢]، وهذا يعني استخدام الثلاثي (ورق) أيضاً.

فيكون اسم الفاعل منها على (فاعل) سائغاً وليس شاذاً . غير أن بعض الصرفيين يرى أن فاعل هنا تفيد معنى النسبة أي " ذو كذا " . وعلى العموم , أرى أن بعض أصحاب المعاجم توافرت لهم مصادر سماع لم تتوافر لغيرهم , أو كانوا وصفيين فأوردوا لغات أهملها غيرهم .

وهكذا رأينا كيف اندثرت البنية المجردة (فعل) في معظم الأمثلة السابقة وبرزت البنية المزيدة (أفعل) في الاستعمال اللغوي ، فأغنت عنها. وقد يكون بقاء (فَعَلَ) مع أفعل في الاستعمال اللغوي مظهراً من مظاهر التعدد اللغوي، الناجم عن اختلاف اللهجات، أو القياس الخاطئ ، كما سيظهر في أثناء الحديث عن (فعل وأفعل) بمعنى واحد في الصفحات القادمة.

٢- ما جاء على زنة (فاعل):

أشار سيبويه إلى مجموعة من الأفعال جاءت على زنة (فاعل) وأغنت عن أصلها لعدم وروده ، بقوله : " وقد تجيء فاعلت لا تُريد بها عمل اثنين، ولكنهم بَنوا عليه الفعل كما بنوه على أفعلت ، وذلك قولهم: ناوَلْتُه ، وعاقَبْتَهُ ، وعافاه الله، وسافرْت ، وظاهرْتُ عليه، وناعَمْتُه..." [٣]

وذكر ابن قتيبة : " وتأتي فاعلت من واحد بغير معنى فَعَلْت وأفْعلت ، تقول: سافرت وظاهرت وناولْت وضاعفْت"[٤]، فالفعل سافر[٥]؛ بمعنى ارتحل من مكان إلى آخر لم

---

(١) ابن القوطية: ١٥٩ وانظر: السرقسطي : ٢٤٣/٤.

(٢) ابن القطاع: ٢٩٥/٣.

(٣) سيبويه، الكتاب: ٦٨/٤.

(٤) ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٣٠٣.

(٥) سيبويه: ٦٨/٤ وانظر : الحملاوي ، شذا العرف: ٤١.

يدلّ على معنى المشاركة، كما لم يدلّ مجرده (سفر) على معنى الانتقال، إلاّ أنه جاء من معاني سفر: " وسَفَرَ بين القوم سِفارةً: أصلح"[١]، ولا يكون الصلح إلاّ بالتنقّل والارتحال بين الطرفين أو الأطراف المتخاصمة؛ ولهذا يمكن ربط معنى الفعل المزيد (سافر) بالفعل الثلاثي (سفر) ،مع أنّ في ذلك تعسّفاً.

ومن الأفعال التي جاءت على فاعل وأغنت عن مجرّدها في معاجم الأفعال: ساوى، فساوى الشيء كذا وكذا يُساويه ،"ولا يُقال يَسْوَى"[٢]، وظاهَرَ [٣]، إذْ " يُقال: فلان يُظاهرُك على هذا الأمر أي يُفاوِضك وهما يتظاهران في الأمر أي يتفاوضان...، وقد وضعه السرقسطي مع الأفعال التي أوردها تحت عنوان "الرباعي المفرد وما جاوزه بالزيادة" [٤] و أراد بها تلك التي لم يستعمل منها ثلاثي في معناها؛ فيكون (ظاهر) مما لم يستعمل ثلاثيّه في معناه.

ومما أُميت مجردّه من واقع اللغة الاستعمالي الفعل المزيد (وانح) فوانَحْتُه تعني واءمته ووافقته[٥]،"فثلاثيه فعل ممات"[٦]. أمّا الفعل المزيد (ناول) الذي ذكره سيبويه وابن قتيبة ، فقد أظهرت معاجم الأفعال أنه لم يُغْن عن مجرّده ، إذْ استعمل المجرّد (نال) بمعنى حصل وأعطى ، و (أنال) و (ناول) تعنيان أيضا أعْطى[٧]؛ فجميعها مستعمل.

٣- ما جاءَ على زنة (فَعَّل):

ومن الأفعال التي اندثر مجردها وبقي منها المزيد على صيغة فعّل : هشّم بمعنى أكرم وعظّم، وهلّل البعير: إذا استقوس ظهره والتزق بطنه هزالاً وإحْناقاً، وكذلك هَلَّلَ : إذا قال:

---

(١) السرقسطي: ٥٠٤/٣.

(٢) السرقسطي : ٥٧٨/٣, وجاء في التهذيب عن الفراع : " يقال لا يساوي الثوب كذا وكذا , ولم يعرف يَسْوَى وقال الليث : يَسْوَى نادرة ... فقولهم لا يَسْوَى ليس من كلام العرب , وهو من كلام المولدين (الأزهري , تهذيب اللغة : ١٧٩٤/٢ , تحقيق رياض قاسم دار المعرفة) وقال الزبيدي : لا يَسْوَى كَيَرْضى لغة قليلة , أنكرها أبو عبيدة وحكاها غيره ... وقيل : هي صحيحة فصيحة , وهي لغة الحجازيين وإنْ ضعّفها ابتذالها (الزبيدي , تاج العروس : ١٨٨/١٠ , دار صادر, ١٩٦٦

(٣) سيبويه، الكتاب: ٦٨/٤، وابن قتيبة ، أدب الكاتب: ٣٠٣.

(٤) السرقسطي:٥٨٧/٣.

(٥) انظر : السرقسطي: ٥٦٧/٣.

(٦) السرقسطي: ٢٩٣/٤، وانظر: ابن منظور (ونح) ٦٣٨/٢.

(٧) السرقسطي ٢٩٣/٤

لا إله إلا الله[١]. ففعل (هَلَّلَ) الأوّل ليس له ثلاثي في معناه، والثاني منحوت مـــن تركيب (لا إله إلا الله) ؛ لذا ليس له فعل ثلاثيّ أيضا. أمّا " هَلَّلَ: إذا نَكَلَ وفزِع فقد استعمل منه ثلاثي في معناه ، فهلّ وهلّل: فزع[٢].

ومن الأمثلة أيضاً: هوَّز بمعنى مات[٣], وذكر الحملاوي عجَّزت المـــرأة[٤]، إلاّ أنّ معاجم الأفعال سجّلت له أصلاً ثلاثياً مستعملا في معناه، وهو (عَجَزَت) المرأة؛ أي صارت عجوزاً[٥]. وذكر الحملاوي أيضا (عيَّره) إذا عابه[٦]، إلاّ أن ابن القطاع ذكر له فعلاً ثلاثياً، وهو (عار) بمعنى عاب. [٧]

٤- ما جاء على زنة (تفعّل):

ومن أمثلته :تزعّم فلان علينا؛ إذا ردَّد كلامه تغضّبا[٨]، فلم يأتِ منه فعل ثلاثـــي، وكذلك الأمر في (تَبَكَّل) الرجل: إذا اختال، وتَشَبَّصَ الشجرُ، بمعنى دخل بعضه في بعض، " لغة يمانية "[٩]. وتأَيَّيتُ الشيء تعمدته وقصدته ، " ولم يأتِ منه ثنائي مكرر ولا ربـــاعي ولا ما فوقه"[١٠]، ولم أجد له في معاجم الأفعال فعلا ثلاثياً .

وذكر الحملاوي أيضا تصدّى[١١]، ولم أجد هذا الفعل المزيد في معاجم الأفعـــال، وتكلّم عنده أغنت عن الثلاثي (كلم) لعدم وروده [١٢] ، وجـــاء في معجم السرقسطي :

---

(١) السرقسطي (هشّم) ، و (هلّل) : ١٩١/١.
(٢) السرقسطي : ١٩٢/١ وانظر : نفسه: ١٣١/١.
(٣) السرقسطي: ١٩٢/١.
(٤) الحملاوي، شذا العرف: ٤٢.
(٥) ابن القوطيّة: ١٩.
(٦) الحملاوي، شذا العرف: ٤٢، إلاّ أنه تعرض للتصحيف عنده، إذ وردت " غيّره".
(٧) انظر: ابن القطاع: ٣٩١/٢.
(٨) السرقسطي: ٤٨٨/٣.
(٩) المصدر السابق: (تبكل) ١٣٤/٤، و(تَشَبَّص) ٤٠٦/٢ وانظر : ابن منظور (شبص) ٤٤/٧.
(١٠) ابن القطاع: ٦٤/١.
(١١) الحملاوي ، شذا العرف: ٤٣.
(١٢) المصدر السابق : ٤٣.

" وقُرئَ : أَخْرجنا لهم دابّةً من الأرض تَكْلمُهم : أي تجرحهم من وجوهِهم ، يقال: تَسِم الكافر وتجلو وجه المؤمن ، ومن قرأ " تُكَلِّمهم" فهو أيضا بمعناه، وقد فسّر أيضاً من الكلام"[١]، فهو بذلك يوحّد معنى (تَكْلمهم) و (تُكَلِّمهم) . وهذا يعني أنّ المزيد (تكلّم) من الثلاثي (كَلَمَ) إذْ يشترك معه في المعنى العام، وقد أكّد ذلك الثمانيني بقوله: " فأمّا تكلّم" و " كلّم" فهو من الثلاثة؛ لأنه منْ " كَلَمْتُ" ؛ لأن الكلام يَخْرُقُ السَّمْعَ كما أن الجراح تَخْرق اللحم، فكلاهما من أصل واحد، وقرأ بعض المتقدّمين[٢] (أخْرجنا لهم دابّة من الأرض تكْلِمهم) أراد تَسِمُهُم فجعلَ السِّمة كالجراحة ، ومنْ قرأ (تُكَلِّمهُمْ) أراد من الكلام[٣]".

٥- ما جاءَ على زنة (افتعل):

ومما أغنى عن أصله لعدم وروده : ارتجل الخطبة[٤]، و لم تسجّل معاجم الأفعال هذا الفعل المزيد ، و " اشتكن الرجلُ في الشيء : إذا تغامس فيه: أي تجاهل وتعامى : يريد أنه لا علم عنده منه، قال: وأحسِبُ هذه اللفظة فارسيّة معرَّبة"[٥]، فالفعل الثلاثي (شكن) غير موجود في المستوى الاستعمالي للغة، ويدعم ذلك أنه مُعرَّب على الأرجح، فقد وردَ عن الأصمعي: " ولا أحسبه عربيّاً "[٦] إلا أنه أطلق هذا الحكم على المزيد منه (انشكن) وليس (اشتكن) لهذا يرجّح محقق كتاب السرقسطي أن يكون متعرضّاً للتصحيف، وأنّ صوابه (انشكن) ، كما جاء في لسان العرب[٧] .واعترط الرجل في الأرض: إذا أبعد

---

(١) السرقسطي: ١٧٦/٢.

(٢) انظر: النحاس ،إعراب القرآن: ٢٢١/٣، وابن جني، المحتسب: ١٤٤/٢- ١٤٥ ، و أبو حيان الأندلسي , البحر المحيط : ٩٧/٧، والفراء ، معاني القرآن : ٣٠٠/٢، وأبو البقاء العكبري, إملاء ما منّ به الرحمن: ١٧٥/٢ .

(٣) الثمانيني، شرح التصريف: ٢٧١-٢٧٢.

(٤) الحملاوي: شذا العرف: ٤٣.

(٥) السرقسطي: ٤٠٩/١.

(٦) ابن منظور (شكن) ٢٤١/١٣.

(٧) انظر: الرقسطي: ١/ هامش ص (٤٠٩) وابن منظور (شكن) ٢٤١/١٣.

فيها[١]، فأغنى المزيد (اعترط) عن ثلاثيه لعدم وروده، مع أننا نسمع في عامية اليوم الفعل الثلاثي (عرط) بمعنى بالغ في الشيء وأبعد فيه ، ولعلّ في ذلك عوداً إلى الأصل التاريخي (عرط) غير المستعمل. والتمط فلان بحقيّ: إذا ابتلعه وذهب به[٢]. والْتأَتْ عليه الحاجة؛ أي أبطأت[٣]، على زنة (افتعل) إلاّ أن لام الفعل حذفت لاتصاله بالتاء الساكنة، ويفسّر السرقسطي ذلك بقوله: "وكان أصله الْتأَيْت، فانقلبت (الياء) ألفاً للفتحة قبلها، ثم حذفت الألف: للساكنين"[٤]،معتمداً في تفسيره على أن الألف حرف ساكن، وهي ليست كذلك، بل هي فتحة طويلة قُصّرت ؛ تخلصاً من المقطع المكروه (ص ح ح ص) وقد أشار السرقسطي إلى عدم استعمال ثلاثيّه بقوله: " و لم يُسْتعمل من ثلاثيّه إلا قولهم: لأْيا فعلت كذا: أي بُطْأً، وبَعْدَ لأي أي بعد بُطءٍ[٥]" ، فأيّد قول الليث: " و لم أسمع العرب تجعلها معرفة، يقولون : لأياً عرفْتُ وبَعْدَ لأيٍ فعلتُ، أي جُهْدٍ ومشقّة..." [٦] ،إلاّ أن بعضهم أجاز (لأى يَلأى) [٧]؛ وهذا يعني استعمال ثلاثيه أيضا، وقد يُفَسَّر ذلك بأنه من باب اختلاف اللهجات.

٦- **ومما جاء على زنة (انْفعل)** انطلق بمعنى ذهب، فقد أغنى عن مجرّده الذي لم يُسْتعمل ، وأشار إلى ذلك سيبويه بقوله: " وهذا موضع قد يُسْتعمل فيه انفعلت وليس ممّا طاوع فعلت، نحو كسرته فانكسر، ولا يقولون في ذا: طَلَقْته فانطلق، ولكنّه بمنزلة ذهب ومضَى" [٨]، إلا أن معاجم الأفعال لم تسجّل هذا الفعل المزيد.

---

(١) السرقسطي: ٣٢٦/١ وانظر: ابن منظور (عرط) ٣٥٠/٧.
(٢) السرقسطي: ٤٧٩/٢ وانظر : ابن منظور (لمط) ٣٩٤/٧.
(٣) السرقسطي: ٤٧٩/٢.
(٤) المصدر السابق: ٤٧٩/٢.
(٥) السرقسطي: ٤٧٩/٢.
(٦) ابن منظور (لأي) ٢٣٧/١٥.
(٧) يذكر ابن منظور منهم: اللحياني والأزهري , انظر : ابن منظور (لأي) ٢٣٧/١٥.
(٨) سيبويه: ٧٦/٤-٧٧ وانظر: بحرق، فتح الأقفال: ١٤٠.

٧- ومن الأفعال التي على زنة (اسْتَفْعل) ، والتي أغنت عن مجرّدها : اسْتَقْرن الدُّمَّل: إذا حان أن يتفقّأ، ويُقال أيضاً أقرن " و لم يُسْتعمل منه الثلاثي في هذا المعنى"[١] وقد يُشْتق من الأسماء الجامدة أفعال على زنة (استفعل) تفيد التحوّل من حال إلى حال، منها: اسْتأتن الحمار؛ أي صار كالأتان، واسْتَتيسَت الشاة: صارت تيساً، واستنسر البُغاث: صار كالنسر،واستجمل البعير : صار جملاً[٢] فليس لمثل هذه الأفعال المزيدة أصول ثلاثية ؛ لأنها من أسماء جامدة.

٨-ما جاءَ على زنة افعلَّ وافعالَّ

يذهب سيبويه إلى أنّ الألوان تُبنى الصفة المشبهة منها على (أفْعل) ، ويكون فعلها غالباً على فَعِل يفعَل، ومَصْدرها على (فُعْلَة) . وقد يأتي على (فَعُلَ يَفْعُل) ، نحو : أدِمَ يَأْدَم أُدْمة، " ومن العرب من يقول: أدُم يأْدُمُ أُدْمَة"[٣]. ويبنى الفعل منها أيضاً على (افعالّ) نحو: اشهابَّ وادْهامَّ،فهو مُطَّرِد " لا يكاد ينكسر في الألوان " [٤]، وقد " يُسْتغنى بافْعالَّ عن فَعِل وفَعُل " ، نحو : احمارَّ واسوادَّ واخضارَّ إلاّ أن (افْعَلَّ) أكثرُ في كلامهم ، فاحمّرَ واسودَّ واخضرّ أكثر من احمارَّ واسوادَّ واخضارَّ[٥].

ويعلل سيبويه ذلك بقوله: " لأنه كَثُرَ فحذفوه والأصل ذلك"[٦] . ولعلّ الضمير يعود إلى (افعالَّ) . وربّما أراد بالكثرة أن الصيغة (أفعالَّ) كثرت بعدد حروفها وطالت؛ فحذفوا الألف، فنشأ (افْعَلَّ) ، فالأصل (افعالَّ) وهذا يؤكّد أنّ من تحوّلات صيغة (أفعالّ) تقصير الألف لتصبح (افعلَّ).

---

(١) السرقسطي: ١٣٩/٢-١٤٠.
(٢) السرقسطي : (استأتن) ١٢٦/١، و(استيتس) ٣٧٥/٣، و (استنسر) ٢٤٦:٣، و (استجمل) ٣٢٢/٢.
(٣) سيبويه: الكتاب: ٤/ ٢٥.
(٤) سيبويه , الكتاب : ٢٥/٤.
(٥) المصدر السابق : ٢٦/٤.
(٦) نفسه: ٢٦/٤.

ولا تأتي أفعال الألوان إلاّ لازمة[١]، وقد أكّدت معاجم الأفعال ذلك، ويرى الحملاوي أنّ (افعالَّ) تدلّ على قوةّ اللون أكثر من (فَعُل) أو (فَعِل) ومن (افْعَلَّ) [٢]، فيما يفرّق بحرق اليمني بينهما بقوله: " إنّ افْعالَّ يكون للونٍ غير ثابت، ولهذا يُقال: جعل يحمارّ مرّة ويصفارُّ أخرى، وافْعَلَّ للون الثابت"[٣].

وبذلك يفترض القياس وجود الفعل الثلاثي (حَمِر) لوجود مصدره (الحُمْرة) وللوصف منه (أحمر- حمراء) ، فالمصدر والوصف يُشيران إلى مرحلة تاريخية استُعمل فيها هذا الأصل ، إلاّ أنّ العرب ما عادت تنطق به استغناءً باحمارَّ ، قال سيبويه: " استغنوا باحمارّ عن حمر"[٤] ولعلّه استعمل في فترة ما ثم أميت[٥]، وبقي المصدر والوصف ليدلاّ عليه؛ فيُغني بذلك الفعلان (احمرَّ) و (احمارَّ) المزيدان عن مجرّدهما (حَمِر) لموته من واقع الاستعمال اللغويّ، وقد أكدّت ذلك معاجم الأفعال؛ فلم تسجّل (حَمِر) الدالّة على اللون.

فيما نرى أن اخضرَّ واخضارَّ لم تُغنيا عن المجرّد (خَضِرَ) ، فقد جاء في معاجم الأفعال: خَضِرَ الزرع والنبات خَضَراً وخُضْرَةً ، بمعنى صار أخضر[٦]، كما لم يُغْنِ (اسودَّ) و (اسوادَّ) عن (سَوِد) [٧]، فقد ورد: " سَوِدَ الشيء سواداً صار أسود"[٨]. ولكن لماذا استغنت العرب عن (حَمِرَ) باحمارَّ خلافاً لِسَوِدَ وما هو نحوها؟! قد يكون ذلك من باب أمن اللبس بين فِعْلٍ (أَحْمَر) وفِعْل (حِمار) فلو أردنا اشتقاق فعل للصّفة وآخر للاسم الجامد (حمار) ، لكان (حَمِر) لكليهما .

---

(١) انظر: بحرق، فتح الأقفال: ١٤٠، والحملاوي ، شذا العرف: ٤٣.

(٢) انظر: الحملاوي، شذا العرف: ٤٥.

(٣) بحرق، فتح الأقفال: ١٤٠.

(٤) انظر: سيبويه , الكتاب : ٢٦/٤ , ٣٣ .

(٥) انظر: الحملاوي، شذا العرف: حاشية الصفحة (٣١).

(٦) ابن القوطيّة: ٢٠٥ والسرقسطي: ٤٩٨/١.

(٧) انظر: سيبويه، الكتاب: ٥٧/٤.

(٨) ابن القوطيّة: ٧٥ والسرقسطي: ٥٢٨/٣ وابن القطاع: ١٦٧/٢.

وقد لا تدلّ الصيغتان (افعَلَّ) و (افعالَّ) على اللون ، نحو: اقطرَّ النبتُ واقطارَّ إذا تهيّأ لليبس [١] ، وهما لم يُسْتعملا إلاّ بالزيادة، وكذلك ابهارَّ الليل: إذا انتصف[٢]، ومما جاءَ على صيغة (افْعَلَّ) مما ليس له فعل ثلاثي (ارْعوى) ارْعواء حَسَناً ، ورعْوًى حسناً، وهو نزوعه ، وحُسْن رُجوعه[٣].

٩- ومما جاء على زنة (افْعَوَّلَ) ولم يُسْتعمل إلاّ بالزيادة: اجْلَوَّذَ في السير: إذا شدّه وأسرع فيه[٤]، واعلوّط الشيء: إذا أخذه وحبسه[٥]، واعْلَوَّدَ الشيء: إذا لزم مكانه فلم يُقْدَرْ على تحريكه[٦]، ولعلّ أحدهما متطوّر عن الآخر، للقرب المعنوي بينهما،ولإمكانيّة تعاقب الطاء والدال.

١٠- ومما جاء على زنة (افْعَوْعَل) ولم يُسْتعمل إلاّ بالزيادة: اعْرَوْرَيْتُ الفرس: إذا ركبته عُرْياً[٧]. وقد تكون إحدى الصيغتين : افْعَوْعلَ وافْعوَّل متطوّرة عن الأخرى، إذْ ربّما نشأت (افْعَوْعَلَ) عن (افْعَوَّل) بالمخالفة الصوتيّة ؛ أي بسقوط الواو الثانية، والتعويض عنها بتكرار عين الفعل، أو ربّما نشأت (افْعَوَّلَ) عن (افْعوْعَلَ) بذوبان العين الثانية في الواو.

١١- **ومما لم يستعمل إلاّ بالزيادة فأغنى عن مجرّده** : اقْشَعرَّ ، واشمأزَّ[٨]وكلتاهما على زنة (افْعَلَلَّ) عند القدماء ، لكن الأولى منها على زنة (افْعَعَلَّ) ، والأخيرة على زنة (افْعألَّ) عند معظم المحدثين، كما سيذكر في فصل تحوّلات الصيغ.

د- فَعَل وأفْعَل بمعنى واحد:

---

(١) ابن القطّاع: ٧٢/٣ وانظر: سيبويه ، الكتاب: ٧٦/٤.

(٢) ابن القطاع: ١١٥/١ وانظر سيبويه ، الكتاب: ٧٦/٤.

(٣) السرقسطي: ١١٢/٣.

(٤) السرقسطي : ٣٢١/٢ وانظر: سيبويه، الكتاب: ٧٦/٤.

(٥) السرقسطي: ٣٢٥/١ وانظر سيبويه، الكتاب: ٧٦/٤.

(٦) السرقسطي: ٣٢٥/١.

(٧) السرقسطي: ٣٢٦/١ وانظر سيبويه، الكتاب: ٧٦/٤.

(٨) المصدر السابق (اقشعر) ، ١٣٧/٢، و(اشمأزَّ) ٤٠٨/٢ وانظر سيبويه ، الكتاب: ٧٦/٤.

ضمّت معاجم الأفعال أمثلة كثيرة ، تشترك في وزني (فعلت وأفعلت) يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات ، على النحو الآتي:

١-ما كانت فيه (فَعَلَ) هي الفصيحة أو المشهورة أو العالية.

٢-ما كانت فيه (أَفْعلَ) هي الفصيحة أو المشهورة أو العالية.

٣-فعل وأفعل بمعنى واحد، دون أن يُحدّد أيهما الأفصح.

١-ما كانت فيه (فعل) هي الفصيحة، نحو: برقت السماء وأبرقت، والثلاثي أفصح[١]وحدرْتُ القراءة وأحْدرتها؛ بمعنى أسْرَعْتها، فالثلاثي المعروف فيها، والرباعي لغة رديئة[٢]، ورَفَدْته بمعنى أعنته هي الأعمّ ، وأرْفدتُه لغة[٣] ، ورَمِع الرجلُ وأرْمَعَ: إذا اصفرَّ لونه، والأوّل أعلى[٤]، وشغلني الشيء وأشْغلني لغة رديئة[٥]، وكفأت الإناءَ: كببْته ، وأكْفأْتُه : لغة[٦]، ومحق الله الشيء أذهب بركته وأمحقه لغيَّة [٧]، ونعشَه الله : جبره، وأنعشه

لُغيّة[٨]، وهَدَيْتُ المرأة إلى زوجها، وأهْديْتُها :لغة ،وهال الشيءَ : صبّه ، وأهاله: لغة[٩]...

---

(١) ابن القطاع: ٦٧/١.

(٢) ابن القوطيّة: ٣٨ والسرقسطي: ٣٣٢/١ وابن القطاع : ٢٠٩/١.

(٣)السرقسطي: ١٣/٣ وابن القطاع: ١٤/٢ وانظر: الجواليقي ، وما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد: ٤١.

(٤)السرقسطي: ١٥/٣.

(٥)ابن القوطيّة: ٧٦ والسرقسطي : ٣٢٥/٢ وابن القطاع: ١٧٧/٢ وانظر : سيبويه: ٦١/٤ والجواليفي ، ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد: ٤٨.

(٦)السرقسطي: ١٤٥/٢، ١٦٠ وانظر : ابن قتيبة، أدب الكاتب : ٢٨٩.

(٧)ابن القطاع: ١٦١/٣.

(٨)ابن القوطيّة: ١٠٧ والسرقسطي : ١١٨/٣ وانظر: ابن قتيبة ، ادب الكاتب : ٢٨٧.

(٩)ابن القوطية: ١٢ والسرقسطي:١٣١/١ .

ويمكن تفسير صيغة (أفعل) فيها بأنّها من باب همز غير المهموز؛ توهماً أو مبالغة في التفصح.

٢– ما كانت فيه (أفْعل) هي الفصيحة ، نحو: دَحَضَ الله حجّته, قليلة، وأدْحضها الأعمّ[١]، و " رذّت السماءُ وأرذّت من الرذاذ وهو المطر الضعيف" ورذّت لغة، وأرذّت أفصح[٢]،وزها التمر، لغة، وأزْهى المعروف[٣]، وسعَدَه الله لغة، وأسعده الأعم[٤]، وظلم الليل لغة وأظلم المعروف[٥]، وغضا الليل لغة، وأغْضى الأعمّ: غطّت ظُلْمتُه كل شيء وسكن[٦]، وغَلَقْت الباب لغة، وأغلقته المستعمل[٧]، وغاثه الله وأغاثه هي اللغة العالية، ونَصَبه المرض وأنصبه لغتان : جهدَه ، وأنصبه أعلى وأفصح[٨]، ووَرَسَ الرِّمْثُ بمعنى اصفَرَّ نَوْرُه، لغة، وأوْرسَ الأعم[٩]، ووَطنْتُ المكان وأوطنْتُهُ ، وأوْطنتُه أفصح وأكثر[١٠]، ويَفَع الغلامُ لغة، وأيْفَعَ الأعمّ[١١]... ويمكن تفسير صيغة (فعل) فيها بأنّها من باب السهولة والتّيسير ، بسقوط الهمزة من (أفعل) عند من لا يهمز من العرب.

٣–ولم تحدّد أحيانا معاجم الأفعال أيّهما الأفصح كما في الأمثلة الآتية: تَبلهم الدهر وأتبلهم بمعنى أفناهم، وخَصِب المكان وأخصب كثُر عشبه وخيره[١٢]، وسفَرْته وأسْفَرْته:

---

(١) ابن القوطيّة: ١٢٣ والسرقسطي : ٢٩١/٣ وابن القطاع: ٣٣٨/١.

(٢) السرقسطي: ٣/٣ وانظر: ابن القوطيّة: ٩٦ والجواليقي، ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد: ٤١ .

(٣) ابن القوطيّة: ١٣٨وابن القطاع: ١٠٥/٢ وانظر الجواليقي، ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد : ٤٤.

(٤) ابن القوطية: ٦٨ والسرقسطي: ٤٩٢/٣ وابن القطاع: ١١٦/٢ .

(٥) ابن القوطيّة: ١٢٠ والسرقسطي : ٥٧٩/٣ وابن القطاع: ٣١٨/٢.

(٦) ابن القوطيّة: ٢٦ والسرقسطي: ٥/٢.

(٧) ابن القطاع: ٤١٤/٢.

(٨) السرقسطي (غاث) ٥/٢ و (نصب) ١١٨/٣، ١٢٣.

(٩) ابن القوطيّة: ١٥٥، والسرقسطي : ٢٢١/٤ وانظر الجواليقي، ما جاء على فعلت وافعلت بمعنى واحد: ٧٣.

(١٠) السرقسطي: ٢٢٢/٤.

(١١) ابن القوطيّة: ١٦١ والسرقسطي : ٢٩٤/٤ وانظر الجواليقي ، ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد: ٧٧.

(١٢) ابن القطاع (تبل) ١١٧/١، و (خصب) ٢٨٤/١.

حملت عليه السِّفار، وهو رسنُ الحديد[١]، وضَمَجَ الرجل بالأرض وأضْمَجَ : لَصِق بها[٢]،وكنعَ وأكْنع: خضع[٣]، وملس الظلام: ، وأمْلَس : اشتدّ[٤]...

وقد تباينت آراء علماء العربيّة القدامى في هذه الظاهرة ، فذهبوا فيها مذاهب شتى بين مؤيّد ومعارض، فكان الأصمعي مثلاً مولعاً بالجيد المشهور، ويضيّق فيما سواه[٥]، ومن الأمثلة الدالة على ذلك الواردة في معاجم الأفعال: بنَّ المكان وأبنَّ به، أقام، وأبى الأصمعي إلاّ أبنَّ[٦]، ورنّت المرأة ببكائها وأرنّت :صوّتت وصاحت،" وأبى ذلك الأصمعي ، وقال : لا يُقال إلا أرنّت"[٧]، وسفر الصبحُ وأسفَر" وأبى الأصمعي إلاّ أسفر" [٨]، وغنَّ الوادي وأغنَّ : إذا كثر شجره "، و لم يعرف الأصمعي إلاّ أغنّ"، ومحقْتُ الشيء، وأمْحَقْته؛ أي أذْهبته، و " أبى الأصمعي إلا محقته"[٩]...

ومهما يكن من أمر، فقد زعم كثير من أهل اللغة أنّ فعلَ وأفعَل قد يجيئان بمعنى واحد، ولكن كيف يمكن تقبّل هذا الزعم مع ما ذهب إليه العرب من أنهم لا يزيدون الحرف إلا دلالة على معنى زائد لا يدلّ عليه الأصل؟ فزيادة المبنى لابدّ أن تؤدّي إلى زيادة في المعنى.

ويمكن تفسير هذه الظاهرة اعتماداً على ما ذكره الأقدمون من علماء العربيّة، إذْ ورد عن الخليل أنه قد " يجيء فَعَلْتُ وأفعلت المعنى فيهما واحد، إلاّ أن اللغتين اختلفتا... فيجيء به قوم على فعلت، ويُلحق قوم فيه الألف فيبنونه على أفعلت[١٠]" وورد عن ابن

---

(١) ابن القوطيّة: ٦٩: والسرقسطي: ٤٩٤/٣ .
(٢) السرقسطي: ٢٠٥/٢.
(٣) السرقسطي: ١٤٣/٢.
(٤) ابن القوطيّة: ١٤٨، والسرقسطي: ١٤٠/٤ .
(٥) أبو حاتم السجستاني ، فعلت وأفعلت: ٦٢.
(٦) ابن القطاع: ٩٥/١.
(٧) السرقسطي: ٤/٣.
(٨) ابن القطاع: ١١٩/٢.
(٩) السرقسطي (غنّ) ١/٢ ، و (محق) ١٤٠/٤.
(١٠) سيبويه: ٦١/٤.

درستويه : " لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد، إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين فأمّا مِنْ لغة واحدة، فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد، كما يظن كثير من النحويين واللغويين. وإنما سَمِعوا العرب تتكلّم بذلك، على طباعها، وما في نفوسها؛ من معانيها المختلفة، وعلى ما جرت به عاداتها وتعارُفها ، ولم يعرف السامعون تلك العلّة فيه والفروق، فظنّوا أنهما بمعنى واحد، وتأوّلوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم... وليس يجيء شيء من هذا الباب إلا على لغتين متباينتين كما بينا، أو يكون على معنيين مختلفين أو تشبيه شيء بشيء"[١].وتابعهما في ذلك عدد من العلماء، منهم ابن سيده ، وابن يعيش[٢].

ويكاد يجمع العلماء على أن اتحاد المعنى بين (فعل وأفعل) سببه اختلاف لهجات العرب، وأنّ (أفعل) لغة نجد ، و (فَعَلَ) لغة الحجاز[٣]، وقد تابعهم رمضان عبد التوّاب في تفسير هذه الظاهرة في " إطار ما عرف عن القبائل الحجازيّة من ترك الهمز، في مقابل القبائل النجديّة التي تحتفظ بالهمزة في أماكنها القديمة من الكلمة ، أصليّة كانت تلك الهمزة أو زائدة- لا يكون إلاّ بعزو الصيغ المهموزة إلى القبائل النجديّة، والصيغ الخالية من الهمز إلى القبائل الحجازيّة"[٤].

ويرى أحمد علم الدين الجندي أن السبب في اختيار نجد (أفعل) والحجاز (فعل) هو البيئة الاجتماعية لهذه القبائل العربيّة، فمنطقة نجد بدويّة ، ومنطقة الحجاز حضريّة، وقد آثر الحجازيّون الصيغة المجرّدة ، وآثر البدو الصيغة المزيدة ، ولكن لا يمكن تعميم الحكم[٥]

---

(١) ابن درستويه، تصحيح الفصيح وشرحه: ٧٠ ، تحقيق محمد بدوي المختون، مراجعة رمضان عبد التواب، القاهرة، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٨م.

(٢) انظر: ابن سيده ، المخصّص: ١٤/١٧١ وابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف :٧٠.

(٣) الفيومي , المصباح المنير : ١/ ١٥٧ , و أبو حيان الأندلسي , البحر المحيط (مرج) ١/٤٨٣، (فتن) ٣/٣٣٩. وانظر : أحمد علم الدين الجندي , دراسة في صيغتي " فعل وأفعل" , ١٠٦-١٠٧, مجلة مجمع اللغة العربية , القاهرة , الجزء (٣٢) , ١٩٧٣

(٤) رمضان عبد التواب، مشكلة الهمزة العربية:١١٩.

(٥) انظر: أحمد علم الدين الجندي، دراسة في صيغتي " فعل وأفعل" : ١٠٩-١١٠ , وللمؤلف نفسه، اللهجات العربية في التراث: ٢/٢٦١.

ليشمل كل الأنماط الاستعمالية ، فثمة أفعال في لهجة الحجازيين نحو: أسـرى[١]، وأوفى[٢]، مع أنّ مقياس الكثرة يساعد على الحكم بأنّ (أفعل) للقبائل البدويّة عامّة، ولتميم خاصة[٣].

ويعلل بعضهم ميل القبائل البدويّة إلى (أفعل) بأن تلك الصـيغة " تجنّبـها تـوالي الحركات" فالقبائل البدويّة تكره توالي الحركات؛ لذا تلجأ إلى التخفيـف بالتسـكين[٤]، فنطقت بذلك قبيلة (فعل) وأخرى (أفعل) ، ثمّ ضمّ جامعو المعجمات هذه المعاني بعضها إلى بعض دون أن يعنوا في كثير من الأحوال بتحديد كل معنى إلى القبيلـة الـتي كانـت تستعمله[٥]، ويدعم ذلك ما ورد في معاجم الأفعال من إشارات إلى القبائل التي تنتمي إليها كلتا الصيغتين المتفقتين في المعنى، منها: أجبرتك على الأمر و " جبرتك أيضـا لغة بني تميم" و " حزنني لغة قريش، وأحْزنني لغة تميم" ورَجَعَهُ ، وهُذيل تقول (أرجعـه)[٦]، وسَـبَتَ اليهود: تركوا العمل في سبتهم ، وأسبتوا أيضاً بمعناه، عن الكلابيّين ، وضَحِكت النخلة: إذا أخرجت الضَّحْك ، " هذا في لغة بلحارث بن كعب، وغيرهـم يقولـون: أضْحَكَت "[٧] و " أوقفْتُ الدار و الدّابة : لغة تميميّة... والأصمعي ينكر ذلك، ويقول: وقفْـتُ الدابّـة، وقَفْتُ الدار والأرض"[٨]...

وبناءً على ما سبق، يمكن القول بأنّ الاتفاق بين فعل وأفعـل في المعـنى يعـود إلى اللهجات ، وربما قصّر المعجميّون عندما جمعوا اللغة في نسبة كل لفظ إلى القبيلة التي كانت تستعمله ، فأدّى إلى الخلط الشديد بينهما.

وظهور اللغة العربية المشتركة، التي تخلو من ظواهر لهجيّة كثيرة، ثم نزول القـرآن الكريم بها – له دور في قلّة استعمال بعض الأفعال ، وشيوع استعمال الأخرى، كمـا أن

---

(١)ابن منظور (سرى) ٣٨١/١٤.

(٢) انظر: أبوحيان، البحر المحيط: ٥٠١/٢، ٩٢/٨.

(٣) انظر: غالب المطلبي، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة: ١٨٤-١٨٩.

(٤) انظر: المرجع السابق : ١٨٤ , و صالحة راشد آل غنيم، اللهجات في " الكتاب" لسيبويه: ٤٠١.

(٥)علي وافي، فقه اللغة: ١٨٦.

(٦) ابن القطاع (جبر) ١٥٧/١، و (حزن) ٢٠٢/١، و(رجع) ١٦/٢.

(٧) السرقسطي (سبت) ٤٩٥/٣، و (ضحك) ٢٠٦/٢, والضَّحْك هو طَلْع النخل حين ينشق (ابن منظور: ١٠/ ٢٦٠) .

(٨) المصدر السابق : ٢٣١/٤، وانظر: ابن القطاع: ٢٩٣/٣.

اختيار تلك اللغة الهمز شعاراً لها جعل العرب تتسابق في النطق به، " فأدّى ذلك إلى همز ما ليس أصله الهمز مبالغة في التفصّح"[١]، فاضطربت بذلك صيغة (أفعل) واتّحدت مع (فعل) في المعنى ، بتأثير قانون الحذلقة أو المبالغة في التفصّح، الذي جعل الحجازيين- لعقدة الهمز عندهم – يلحقون الهمزة بالثلاثي (فعل) توهماً منهم أنها سقطت منه في لهجاتهم المحليّة، فإذا كان الأصل (أفْعَلت) متعدّيا، فقد نشأت (فعلت) لترك الحجازيين الهمز فيها. ويمكن أن يكون الأصل هو (فعلت) متعدياً؛ فزاد الحجازيون الهمزة فيه مبالغة في التفصّح لتوهّمهم أن (فعلت) محذوفة الهمزة من (أفعلت)[٢]، وقد سبق الفرّاء إلى تسمية هذه الهمزة همزة التوهّم[٣].

وقد أشار عدد من علماء العربيّة القدامى إلى هذا الوهم، منهم الكسائي(ت١٨٩هـ) في"ما تلحن فيه العامّة"[٤]،وابن السكيت (ت٢٤٤ هـ) في "إصلاح المنطق" [٥]، وأبو بكر الزّبيدي (ت ٣٧٩هـ) في " لحن العامة" [٦] ، وابن مكيّ الصقلي (ت ٥٠١ هـ) في " تثقيف اللسان وتلقيح الجنان"[٧]، وابن الجَوْزي (٥٩٧ هـ) في " تقويم اللسان"[٨]، وابن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) في " تصحيح التصحيف وتحرير التحريف"[٩].

وما أُريد أن أخلص إليه هو أن الصراع اللغوي بين (فعل وأفعل) المتحدتين في المعنى تأتّى بسبب اختلاف اللهجات، أو الوهم والقياس الخاطئ , أو بسبب التطوّر اللغوي، الذي ربما أدى إلى ضياع الفوارق المعنوية بين هاتين الصيغتين عبر مراحل زمنيّة طويلة.

---

(١) رمضان عبد التواب، مشكلة الهمزة العربيّة: ١٢٧-١٢٨ وانظر: السجستاني ، فعلت وأفعلت: ٦٧-٧٠

(٢) انظر: رمضان عبد التواب، مشكلة الهمزة العربية: ١٢٧، ١٣٨-١٣٩.

(٣) ابن منظور: ١٧/١ وانظر: رمضان عبد التواب، مشكلة الهمزة: ١٣٨.

(٤) انظر: الكسائي، ما تلحن فيه العامة نحو (صرف وأصرف) ١٠١.

(٥) انظر: ابن السكيت، إصلاح المنطق نحو (قلب وأقلب) ٢٢٦.

(٦) الزُّبيدي، لحن العامّة نحو (أسدل وسدل) ص ٢٣٨.

(٧) ابن مكي الصقلّيّ، تثقيف اللسان، نحو (ضلع وأضلع) ص ١٨٠.

(٨) ابن الجَوْزي، تقويم اللسان، نحو (رسن وأرسن) ص١١٠.

(٩) ابن أيبك الصفدي، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، نحو (زجل وأزجل) ١٠١.

هـــ–مجيء (فعل) متعدّيا و (أفعل) لازماً، خلافاً للمعتاد:

قد يحدث أحياناً أنْ تُتْرك الهمزة في المتعدّي، وتزاد بطريق المبالغـــة في التفصّـــح في اللازم، وقد فطن إلى ذلك ابن جنّي ، بقوله: " أَجْفَلَ الظليم وجَفَلَتْهُ الريح، جاءت هـــذه القضيّة معكوسة مخالفة للعادة، وذلك أنك تجد فيها فَعَلَ متعدّياً، وأفْعل غير متعدٍ"[١] وقـــد ألمح إليه أيضا ابن فارس[٢].

وذهب بعض العلماء إلى أن تلك الظاهرة نادرة[٣]، واعتماداً على عدد أمثلتها التي أودعها أصحاب معاجم الأفعال مصنّفاتهم، إضافة إلى ما ورد في مظانّ اللغة الأخرى، فإنّي أُخالفهم في ما ذهبوا إليه، وأنفي عن تلك الظاهرة صفة الندرة، واصفةً إيّاها بأنها ظاهرة قليلة، ومن هذه الأمثلة: حَجَم طرفَهُ عن الشيء بمعنى صرفه، فأحجم " وهو من النوادر" وختمْتُ الكتابَ: بلغتُ آخره وأخْتم ؛ أي بلغ أن يُختم[٤]، وسَحقْتُ الثوبَ: أبليته فأسحق؛ أي أخلق[٥]، وشَنَقْتُ البعير: جذبته ليرفع رأسه وأشنَق[٦]، وصَرَمْتُ التمر: جَدَدْته، وَأَصْرَمَ : حان صِرامه[٧]، وطَمَمْتُ الشعر؛ بمعنى جززتُه وأطمَّ ، أي حان له أن يُطَمّ[٨]، وقشعتِ الريحُ السحابَ فأقْشع , " وهو من النوادر"[٩] ونَسَلَتُ الريش فأنْسل بمعنى سقط[١٠]، وأنزفت البئر ونزفتها[١١]، وأمْرَتِ الناقة: إذا درّلبنها ، ومَرَيْتُها أنا بالمسح[١٢]، وأكبّ على وجهه نحو قوله تعالى: " أفمـــن يمشـــي مكبّاً على وجهه"، وكبّه الله على

---

(١) ابن منظور (جفل) ١١٤/١١ وانظر: رمضان عبد التواب، مشكلة الهمزة العربية: ١٤٠.

(٢) انظر : ابن فارس، الصاحبي: ١٠٥.

(٣) انظر: ابن القطاع: ٢١١/١–٢١٢ وبحرق اليمني، فتح الأقفال: ١٣٦، والحملاوي ، شذا العرف: ٤٠.

(٤) ابن القطاع (حجم) ٢١١/١– ٢١٢ , و (ختم) ٣١٢/١.

(٥) السرقسطي: ٥١٨/٣–٥١٩.

(٦) ابن القطاع: ١٨٤/٢ وانظر السجستاني، فعلت وأفعلت : ١٠٨، وابن قتيبة ، أدب الكاتب: ٢٩٩–٣٠٠.

(٧) السرقسطي: ٣٨٨/٣.

(٨) ابن القطاع: ٣٠٥/٢.

(٩) ابن القطاع: ١٣/٣ وانظر: ابن قتيبة ، أدب الكاتب: ٢٩٩، وابن فارس، الصاحبي: ١٠٥، والحملاوي، شذا العرف: ٤٠.

(١٠) السرقسطي: ١٢٠/٣ وانظر: ابن قتيبة ، أدب الكاتب : ٢٩٩، وابن فارس ، الصاحبي: ١٠٥، والحملاوي ، شذا العرف: ٤٠.

(١١) ابن قتيبة، أدب الكاتب:٢٩٩، وابن فارس، الصاحبي: ١٠٥.

(١٢) ابن قتيبة ، أدب الكاتب: ٢٩٩.

وجهه ، نحو قوله تعالى: " فَكُبَّتْ وُجوهُهُم في النار"[١]. وقد فسر ابن جنّي هذه الظاهرة المعكوسة المخالفة للعادة بقوله :"وعلّة ذلك عندي أنه جعل تعدّي فَعَلت وجمود أفعلت كالعوض لفَعَلْت من غلبة أفْعَلَت لها على التعدّي, نحو جلس وأجلسته..." [٢] ،وأرى أنه يمكن تفسيرها على أنها من باب التوسّع، الناجم عن التطوّر اللغوي، بانزياح إحدى الصيغتين لتقوم بدور الصيغة الأخرى.وربما كانت صيغة أفعل في هذا كله مطاوعة لـِ (فعل) , فتخرج من التعدي إلى اللزوم . أي أن الهمزة فيها لم تفد التعدية بل صارت الصيغة كلها تُفيد المطاوعة للفعل المجرد.

وقد تفسّر أيضا الهمزة في ما هو نحو (أنسل)الريش بأنها مُقْحمة بتأثير قانون المبالغـــة في التفصّح , فقد وردَ عند السرقسطي – كما مرّ سابقاً – نسلَ الريشُ وأنْسَلَ ، ونسلته أنا.

(١) ابن قتيبة , أدب الكاتب :٣٠٠، وابن فارس، الصاحبي:١٠٥.

(٢) ابن منظور (جفل) ١١٤/١١.

الفصل التاسع

تحـــــــــوّلات الصيـــــغ

يدرس هذا الفصل تحولات بعض الصيغ الواردة في معجمي السرقسطي وابن القطـــاع , أما معجم ابن القوطية , فلم يحوِ هذه الصيغ , لاقتصاره على الأفعال الثلاثية , وهذه الصيغ هي : افعالَّ , وافْعَلَّ , وافْعَأَلَّ , وافْعَعَلَّ , وافْعَهَلَّ .

ويمكن دراستها على النحو الآتي :

أ. افْعَلَّ و افعالَّ .

ب. افْعالَّ و افْعَأَلَّ .

ج. افْعَأَلَّ و افْعَعَلَّ و افْعَهَلَّ

أ. افْعَلَّ و افعالَّ :

ثمّة صلة قوية بين افْعَلَّ وافْعالَّ , فأحدهما ممطول الآخر أو مقصوره ؛ أي أن افْعلَّ ربما تطوّرت إلى افعالَّ بمطل فتحة العين أو أنّ افعالَّ تطوّرت إلى افْعَلَّ بتقصير الفتحـــة الطويلة , ويؤكد تلك الصلة اشتراكهما في المعاني التي يدلان عليها , وليس شيء يقال فيه افْعلَّ إلا ويقال فيه افْعالَّ .

وقد سبق القدماء في الإشارة إلى احتماليـــة تطوّر افْعـــالَّ إلى افْعَلَّ , يقـــول ابـــن يعيش : " وقد يقصّر افعالَّ لطوله فيرجع إلى افعلَّ ,قال سيبويه وليس شيء يقال فيه افعالّ إلا ويقال فيه افْعَلّ إلا أنه قد تقلّ إحدى اللغتين في الكلمـــة وتكثـــر في الأخرى , فقولهم ابيضّ واحمرَّ واصفـــــرَّ واخضرّ أكثر من ابياضّ واحمـــارَّ واصـــفارّ واخضارّ , وقولهم اشهابّ وادهامّ أكثر من اشهبّ وادهمَّ "(١) .

وإذنْ , فتكون صيغة (افعالَّ: ʾifʿālla) هي الأصل المفترض , ونظراً لاحتوائهـــا على المقطع المستثقل (ص ح ح ص) : (ʾāl) لجأت العربية إلى التخلـــص منـــــــه بطرق منها تقصير الحركة الطويلة (نواة المقطع) ليتشكل المقطـــع (ص ح ص) , فتصبـــح (افْعَلَّ) (٢) وقد ألمح القدماء إلى هذا التعليل كما ظهر في نص ابن يعيش السابق

---

(١) ابن يعيش , شرح المفصل : ٧ / ١٦١ , وانظر : سيبويه , الكتاب : ٤ / ٢٦ , وابن عصفور , الممتع في التصريف : ١ / ١٩٥ .

(٢) إسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف : ٥٠ – ٥١ , وكتابه: تطبيقات في المناهج اللغوية : ١٢٤ – ١٢٥ .

(3)Wright , W.,A Grammar Of the Arabic Language , P 43

ويرى ويليام رايت أن صيغة (افْعَلَّ) هي الأصل المفترض الذي نشأ عنه (افعالَّ) بإشباع فتحة العين في المقطع الثاني / a1 > /(٣) .

ويرى ابن يعيش أن الفعل(اسْوَادَّ) تطوّر إلى (اسْوَدَّ),ثم أُخذ منه (سَوِدَ) , يقول : " وقد يأتي الألوان على فَعِلَ قال أدِم يأْدَمُ وشهِب يشهب ... وسود يسود قال نُصيب :

سَوِدْتُ ولم أمْلِكْ سوادِي وتَحْتَهُ
قميصٌ مِنَ القُوهيّ بِيضٌ بنائِقُهْ .

وربما ضموّا ذلك جميعه وذكر بعض النحويين أن فعل مخفف عن افعال , واستدلّ على ذلك بتصحيح العين نحو عور وحول , قال : صحت الواو هنا حيث صحت في اعوارَّ إذْ كان هو الأصل " (١) فالفعل سَوِدَ مرحلة ثالثة.

ويرى معظم علماء اللغة أن الشائع في صيغتي (افعالَّ) و (افْعلَّ) أن تكونا في الألوان والعيوب (٢). كما يرى بعض المحدثين أنهما تدلان , غالباً , على أفعال غير حركية (٣) .

وقد سجّل أبو عثمان السرقسطي وابن القطاع كثيراً من الأمثلة عليها , منها : ادهمَّ الليل وادهامَّ , بمعنى اشتدَّ سواده , وارقطَّ العرفج وارقاطَّ بمعنى صارت فيه نقط تخالف لونه , وازرقَّ وازراقَّ واصحامّت البقلة : اصفارَّت , واصحامَّ الحمار خالط سوادَه صفرة... (٤).

إلا أنهما أوردا في معجميهما , أيضاً , أمثلةً ليست بالقليلة على هاتين الصيغتين في غير الألوان والعيوب (٥), منها : ابلاجَّ الشيءُ : وضَح (٦), وابلاقَّ بمعنى انفتح , وقد ذكر ابن القطاع : "و(ابلقَّ) الدابّة و (ابلاقَّ) . و(انبلق)الباب , انفتح" (٧)

---

(١) ابن يعيش , شرح المفصّل : ٧ / ١٦١ – ١٦٢ .

(٢) سيبويه , الكتاب : ٤ / ٢٥ , وأبو علي الفارسي , التكملة : ٥٢٠ , وابن يعيش , شرح المفصل : ٧ / ١٦١ ,وكتابه : شرح الملوكي في التصريف : ٨٤ , وابن عصفور , الممتع في التصريف : ١ / ١٩٥ والاستراباذي , شرح شافية ابن الحاجب: ١ / ٧٣ , وانظر: ما جاء على زنة افْعَلَّ وافْعالَّ في فصل المجرد والمزيد من هذه الدراسة .

(٣) جعفر عبابنة في حديث خاص .

(٤) ابن القطاع (ادهامَّ) ١ / ٣٨٤ , (ارقطّ) ٢ / ٥١ , ٨١ , (ازراق) ٢ / ١١٥ , (اصحامَّ) ٢ / ٢٦٥ .

(٥) مع أن الحملاوي يذكر أنها نادرة (انظر : شذا العَرْف في فن الصرف : ٣٧)

وجاءَت في لسان العرب بالمعنيين : " البَلَق : سواد وبياض ,... وانبلــق البــاب : انفتح " (١), وابهارَّ الليل بمعنى انتصف (٢) , واجْأَلَّ بمعنى فزع (٣), واحزالَّ : انتصب وأيضاً ارتفع (٤), واخضلَّ الشيءُ واخضالَّ بمعنى ابتلَّ (٥) , واربسَّ بمعنى ذهب (٦) , وارغادَّ الرجل : مرض أو نام أو غضب أو شكَّ في رأيه (٧), وارْمَدَّ وارْقَدَّ بمعنى أسرع (٨). وارعوى (٩) وارْمَقَّ بمعنى ضعف (١٠). واعْصالّت الشجرة كثُرت أغصانُهــا (١١), واقتنَّ بمعنى انتصب , واقتانَّ : حَسُنَ , واقتانّت الروضة : أخذت زخرُفها , واقرحَّ الفرس واقراحَّ بمعنى طلع نابه وتمّ سنّه, واقطارَّ الشجر تفطّر عن ورق أخضر , واقطارَّ النبت تهيّأ لليبس , وأيضاً غضب وانتفخ (١٢). ويقال للعنــز إذا أرادت الفحل قد اقفاطّت (١٣) والغانَّ النبات بمعنى التفّ وطال (١٤).

ب. افْعالَّ وافْعَأَلَّ :

---

(٦) ابن القطاع : ١ / ١١٦ .
(٧) المصدر السابق: ١ / ١١٦ .

(١) ابن منظور (بلق) ١٠ / ٢٥ .
(٢) ابن القطاع : ١ /١١٥ .
(٣) المصدر السابق : ١ / ٢٠١ .
(٤) نفسه : ١ / ٢٧٥ .
(٥) نفسه : ١ / ٣٣٥ .
(٦) نفسه : ٢ / ٨٠ .
(٧) السرقسطي : ٣ / ١١٤ وابن القطاع : ٢ / ٨١ .
(٨) السرقسطي : ٣ / ١١٢ – ١١٣ وابن القطاع : ٢ / ٨٠ .
(٩) السرقسطي : ٣ / ١١٢ , وانظر : فصل المخالفة الصوتية من هذه الدراسة .
(١٠) ابن القطاع : ٢ /٨١ .
(١١) المصدر السابق : ٢ /٤١١
(١٢) نفسه : ٣ / ٧٢ .
(١٣) السرقسطي : ٢ / ٩٨ .
(١٤) المصدر السابق : ٢ / ٤٨٠ .

قد تكون (افْعَأَلَّ) متطوّرة عن (افْعَالَّ) في بعض الأبنية , يدعم ذلك اشتراكهما في المعاني التي يدلان عليها. وقد سبق أبو منصور الأزهري إلى تفسير نشوء بعض الأبنية التي على صيغة افْعَأَلَّ من صيغة افْعالَّ , إذ ذهب إلى أن الهمزة في افْعَأَلَّ زيدت لئلا يجتمع ساكنان في(افْعالَّ),الأول هو الألف والثاني هو النون الأولى ,وقد توهم في ذلك لظنّه

كغيره من علماء العربية القدامى – أن الألف حرف ساكن , والصحيح أنها رمز للفتحة الطويلة .

وأشار ابن يعيش إلى ما ذكره الأزهري حين شرح قول سيبويه: " ولقد جدَّ في الهرب من التقاء الساكنين من قال دأبّة وشأبّة ومن قرأ ولا الضألين ولاجأن ..." إذْ قال : " اعلم أن من العرب من يكره اجتماع الساكنين على كل حال,وإنْ كانا على الشرط الذي يجوز فيه الجمع بين ساكنين من نحو دابّة وشابّة فيحرّك الألف لالتقاء الساكنين فتقلب همزة لأن الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يحتمل الحركة , فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف إليه وهو الهمزة . والهمزة حرف جلد يقبل الحركة ... وقوله " ولقد جدَّ في الهرب " يريد بالغ في الفرار من التقاء الساكنين لأنه قلب الحرف الذي لا يمكن تحريكه إلى حرف يمكن تحريكه ثم حرّك ..." ويمثّل على ذلك بقول الشاعر :

وبَعْدَ بياض الشَيْبِ مِنْ كلّ جانب علاِ لّمتي حتّى اشعألَّ بهيمها .

يريد اشعالَّ (١).

ويرى هنري فليش أنّ صيغة (افعالَّ) تحوّلت إلى (افعأَلَّ) لوجود مصوّت طويل في المقطع المقفل ولتحاشيه, قسّمَ المصوّت الطويل إلى مصوتين قصيرين عن طريق إقحام الهمزة (٢). وذهب مذهبه رمضان عبد التواب إلا أنه يرى أن السبب في نشوء (افعألَّ) هو الشعر الذي لا يسمح بوزن (افعالَّ) كالنثر , لعدم قبوله

---

(١) ابن يعيش , شرح المفصل : ٩ / ١٢٩ – ١٣٠ .

(٢) هنري فليش , العربية الفصحى : ١٥٣ .

(٣) انظر : رمضان عبد التواب , فصول في فقه العربية : ١٩٥ وإسماعيل عمايرة , معالم دارسة في الصرف : ٦٨ – ٦٩ وفوزي الشايب , أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية (رسالة دكتوراه) : ١٢١ .

(٤) رمضان عبد التواب , فصول في فقه العربية : ١٩٧– ١٩٨ .

المقطع (ص ح ح ص) الموجود فيه إلا في الوقف , فتخلّصوا منه بإقحام الهمزة , وتجزئة هذا المقطع إلى مقطعين , هما : (ص ح) و (ص ح ص) (٣).ثم انتشرت هذه الصيغة المهموزة الناشئة بفعل الشعر لتستعمل فيما بعد في النثر أيضاً .

ولعل الصيغ التي على زنة (افعألّ) ناشئة عن هذا الطريق,فالأصل المفترض لها هو (افعالّ)الذي يعود إلى فعل ثلاثي يشترك معه في المعنى العام,حتى لو لم يُستعمل هذا الأصل إلى جوار الصيغة الناشئة منه(٤).

وإذنْ , لعل صيغة (افعالّ) هي الأصل المفترض , ونظراً لاحتوائها على المقطع المستثقل (ص ح ح ص) لجأت العربية إلى التخلص منه إما بتقصير الحركة الطويلة (نواة المقطع) ليتشكل المقطع (ص ح ص) , فتصبح (افْعَلّ) , أو بإقحام الهمزة ليتجزأ هذا المقطع إلى المقطعين : (ص ح) و (ص ح ص) .

ذكرتُ سابقاً , أمثلةً ليست بالقليلة تثبت أنّ (افْعَلّ) و (افْعالّ) قد تستخدمان في غير الألوان والعيوب , ويؤيد ذلك أيضاً مجيء بعض الأفعال التي على زنة (افْعَلّ و افْعالّ و افْعَأَلّ) المشتقة من فعل ثلاثي واحد – في غير الألوان والعيوب , واشتراكها جميعاً في الدلالة على معنى واحد , ومن أمثلة ذلك في معجمي السرقسطي وابن القطاع :

– اسمأدَّ الرجل : إذا انتفخ من الغضب , واسمأدَّ الشيء ذهب (١), وجاء في لسان العرب "... اسْمَدَّ واسمأدَّ واسْمادَّ من الغضب كذلك , واسمادَّ الشيء : ذهب ... اسمعدَّ الرجل واسْمَغَدَّ إذا امتلأ غضباً , وكذلك اسْمَعَطّ واشمعطّ." (٢) فكلّها تطورات للفعل (اسمادَّ) بتقصير فتحة الميم لينشأ الفعل (اسْمَدَّ) أو بإقحام الهمزة لينشأ الفعل (اسمأدَّ) أو بالمبالغة في تحقيق الهمزة لينشأ الفعل (اسمعدَّ) , وبتعاقب العين مع الغين ينشأ الفعل (اسْمَغَدَّ) , وبتعاقب الدال مع الطاء في (اسمعدَّ) ينشأ الفعل (اسمعطَّ) وبتعاقب السين مع الشين ينشأ الفعل (اشمعطَّ) . وربما تطور الفعل (اسْمَدَّ) بمطل فتحة الميم لينشأ الفعل (اسْمادَّ) ثم نشأ الفعل (اسمأدَّ) بإقحام الهمزة في (اسمأدَّ) للتخلّص من المقطع (ص ح ح ص) .

– اصْمأكَّ الرجل بمعنى انتفخ من غضبٍ أو بِطْنة (٣) . وذكر ابن القطاع " : و (اصمأكَّ) اللبن غُلظ واشتدّ , وصار مثل الجبن , و (اصماكّ)

انتفخ من الغضب وبالضاد أيضاً كذلك , و (اصمأكّت) الأرض اخضرّت , وبالباء أيضاً كذلك "(٤), فهو من الفعل الثلاثي (صمك) , ذكره الأزهري في الرباعي " وقال : أصل هذه الكلمة وما أشبهها ثلاثي , والهمزة فيها مجتلبة ... واصماكَّ الرجل : غضب , والهمزة فيهما لغة " (١).فنلاحظ أن من معاني (اصْمَأَكَّ) ما يدل على لون نحو : اصْمَأَكَّت الأرض بمعنى اخضرت , ومنها ما لا يدل على ذلك نحو : اصْمَأَكَّ الرجل بمعنى غضب , و اصْمَأَكَّ اللبن بمعنى غلظ واشتدّ .

– اضفأدّ الرجل : إذا امتلأ بُدْناً ولحماً , وشحماً ... واضفادّ الرجل : إذا انتفخ من الغضب (٢), ووردَ في لسان العرب : " ... ورجل ضَفَنْدَد : كثير اللحم ثقيل مع حُمْق , وضَفِدَ واضْفأَدَّ : صار كذلك , وجعل ابن جني اصْفأدَّ رباعياً ... وقال الأصمعي : اضفأدَّ الرجل يَضْفَئِدُّ اضْفِئْداداً إذا انتفخ من الغضب ..." (٣), ويشترك معه في المعنى الفعل (اضمأَدَّ) ولعل أحدهما متطور عن الآخر , فتعاقب الميم والفاء واردٌ في العربية , والمُضْمَئِدّ هو البادن من الرجال (٤), وجاءَ في لسان العرب :" يقال : ضَمِدَ عليه إذا غَضِبَ عليه ... وعَبْدٌ ضَمَدة : ضَخْمٌ غليظ..." (٥) , وعدم ذكْر الفعل (اضمأدّ) في لسان العرب قد يؤيد أن الأصل هو (اضفأدَّ) .

---

(١) السرقسطي : ٣ / ٥٧٦ – ٥٧٧ .
(٢) ابن منظور (سمد) ٣ / ٢٢٠.
(٣) السرقسطي : ٣ / ٤٣٦ .
(٤) ابن القطاع : ٢ / ٢٦٥ .

(١) ابن منظور (صمك) ١٠ / ٤٥٨ .
(٢) السرقسطي : ٢ / ٢٤٣.
(٣) ابن منظور (صفد) ٣ / ٢٦٥ .
(٤) السرقسطي : ٢ / ٢٤٣ .
(٥) ابن منظور (ضمد) ٣ / ٢٦٥ – ٢٦٦ .
(٦) جعفر عبابنة , في حديث خاص

ج. افْعَأَلَّ غير المتطوّرة عن افْعالَّ , والتي ربما نشأ عنها افْعَعَلَّ و افْعَهَلَّ :

قد يُفسّر عدم تطوّر بعض الأبنية التي على زنة (افْعَأَلَّ) عن(افْعالَّ) اعتماداً على حقول المعنى,فالحقول الدلالية لـ (افْعَأَلَّ) هي غير الحقول الدلالية لـ (افْعالَّ) و(افْعَلَّ) , إذ تدل عموماً تلك الأبنية التي على زنة (افْعَأَلَّ) وما يتطوّر عنها من أبنية على زنة (افْعَعَلَّ) و (افْعَهَلَّ) – على أفعال حركية , فيما تدل أبنية (افْعالَّ) و(افْعَلَّ) على أفعال غير حركية Static على الأغلب (٦).

وقد وردَ في معجمي السرقسطي وابن القطاع أمثلة على صيغة افْعَأَلَّ غير المتطوّرة عن افْعالَّ , منها :

اجْفَأَلّ القوم , انهزموا (١), من الفعل الثلاثي (جفل) " وأجْفَلَ القوم أي هربوا مسرعين ..." (٢). واخبأنَّ بمعنى تقبضّ (٣), من الفعل خَبَنَ , فالخَبْن هو التقليص , ورجلٌ خُبُنّ : مُتَقَبِّض ككُبُنّ (٤). و " اكبأنّ الرجل : إذا سخط أيضاً , ولَقِسَتْ نفسُهُ. وقال الأصمعي : اكبأنَّ عن فلان : إذا انقبض عنه "(٥) . وربما كان أحدُ الفعلين (اخْبَأنَّ) و (اكْبَأَنَّ) متطوراً عن الآخر, فتعاقب الخاء والكاف واردٌ في العربية . و(ارْمأزّ) بمعنى تحرّك (٦), من الجذر الثلاثي (رمز) , إذ جاء في لسان العرب : "وارتمز الرجل وترمّز : تحرك . وإبل مراميز : كثيرة التحرك ..." (٧).

كما وردَ فيهما أمثلة على صيغة افْعَعَلَّ المتطوّرة بدورها عن افْعالَّ , فقد يبالغ في تحقيق همزة (افعألَّ) فتبدل عيناً , وإبدال الهمزة عيناً مما تقرّه القوانين الصوتية , وهو كثير في العربية , تمثله ظاهرة العَنْعَنة (٨) . وقد أوردَ أبو عثمان السرقسطي وابن القطاع أمثلة عدّة على صيغة (افْعَعَلَّ) , منها :

- (اجْلعدَّ) , قيل : ضربه فاجلعدَّ أي سقط على قفاه (٩). لعله من الجذر الثلاثي (جلد) فالعلاقة المعنوية واضحة بينهما , فالَجلْد هو الضَرْب , وجُلِدَ به بمعنى رُمي إلى الأرض (١٠) .

---

(١) ابن القطاع : ١ / ٢٠١.

(٢) ابن منظور (جفل) ١١ / ١١٤ .

(٣) ابن القطاع : ١ /٣٣٥ .

(٤) ابن منظور (خبن) ١٣ / ١٣٧ .

(٥) السرقسطي : ٢/ ٢٠٢ وانظر : ابن منظور (كبن) ١٣ / ٣٥٣ .

- و(ا قرعبّ) الرجل .بمعنى تقّبض في جلسته (١١), من الجذر الثلاثي (قرب) , فالتقبضّ فيه تقريب .

- (اقْلَعَفَّ) الطين يبس وتَشقَّق (١), من الجذر الثلاثي (قلف) , إذْ وردَ في لسان العرب : " وقَلَفَ الشجرة : نزعَ عنها لحاءها ... والقليف أيضاً يابس الفاكهة ... قال ابن بري : القِلَّف يابس طين الغِرْيَنْ "(٢).

- (اقْمَعَطَّ) الرجل .بمعنى تقبّض في جلسته (٣), يشترك مع الجذر الثلاثي (قمط) في المعنى العام وهو التقَبّض , فمما جاءَ في مادة (قمط) : " ولا يكون القَمْط إلا شدّ اليدين والرجلين معاً "(٤) .وغير ذلك من الأفعال التي يمكن إعادتها إلى جذور ثلاثية تشترك معها في المعنى العام (٥).

وقد تُسهّل الهمزة في صيغة (افْعأَلَّ) بعض الشيء , فتبدل هاءً . وإبدال الهمزة هاءً واردٌ في العربية ,ومن الأمثلة على ذلك في معاجم الأفعال :

- اجْرهَدَّ في السير .بمعنى ذهب قاصداً واجْرهَدَّ , الطريق : استمرّ , واجرهدَّ الليل : طال (٦). من الفعل الثلاثي (جرد) , إذْ جاءَ في مادة (جرد) : " وانجردَ به السير : امتدَّ وطالَّ , وإذا جدَّ الرجل في سيره فمضى يقال : انجردَ فذهب ..." (٧).

---

(٦) السرقسطي : ١١٤/٣.

(٧) ابن منظور (رمز) ٥ / ٣٥٧ .

(٨) انظر : فصل الإبدال الصوتي التاريخي من هذه الدراسة .

(٩) ابن القطاع : ١ / ٢٠١ .

(١٠) ابن منظور (جلد) ٣ / ١٢٥, ويرى عمر يوسف عكاشة أنه تحريف لـ (اجلعبَّ) من الفعل جعب .بمعنى ضرب به الأرض , بزيادة اللام (انظر : عمر يوسف , الفعل الرباعي في لسان العرب , ص١٦١ وانظر : ابن منظور (جعب) ١ / ٢٦٧ .

(١١) السرقسطي : ٢ / ١٣٧ وابن القطاع : ٣ / ٧١ .

(١) ابن القطاع : ٧١/٣.

(٢) ابن منظور (قلف) ٩ / ٢٩١ .

(٣) ابن القطاع : ٣ / ٧١ .

(٤) ابن منظور (قمط) ٩ / ٣٨٥ .

(٥) انظر : رمضان عبد التواب , فصول في فقه العربية , ص ٢١٥ – ٢١٩ , وهذ الأمثلة منها ما يدل على لون ومنها ما يدل على غير ذلك .

(٦) السرقسطي : ٢ / ٣١٩ .

(٧) ابن منظور (جرد) ٣ / ١١٧ .

(٨) السرقسطي : ٣ / ٥٧٥ .

(٩) ابن منظور (سجر) ٤ / ٣٤٦.

(١٠) السرقسطي : ٢ / ١٣٦.

(١١)ابن منظور (قمد) ٣ / ٣٦٨ .

(١٢) انظر : رمضان عبد التواب , فصول في فقه العربية , ص ٢٢٠ – ٢٢٤ .

- اسْجهرَّ الشيءُ : إذا تلهّب , ويقال وقودٌ مُسْجهِرّ (٨) , ولعله من الفعل الثلاثي (سجر) و " سَجَرَ التَّنُّور يَسْجُرُه سجْراً : أوقده وأحماه ..." (٩).
- (اقمهدَّ) الرجل بمعنى رفع رأسه (١٠), قد يكون من الفعل الثلاثي (قمد) , وقد صرَّح بزيادة الهاء ابن منظور , في قوله : " واقْمَهَدَّ البعير : رفع رأسه , بزيادة الهاء "(١١), وغير ذلك (١٢).

وقيل : " كلُّ فعلٍ رباعيّ ثُقّل آخره , فإن تثقيله معتمد على حرف من حروف الحَلق " (١). نحو : اذْلعبَّ بمعنى انطلق في جدّ (٢) ,وازْمَهَرَّ بمعنى ضحك (٣), واجْلحمّوا بمعنى اجْتمعوا (٤), واجذأرَّ بمعنى اقْشَعَرَّ (٥)... وقد سجّل أبو عثمان السرقسطي وابن القطاع في معجميهما أمثلة رباعية الأصل – كما يرى معظم علماء العربية القدامى – مُضعفة الآخر , خلت من أي حرف من حروف الحلق , نحو : اسبطرَّت الخيل : إذا ما أسرعت وتوسّعت , واسبكرّ الشعر : إذا طال واسترخى , واسبكرّ شبابُه : إذا امتدَّ وحُسن ولان و " اسْمَدَرّت عينه إذا غَشِيها غِشاوة من مرض أو جوع , أو غير ذلك " (٦), واشفَتَرَّ القوم بمعنى تفرّقوا (٧).

وتلك الأمثلة تردّ تعميم القدماء أن " كل فعل رباعي ثُقّل آخره , فإنَّ تثقيله معتمد على حرف من حروف الحلق " وتجعله منطبقاً على معظم الأفعال الرباعية المثقّلة الآخر , وليس على كلها .

---

(١) ابن منظور (ذلعب) ١ / ٣٨٨ .
(٢) السرقسطي : ٣ / ٦١١ .
(٣) ابن القطاع : ٢ / ٨٠ .
(٤) السرقسطي : ٢ / ٣٢٠ .
(٥) المصدر السابق : ٢ / ٣٢٠.
(٦) نفسه : ٣ / ٥٧٦ .
(٧) نفسه : ٢ / ٤٠٨ .

الفصل العاشر

الشذوذ الصرفي في معاجم الأفعال

ثمّة ظواهر بارزة في اللغة العربيّة جانبت القياس اللغوي، فاستدعت التأمّل والتأويل ، منها ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي، ويسعى هذا الفصل إلى دراسة بنى الأفعال، الواردة في معاجم الأفعال، الخارجة على أقيسة الصرف العربي، ودراسة بعض الألفاظ الشاذّة الناجمة عن تغيّر هذه البنى، ولعلّ هذا الشذوذ يعبّر عن صراعٍ بيْن تلك البنى اللغويّة، في الواقع الاستعمالي الفعلي للغة، وربمّا كان بعضه من الركام اللغوي، الذي أشار إليه بعض العلماء ، أو مما نجم عن تركّب اللغات وتداخلها، الذي ذكره ابن جنّي.

واعتماداً على المادّة المتوافرة في المعاجم المدروسة ، يمكن تقسيم هذا الفصل على النحو الآتي:

١- شواذ أبواب الفعل الثلاثي.

٢-شواذّ المشتقّات .

٣-الأفعال المماتة.

١. شواذ أبواب الفعل الثلاثي :

للفعل الثلاثي المجرّد باعتبار ماضيه ثلاثة أبواب : (فعَل , وفعُل , وفعِل) . وله باعتبار الماضي مع المضارع , وفقاً للقسمة العقلية , تسعة أبواب , فعين المضارع مع كل باب مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة . وهذه الأبواب هي :

١. فعَل – يفعُل ٢. فعَل – يفعِل ٣ . فعَل – يفعَل .

٤. فعُل – يفعُل ٥. فعُل – يفعِل ٦ . فعُل – يفعَل .

٧. فعِل – يفعُل ٨. فعِل – يفعِل ٩. فعِل – يفعَل .

ويرى علماء العربية أن المستعمل منها ستة أبواب فقط , هي : فعَل – يفعَل وفعَل – يفعُل وفعَل – يفعِل وفعُل – يفعُل وفعِل – يفعَل وفعِل – يفعِل (١) . إلا أنه ورد في معاجم الأفعال أمثلة تظهر أنها جميعها – ما عدا باب (فعُل – يفعِل) – كانت في فترة ما مستخدمة , ثم قلّ استخدام البابين : فعُل – يفعَل , و فعِل – يفعُل , إلا أن اللغة احتفظت ببقايا لفظية تُثبت استخدامهما .

١. البابان (فعَل – يفعُل) و (فعَل – يفعِل) , وهما مستخدمان بكثرة في اللغة العربية , نحو : أكل يأكُل ونَصَر ينصُر , وقال يقول , وغزا يغزو, ومدَّ يَمُدّ , على الباب الأول .

وضَرب يضرِب وأسَر يأسِر , ووقف يقِف , وباع يبيع , ورمى يرمي , ووقى يقي , وروى يروي , وفرَّ يفِرُّ , على الباب الأخير .

ويحدد مضارعهما " ما أتت به الرواية وجرى على الألسنة ... وإذا جاوزْتَ المشهور فأنت بالخيار , إنْ شئت قُلْت : يَفْعِل ويَفْعُل , هذا قول أبي زيد " (٢) ويرى ابن عصفور أنه يجوز الأمران سُمعا أو لم يُسْمعا(٣). ويقول أبو جعفر اللبلي : " وليس الضم أولى من الكسر , ولا الكسر أولى من الضم , إذ قد ثبت ذلك كثيراً"(٤) . ويذكر الجرمي: " سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يروي عن أبي عمرو بن العلاء , قال : سمعتُ الضم والكسر في عامة هذا الباب " (٥).

وقد سجلت معاجم الأفعال أمثلة جاءت بالضمّ والكسر لعين مضارعها, منها : أجَم يأجُم بمعنى كره , وحتَن يومُنا يحتُن : إذا اشتدّ حرّه , وخَلَد الرجل يخلُد , وزقا الطائر يزقو ويزقي بمعنى صاح (١),وسرَى ثوبَه يَسْروه ويَسْرِيه بمعنى جرّده (٢), وعَرَت أنْفَه يَعْرُته بمعنى دلكه (٣), وعتَل يعْتُل (٤),وعضَده يعضُده, بمعنى أعانه (٥), وغَرَفْتُ البعير أغْرُفه (٦), وهذا المُبَرْسَمُ يهذو ويَهْذي, إذا قال ما لا يُعْقل (٧), وغارهم يغورُهم ويغيرهم :مارَهم (٨), وصار الشيءَ يصوره ويصيره : أماله (٩),وناع الغصْنُ ينوع وينيع بمعنى تمايل (١٠).

وما جاء من المضاعف على (فعَل) فمضارعه (يفعِل) إن كان لازماً ,و(يفعُل) إنْ كان متعدياً ,وشذّ من ذلك:حبّ الشيءَ يَحبُّه على (يفعِل) وقياسُه(يفعُل) لأنه متعد (١١). وشذَّ أيضاً: ألَّ يَؤُلُّ , بمعنى بَرَق (١٢), وحبَّ الفرس يُحُبُّ خبيباً وخَبَّا,وخَبَباً وهو دون الإسراع (١٣) , ورتّ يرُتُّ , والرُّتّة كالحُبْسة في اللسان (١٤),

---

(١) الحملاوي , شذا العرف في فن الصرف : ٢٩ .

(٢) ابن القوطية : ٢ وانظر : السرقسطي : ١ / ٦٠ وابن القطاع : ١ / ١٠ –١١ والفيومي , المصباح المنير :٢/ ٩٤٥ – ٩٤٦ . وأبو زيد هو سعيد بن أوس الأنصاري , أحد كبار أئمة اللغة , توفي سنة (٢١٥ هـ) , انظر : ابن خلكان , وفيات الأعيان : ٢ / ٣٧٨ – ٣٨٠ .

(٣) ابن عصفور , الممتع الكبير في التصريف : ١٢١ , ويجوز الأمران إلا ما كان عينه أو لامه أحد حروف الحلق , فإنه على يفعَل إلا ما شذّ ... (انظر ذلك في الصفحات القادمة)

(٤) أبو جعفر اللبلي , بُغية الآمال في معرفة النطق بجميع مستقبلات الأفعال : ٦٧ .

(٥) المصدر السابق : ٦٨ .

(١) السرقسطي (أجم) ١ / ١٠٢ , و (حتن) ١ / ٣٩٣ , و (خلد) ١ / ٤٣٦ , و (زقا) ٣ / ٤٨٣.

(٢) ابن القوطية : ٢٣٥ والسرقسطي : ٣/ ٥٦٦ وابن القطاع : ٢ / ١٦٤.

(٣) السرقسطي : ١ / ٢٩٣ .

(٤) المصدر السابق : ٣ / ٤٧٤ وانظر : الأستراباذي , شرح شافية ابن الحاجب : ١ /١١٨ ,

(٥) ابن القطاع : ٢ / ٣٦٥ .

وزمَّ العصفور يَزُمّ إذا صوّت, وزمَّ النباتُ طلَع , والبعير:رفع رأسه من ألم أصابه (١٥),وطلَّ الدم يَطُلّ(١٦). وجميعها على (يفعُل) وقياسُها (يفعِل) , لأنها لازمة .

وأما ذَرَّت الشمس , بمعنى أنارت غيرها,وهبّت الريحُ فإنهما أتتا على(يَفْعُل) , لأن فيهما معنى التعدية (١٧).

وسجلت معاجم الأفعال أمثلة جاءت باللغتين: الضمّ والكسر, أي على (يفعُل) وقياسُها (يفعُل) لأنها متعدية,منها علّه يعُلّه , ونمّ الحديث ينُمّه,وهرَّه يهُرّه بمعنى كرهه, وشدَّه يشُدّه (١) ,وبتَّ الشيءَ يبُتّه (٢),وأدّت الداهية تؤُدّ وتئِدُّ: إذا أصابت(٣), وعشَّ العطاءَ , بمعنى قلَّله يعُشّ ويعِشّ (٤),ولعل الذي سهّل مجيئها بالوجهين لزومها مرّة وتعديها أخرى .

ووردَ أيضاً في معاجم الأفعال أمثلة جاءت باللغتين: الضم والكسر ,أي على(يفعُل) وقياسُها (يفعِل) , لأنها لازمة , منها : شحَّ يشُحّ , وجدَّ في الأمر يجُدّ,وجمَّ الفرسُ يجُمّ , وشبَّ يشُبّ,وفحّت الأفعى تفُحّ , وترّت اليد تتُرُّ بمعنى غَلُظَتْ ,وطرّت المرأة تطُرّ بمعنى تدلّلت في المشي,وصدّ عنّي يَصُدّ , وحدَّت المرأة تحُدّ , وشذّ يشُذّ, ونسَّ ينُسّ بمعنى يبس , وشطّت الدار تشُطّ ,ودرّت الناقة تدُرّ(٥).ومنها أيضاً: أفَّ يؤُفُّ:إذا تأفّف من كَرْب أو

---

(٦) غرفت البعير : " إذا ألقيت في رأسه الفُرْغة , وهي الحبل المعقود بأنشوطة تلقى في عنق البعير , لغة يمانية" (السرقسطي : ٢ / ١٦).

(٧) ابن القوطية : ١٨٧ والسرقسطي : ١ / ١٨٦ وابن القطاع : ٣ / ٣٦٦ – ٣٦٧ .

(٨) مارَهم : يأتيهم بالميرة , أي المؤنة (ابن القوطية : ٢٩).

(٩) المصدر السابق : ٢٤٤ وانظر : ابن قتيبة , أدب الكاتب : ٣١٣ .

(١٠) السرقسطي : ٣ / ٢٣٦ .

(١١) ابن القوطية : ٢ وابن القطاع : ١ /٩ وانظر : ابن عصفور , الممتع الكبير في التصريف : ١٢٢ , و الاستراباذي , شرح شافية ابن الحاجب : ١ /١١٦.والفيومي , المصباح المنير :٢/ ٩٤٢ , والسيوطي , المزهر : ٢ / ٧٣ , ٩٥ .

(١٢) ابن القوطية : ٢, والسرقسطي : ١ / ٥٨ وابن القطاع : ١ /١٠ وانظر الفيومي , المصباح المنير :٢/ ٩٤٢.

(١٣) ابن القطاع : ١ /٣١٥ , وانظر : ابن منظور (خبب) ١ / ٣٤١ .

(١٤) ابن القطاع : ٢ / ٥٧ .

(١٥) المصدر السابق: ٢ / ١٠١ .

(١٦) نفسه : ٢ / ٣٠٣ وانظر : الفيومي , المصباح المنير : ٢/ ٩٤٢ والسيوطي , المزهر : ٢ / ٤٠ , وتعني بطُل .

(١٧) ابن القوطية : ٢ والسرقسطي : ١ /٥٨ وابن القطاع : ١ /١٠ والسيوطي , المزهر : ٢ / ٩٥ , ويضيف الفيومي في (المصباح المنير :٢/ ٩٤٢) مدَّ النهرُ , إذا زاد , يَمُدّ لأن معناه ارتفع فغطى مكاناً مرتفعاً عنه .

(١) ابن القوطية : ١ , والسرقسطي : ١ /٥٧ وابن القطاع : ١/ ٩ وانظر : السيوطي , المزهر : ٢ / ٩٤ – ٩٥ .

(٢) ابن القوطية : ١ – ٢ , وابن القطاع : ١ /٩ وانظر : ابن قتيبة , أدب الكاتب : ٣١٢ والفيومي , المصباح المنير :٢ / ٩٤٣. والسيوطي , المزهر : ٢ / ٧٣ , ٩٥ وبحرق اليمني , فتح الأقفال : ٧٩ .

(٣) السرقسطي : ١ / ٨٩ وانظر : ابن منظور (أدد) ٣ / ٧١ .

(٤) ابن القطاع : ٢ / ٣٨٥ .

ضَجَر (٦), وذكر ابن منظور أيضـــاً يئِفُّ (٧),وخرَّ الشيءُ يخُرّ بمعنى سقط ,وخنَّ الصوت يخُنّ كالغُنَّة (٨),وطمَّ البحرُ يطُمُّ بمعنى علا , وطمّ الفرس يطُمّ بمعنى جرى جرياً سهـــلاً (٩), وعزَّ يعُزُّ ,صار عزيزاً (١٠),وعلَّ يعُلّ ,بمعنى مرض (١١), وغضَّ الشيء يغُضّ,صـــار طريـــاً ناعماً (١٢), وهشَّ الخبزُ صار هشّاً , يهُشّ (١٣).

٢. فعَل – يفعَل :

(٥) ابن القوطية : ٢ والسرقسطي : ١ / ٥٨ , إلا أنه ذكر (شجَّ يشُجّ) مكان (شجَّ يشِجّ) , وجعل الفعل (صدّعني يصُد) مع الأفعـــال المتعديـــة , وأيـــده في ذلـــك الحملاوي في (شذا العرف في فن الصرف : ٣٢) فذكر : صدَّه يصُدّه . وتبع ابن القطاع ابن القوطية : ١ / ٩ – ١٠ , وانظر : الفيومي , المصـــباح المـــنير٢/ ٩٤٢ وأضاف أيضاً أفعالاً أخرى , وانظر : السيوطي , المزهر : ٢ /٩٥ , وبحرق اليمني , فتح الأقفال : ٨٦ –٨٨ .

(٦) السرقسطي : ١ /٨٩.

(٧) ابن منظور : (أفف) ٩ / ٨.

(٨) ابن القطاع : ١ / ٣١٦ .

(٩) انظر : ابن القطاع : ٢ / ٣٠٥ , وقد ذكرها بالضم فقط , أما ابن القوطية فذكر : طمَّ الفرس يطُمُّ (ص : ٢٦٨) وجاء في لسان العـــرب (طمـــم) ١٢ / ٣٧٠, ٣٧١) طمّ الماءُ يطِمّ وطمّ الفرسُ يطُمّ , وهذا يظهر دور حركة عين المضارع في التمييز بين المعاني .

(١٠) ابن القطاع : ٣ / ٣٨٤ – ٣٨٥ وانظر : ابن منظور (عزز) ٥ / ٣٧٤ – ٣٧٥ .

(١١) السرقسطي : ١ / ٢٠٨ .

(١٢) السرقسطي : ٢ / ٢٦, وجاء أيضاً : غَضَّت تغِضّ و تغَضّ (ابن القوطية : ١٩٦ وابن منظور (غضض) ٧ /١٩٦) فتكون الأولى من باب ضَرَبَ , أي (غَضَـــضَ) , والثانية من باب سمِع , أي (غضِص) , ويرى بعضهم أن الثانية من (غَضَضَ) (ابن منظور (غضض) ٧ / ١٩٧) فتكون على (فعَل يفعَل) وهذا نادرٌ .

(١٣) ذكر الضم ابن القطاع : ٣ / ٣٥٧ , وذكر الكسر ابن منظور (هشش) ٦ / ٣٦٤.

(١) منهم مثلاً : ابن القوطية : ٢ وابن القطاع : ١ /١١ والثمانيني , شرح التصريف : ٤٣٣ وبحرق اليمني , فتح الأقفال : ١٠٦ . إلا أن الحملاوي يـــرى أن كل ما كانت عينه مفتوحة في الماضي والمضارع فهو حلقي العين أو اللام , وليس كل ما كان حلقياً كان مفتوحاً فيهما (شذا العرف : ٣٠) ويقول اللبلي : " فإن كان لامه أو عينه حرفاً من حروف الحلق , فإن الباب فيه الفتح , وقد جاء على خلاف ذلك " فقد ورد في اللغة أفعال جاء فيها الوجهان : الكسر والفتح , وأخرى استعملت فيها الأوجه الثلاثة : الكسر والفتح والضم (انظر : اللبلي , بُغية الآمال : ٧١ – ٧٣)

(٢) من قواعد الفعل الواوي الفاء أن تحذف الواو في مضارع باب (فعَل يفعِل) وأن تبقى في مضارع باب (فعَل يفعَل) والفعل (وضَعَ) مضارعه (يَضَع) , فإما أن يكون أصله (يَوْضَع) وحذفت الواو شذوذاً ليصبح (يَضَع) أو يكون أصله (يَوْضِع) وحذفت منه الواو , ثم فتحـــت الضـــاد , لأنه حلقي العين , وكذلك الأمر في : وَذَأْتُه أَذأُه بمعنى كرهته (السرقسطي : ٤ / ٢٨٣)

(٣) الفيومي , المصباح المنير :٢/ ٩٤٦ .

(٤) عبد الصبور شاهين , المنهج الصوتي للبنية العربية : ٦٦.

(٥) يجعل الفيومي صوت القاف معها (انظر : المصباح المنير : ٢/ ٩٤٥).

(٦) إبراهيم أنيس , في اللهجات العربية : ١٧٠ .

(٧) الاستراباذي , شرح شافية ابن الحاجب : ١ / ١١٩.

(٨) بمعنى مال , وفي مستقبله ثلاث لغات : الفتح على القياس لتميم , والضمّ لقيس , والكسر لغيرهم (السرقسطي : ٢ / ٢٨٧) وانظر : ابن قتيبـــة : ٣١٣.

(٩) وبالفتح أيضاً على القياس , انظر : ابن القوطية : ٢ وابن القطاع : ١ /١١ وابن قتيبة :٣١٣.

(١٠) بمعنى نكَح, انظر : السرقسطي : ٣ /٦٠٠.

يقرر علماء العربية أن ما جاء من باب (فعَل)حلقي العين أو اللام ,فإنه يُؤْثر الفتحة على عين مضارعه (١) , نحو قرأ – يقرأ , ونَهَضَ ينْهَض , وفتح يفتح , وسأل يسْأَل , وذبَح يَذْبحَ ووضعَ يضَع (٢), إلحاقاً بالأغلب , و للتخفيف (٣), والاقتصاد في الجهد النطقي (٤). وأصوات الحلق هي :الهمزة ,والهاء,والعين,والحاء ,والغين , والخاء , (٥), وكلها " بعد صدورها من مخرجها الحلقي تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم , فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم , ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعاً , تلك هي الفتحة "(٦). و لم يفعلوا ذلك مع حلقي الفاء :" إما لأن الفاء في المضارع ساكنة فهي ضعيفة بالسكون(ميّتة),وإما لأن فتحة العين إذن تبعد من الفاء , لأن الفتحة تكون بعد العين التي بعد الفاء "(٧) ,وقد جاء على خلاف ذلك أفعال وردت بالضمّ,وأخرى بالكسر .

ومما جاءَ في معاجم الأفعال على باب (فعَل يفعُل) وقياسه (فعَل يفعَل),لأنه حلقي العين أو اللام ما يأتي:جنَح يجنُح (٨), ودبَغ يدبُغ (٩), وذعَج يذعُج (١٠),

ورعَف يرعُف (١), ورهدَ يرْهُد , بمعنى سحق سحقاً (٢), وزعَم يزعُم (٣), وسَحْوتُ الطين عن الأرض أسحاه , وأسْحُوه (٤), وشحا فاه يَشْحوه , ويشْحاه , بمعنى

---

(١) بمعنى جرى , ورعُف لغة , وعليه يكون الشذوذ في : رَعَف يرعُف , لأنه حلقي العين , وقياسه يرعَف , كما أن(رعُف يرعُف) على باب (فعُل يفعُل) نادر (السرقسطي : ٣/ ٨٧) .

(٢) السرقسطي : ٣ / ٨٦ .

(٣) ابن القطاع : ٢ /٨٧.

(٤) بمعنى جرّدته عنها بالمسْحاة , وقيل : سَحَيْته أسحاه (السرقسطي : ٣ / ٥٢٩ , وذكر ابن القطاع (٢ / ١٦٩) للفعل ثلاث لغات : أسحَى وأسحو , وأسحِي .

(٥) ابن القوطية : ٢٤٠ و السرقسطي : ٢ / ٣٩٨.

(٦) وجاء مضارعه أيضاً بالفتح على القياس , و بالكسر شذوذاً , انظر : ابن القطاع : ٢ / ٢٤٦ و ابن قتيبة , أدب الكاتب : ٣١٣ .

(٧) ابن القوطية : ٣٠٠ والسرقسطي : ٤ / ٢١٢ وانظر : ابن قتيبة , أدب الكاتب : ٣١٣.

(٨) ابن القطاع : ٣ / ١٥٧ .

(٩) السرقسطي : ٣ / ١٢٨ , ١٧٤ .

(١٠) المصدر السابق : ٣ / ٢٠٨ , وكذلك نحِل ينحِل , وهما لغتان .

(١١) ابن القطاع (نبع) و (نبغ) ٣ / ٢٣٩) وبالكسر أيضاً فيهما (ينبِع ويَنْبِغ) و بالفتح على القياس (ينبَع ويَنْبَغ) .

(١٢) السرقسطي : ٣ / ٢٠٣

(١٣) ابن القطاع : ٣ /٢٣٦.

(١٤) السرقسطي : ٣ / ٢٠٨.

فتحه (٥),وصبَغ يصبُغ (٦), ومحا الله الذنوب يمحوها ويمحاها (٧), ومَخَض اللبن يمخُضه, ويمخَضه على القياس أيضاً (٨). ونحوْتُ بصري إليه أنْحوه وأنحاه (٩), ونحَل القول ينحُل (١٠),ونَبَعَ الماء يَنْبُع ,ونَبَغ الشيء من الشيء يَنْبُغ بمعنى خرج (١١),ونتعَ ينْتُع (١٢),ونَعَج اللون يَنعُج بمعنى حسُن وخَلُص (١٣) ونفَخ ينفُخ (١٤), ونهَك ينهُك(١٥), وهنأْتُ الإبل أَهْنُؤُها بمعنى طليتها بالهناء, وهو القطران ," قال أبو عثمان عن بعضهم : وليس في الكلام يفعُل مهموزاً مما ماضيه فعَل غير هذا "(١٦).

وقد علل ابن جني مستقبلات هذه الأفعال بتداخل اللغات , وتبعه في ذلك العيني (١٧),ويرى إبراهيم أنيس أنه " ينتمي إلى لهجة أخرى غير اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم "(١٨), فيما عدّه آخرون من علماء العربية المحدثين من باب التراكم اللغوي , أو البقايا اللغوية من نظام لغوي مندثر(١٩).

ومما جاء في معاجم الأفعال على باب (فعَل يفعِل) وقياسه (فعَل يفعَل) , لأنه حلقي العين أو اللام , ما يأتي :

تَخَم يتْخِم (١), وجنَح يجنِح (٢), وذَعج يذْعِج بمعنى نكح (٣),ورضَع يَرْضِع , وقخَز يقْخِز , وزحَر يزحِر (٤), وصبَغ يصبْغِ (٥), وصأى يَصْئي بمعنى صوّت (٦), ونأت في المشي ينئِت , ونأج ينئِج , ونتَح ينتِح (٧), ونَتَخَ ينتِخ , وقال زهير:

تَنْبِذُ أفلاءَها في كلّ مترلة تَنْتِخُ أعيُنَها العقبانُ والرَّخَم (٨)

وكذلك : نَحَيْتُ اللبنَ أنحاه وأنْحيه : مَخَضْتُه (٩), ونَحَت ينْحِت , ونحَز ينحِز (١٠)ونحَطَ ينحِط, وأنشد أبو عثمان :

وتنْحِط حصانٌ آخرَ الليل نَحْطةً تقضّبُ فيها أو تكادُ ضلوعُها (١١)

---

(١٥) نفسه : ٣ / ٢٢٣ .

(١٦) ووردت أيضاً على القياس بالفتح , انظر : ابن القوطية : ١٨٥ , والسرقسطي : ١ / ١٧٨ وابن القطاع : ٣ / ٣٦١.

(١٧) ابن جني , الخصائص : ١ / ٣٧٦ وانظر: العيني , شرح المراح : ٣٩.

(١٨) إبراهيم أنيس , في اللهجات العربية : ١٧١.

(١٩) رمضان عبد التواب , التطور اللغوي : ١٢ , وكتابه : بحوث ومقالات في اللغة : ٥٨ , وإبراهيم السامرائي : فقه اللغة المقارن : ٤٢ والمبارك , فقه اللغة وخصائص العربية : ١٣٢.

وأيضاً : نَحَم ينحِم (١٢), ونَخَف ينْخِف , ونزَع ينْزِع (١٣),ونغَم ينغِم , بمعنى أخفى الكلام (١٤), ونكَل يَنْكِل (١٥),وهَنَأْتُ الرجلَ أهنِئه (١٦), و وأَب يئِبُ مثل وعَد يعِد(١٧), و ينَعَ يَيْنِع (١٨), والقول في تفسير هذا الشذوذ كالقول في سابقه (١٩).

ووردَ في معاجم الأفعال أمثلة ليست حلقية العين أو اللام على باب (فعَل يفعَل) , منها : أبى يأبى , ويرى ابن القطاع أنه " ليس في كلام العرب فعَل يفْعَل بفتح الماضي والمستقبل مما ليس عينه ولا لامه حرف حلق إلا حرف واحد لا خلاف فيه وهو أبى يأبَى , وقد جاءت أربعة عشر فعلاً باختلاف فيها وهي قلَى يقلَى وغسى الليل يَغسى ,وركَن يركَن , وجنى يجنى , وشخى يشخى , وعثى يعثى وحكى أيضاً سلى يسلى , وخطى يخطى (١)وعلى يعلى وقنط يقنَط وغَصَصْت تغَصّ وبَضَضْت تَبَضّ عن يعقوب وودَع يدَع وقرئ (ما ودَعَكَ ربّك) ويذر لأنه محمول على يدع ..." (٢) إلا أن اللبلي يذكر أنها سبعة عشر كلمة , منها ثمانية في الصحيح , وتسعة في المعتل " فأما ما جاء منها في الصحيح , فقولك : رَكَنَ يَرْكَن , وهَلَكَ يَهْلَك , وقَنَطَ يَقْنَط , وعَضَضْتَ تَعَضُّ ... حكى الفتح فيه غيرُ واحد من اللغويين , وذكرها ابن القطاع في

---

(١) ابن القطاع : ١ /١٢٠.

(٢) السرقسطي: ٢ / ٢٨٧.

(٣) ابن القوطية : ٢٧٢.

(٤) السرقسطي (رضع) ٣ / ٩١ , (قخز) ٢ / ١٠٩ , والقَحْز هو الضرب بالشيء اليابس على اليابس , و (زحر) ٣ / ١٨٩ .

(٥) ابن القطاع : ٢ / ٢٤٦.

(٦) ابن القوطية : ٢٤٥.

(٧) السرقسطي : (نأت) ٣ / ٢٣١ , والنأْت : السعي البطيء , و (نأج) ٣ / ٢٢٩ , بمعنى صاح , وجاءت أيضاً بالفتح على القياس , و (نتح) ٣ / ١٨٨. ونتح : رشحَ.

(٨) المصدر السابق : ٣ / ١٩٦ , ونتح : استخرج.

(٩) ابن القوطية : ١١٥ والسرقسطي : ٣ / ١٧٤.

(١٠) السرقسطي (نحت) ٣ / ١٨٩ , و (نحز) ٣ / ١٥٦ , والنَحزْ : ضَرْبُكَ الإنسان بجمعك في صَدْره .

(١١) المصدر السابق : ٣ / ١٨٥ , ونحط نحطاً : إذا كان صوته شبيهاً بالسُّعال .

(١٢) نفسه : (نحم) ٣ / ١٨٥ , والنحيم هو السعال من اللؤم , وانظر : ابن منظور (نحم) ١٢ / ٥٧١.

(١٣) السرقسطي :(نخف) ٣ / ٢٠٤ , ونَخَفَ العنز : شبيه بالعُطاس , و (نزع) ٣ / ١٥٣ , وابن القطاع : ١ /١١ وانظر : ابن قتيبة , أدب الكاتب : ٣١٤.

(١٤) ابن القوطية : ٢٦٢.

(١٥) السرقسطي : ٣ / ٢٢١.

(١٦) ابن القوطية : ١٨٥ وابن القطاع : ٣ / ٣٦١ وجاء بالفتح أيضاً على القياس , ويعني : أَعْطَيْته .

(١٧) السرقسطي : ٤ /٢٤٨ و وَأَبَ : إذا استْحْيا .

(١٨) ابن القطاع : ٣ /٣٧٤ , وفيه يذكر أنه جاءَ على القياس بالفتح أيضاً.

(١٩) ابن جني , الخصائص : ٣٧٦/١ وانظر : داود عبده , أبحاث في اللغة العربية : ٨٧ وإبراهيم أنيس , من أسرار اللغة : ٥٢ وكتابه : في اللهجات العربية : ١٧١ ورمضان عبد التواب , التطور اللغوي : ١٢ وكتابه : بحوث ومقالات في اللغة : ٥٨ وإبراهيم السامرائي , فقه اللغة المقارن: ٤٢ والمبارك , فقه اللغة وخصائص العربية : ١٣٣,١٣٠.

كتابه بغين معجمة , وبضادين معجمتين , وعدّها في الشذوذ مع رَكَنَ يَرْكَن وأخواتها , ونسبها ليعقوب ... وما ذكر يعقوب الفتح في الماضي والمستقبل معاً الذي حكاه عنه ابن القطاع ... وكذلك ثبت في كتاب سيبويه : عَضَضْتُ بعين غير معجمة ... وَبَضَضْتَ تَبَضُّ , عن ابن القطاع . وحكى الأستاذ أبو بكر بن طلحة الإشبيلي : فَضَلَ يَفْضَلُ , ونَضَرَ وجهه يَنْضَرُ , وحَضَرَ يَحْضَر , ولم ارَ أحداً ذكر هذه الثلاثة غيره ... , وقد سُمع فيها كُلها مجيئها على القياس "(٣).

وأما ما جاء منها في المعتل , فقولهم : أَبى يَأْبى, وجَبى الماء في الحوض يجبى : إذا جمعه , ... وقَلى يَقلى ,من البُغْض ؛ وحَظى يَحْظى : إذا سَمِن , وغَسى الليل يَغْسى : إذا أظلم ؛ وسَلى يَسْلى : إذا ترك الشيء ؛ وشَجى يَشجى : إذا حزن , وعَثى يَعثى : إذا أفسد ... وغَلا يَغلى: إذا ارتفع , وقد سُمع فيها أيضاً مجيئها على القياس , ما عدا أبى يأبى ؛ فإنه لم يُسمع فيه إلا الفتح في الماضي والمضارع معاً فهو وحده متفق عليه من بينها , وما عداه منها فيه اختلاف ... فهذه السبع عشرة كلمة خارجة عن القياس , ولم أرَ أحداً زاد عليها , مع طول بحثي عنها ... "(٤) .

فجاءَ ركنَ يرْكَن والقياس فيه (ركِن يركَن) ,"وذكر صاحب العين في لغة سُفْلى مُضَر: ركَن يَرْكُن..." (١)وفتح الكاف في الماضي وضمّها في المضارع لغة ليست بفصيحة (٢).

ويرى بعضُهم أن (ركَن يركَن) جاءت على الجمع بين اللغتين (٣),فهي من تداخل اللغات ,إذْ أُخذ ماضي اللغة الأولى ومضارع الأخيرة , وقد تشكل أيضاً من هذا التداخل لغة أخرى ذكرها كراع النّمل, وهي (ركِن يركُن) وهي نادرة, نحو : فضِل يفضُل وحضِر يحضُر ونعِم وينعُم (٤), و ذلك بأخذ مضارع الأولى وماضي الأخيرة .

---

(١) يذكر محقق كتاب ابن القطاع في حاشية (١ /١١) : " ولعله حظى يحظى ".

(٢) ابن القطاع : ١ /١١.

(٣) اللبلي ,بُغية الآمال : ٦٩ – ٧٠ .

(٤) المصدر السابق : ٧٠ – ٧١ .

وقد سجلت معاجم الأفعال أيضاً أمثلة أخرى , لم يذكرها ابن القطاع في مقدّمته , منها: (شَمَل) الذي يماثل الفعل (ركن) , إذْ ورَدَ عن الفرّاء : شَمِلَهم الأمر يَشْمَلُهم على القياس, وشَمَلَهم يَشْمُلُهم على الشذوذ بمعنى عمّهم , وأنكر الأصمعي الفتح في الماضي والمضارع (٥) , فالقياس (شَمَل يشمُل) و (شَمِل يشمَل) (٦) فربما نشأ (شَمَل يشمَل) بتداخل اللغتين , بأخذ ماضي اللغة الأولى ومضارع الثانية .

وكذلك الأمر في (ذكَى يذكَى) ذكاءً (٧), فالقياس (ذكِي يَذْكَى) ويقال : (ذكا يذْكو) و(ذكُو يذكو) (٨)ولعل (ذكَى يذكَى) من باب تداخل اللغات , فأخذوا الماضي بالفتح من (ذكا يذكو) , وأخذوا المضارع بالفتح من (ذكِيَ يذْكَى) .

ومن هذه الأفعال أيضاً : ثَفَن يثْفَن , وحثَى التراب علينا يَحْثَى , وحَرَى يحْرَى بمعنى نقص , وطفَر يطفَر (١)و عجَز يعْجَز لغة لبعض قيس (٢) , وعَلَمه يْعلَمه : إذا شقّ شفته, وكَسَبَ يكْسَب وعَمَن بالمكان يَعْمَن : إذا أقام به (٣) , والقياس فيها جميعها (فعَل يفعِل) (٤).

---

(١) السرقسطي : ٣ / ٨٩ وانظر : ابن القطاع : ١ /١١.

(٢) ابن منظور (ركن) ١٣ / ١٨٥.

(٣) الاستراباذي , شرح شافية ابن الحاجب : ١ / ١٤ –١٥ وابن منظور (ركن) ١٣ / ١٨٥ والحملاوي , شذا العرف في فن الصرف : ٣٠.

(٤) ابن منظور (ركن) ١٣ / ١٨٥.

(٥) السرقسطي : ٢ /٣٤٥ وانظر : ابن منظور (شمل) ١١ / ٣٦٧ –٣٦٨.

(٦) ابن منظور (شمل) ١١ / ٣٦٧ .

(٧) السرقسطي : ٣ /٥٩٥.

(٨) ابن منظور (ذكا) ١٢ / ٢٨٧.

ولعل ما جاءَ علـــى (فعَـــل يفعَل) وقياسه (فعَل يفعِل) يُحمل على لغة بعض الأقوام (٥) , ويعزز ذلك قول سيبويه :" وأما جَبى يَجْبَى , وقلَى يقْلَى فغيرُ معروفين إلا من وُجَيْهٍ ضعيف , فلذلك أُمْسِكُ عن الاحتجـــاج لهما "(٦) , وكأنهما لغة بعض الأقوام الذين لا يُحْتجّ بلغتهم .

ومن ذلك أيضـــاً: بلَج الصبح يَبْلَج ,وصَمَل السقاءُ يصمَل : إذا يـــبس , وزكَـــى يزْكَى : إذا أحسن الزكـــاء (٧), والقياس فيها (فعَل يفعُل) (٨) , وزكَـــن يـــزكَن بمعـــنى علِم (٩), ووَدَقت عينـــه تـــوْدَق :إذا خرجَتْ بها الوَدَقة , وهي بُثْرة في العين (١٠),ويبَس يَيْبَس أيضاً (١١), والقياس فيها (فعِل يفعَل) (١٢).

٣. فعُل – يفعُل , يفعِل , يفعَل :

يذهب علمـــاء العربية القدامى إلى أن أفعال باب (فعُل) لا تكون إلا لازمة (١), وشذّ منه متعدّياً : رَحُبَتْكَ الدار , والأصل رحُبت بك الدار , وكَفُلْـــتَ بالـــــمال , وسَخُو بالمال , في حال ضمّها (٢),ويرى الحملاوي أن هذا التعدي من باب التوسّع (٣),

---

(١) السرقسطي (ثفن) ٣ / ٦٢٧ , والقياس فيه (يثفُن) , وثَفَن : إذا طردَ شيئاً من خلفـــه قـــد كاد يلحقه , و (حثى) ١ / ٤٢٢و (حرى) ١ / ٤٢١ , و (طفر) ٣ / ٢٦٨ , وهو الوثوب من أسفل إلى فوق كما يطفَر الإنسانُ حائطاً إلى ما وراءَه .

(٢) ابن القطاع : ٢ / ٣٤٣.

(٣) السرقسطي (علم) ١ /٢٢١ و (كسب) ٢ / ١٨١ , و (عمن) ١ /٢١٤.

(٤) انظر : ابن منظـــور (ثفن) ١٣ / ٧٨ – ٧٩ , (حثا) ١٤ / ١٦٤ و (حرى) ١٤ / ١٧٢ , و (طفر) ٤ / ٥٠١ –٥٠٢ و (عجز) ٥/ ٣٦٩ – ٣٧٠
(علم) ١٢ / ٤١٩, (كسب) ١ / ٧١٦, (عمن) ١٣ / ٢٨٩.

(٥) عبد الصبور شاهين , المنهج الصوتي للبنية العربية : ١٩٠.

(٦) سيبويه , الكتاب : ٤ /١٠٦.

(٧) السرقسطي (بلج) ٤ / ٩٠ و (صمل) ٣ / ٤١١و (زكى) ٣ / ٤٨٠.

(٨) انظر : ابن منظور (بلج) ٢ / ٢١٥ و (صمل) ١١ / ٣٨٥ و (زكا) ١٤ / ٣٥٨ .

(٩) ابن القطاع : ٢ / ٨٥.

(١٠) السرقسطي : ٤ /٢٧٤, وتَيْدَق أيضاً بإعلال الواو .

(١١) ابن القطاع : ٣ / ٣٧٦.

(١٢) انظر : ابن منظور (زكن) ١٣ / ١٩٨ و (ودق) ١٠ / ٣٧٣ و (يبس)٦ / ٢٦١ , و (يَيْبِس) نادر .

أما قول أبي عثمان السرقسطي : " ضَعُفْتُ القومَ أضعُفُهم ضعْفاً : إذا كَثَرْتَهم فصار لك ولأصحابك الضعف عليهم "(٤),فأرى أنه من باب المغالبة.

ويرون أنه يأتي غالباً في أفعال الأخلاق والغرائز (٥), مثل كرُم وجمُل , وفَقُه وظرُف , ويضيف بعضهم أنه يأتي أيضاً في أفعال الصفات الدّالة على الألوان , إلا : أدُم وشهُب , وقهُب وكهُب , وسمُر , وصدُؤَ الفرس , فإنها بالضم والكسر , ودخلت الزيادة في بعضها , فنشأ الفعل (افْعَلَّ) مثل : اخْضَرَّ واحمرَّ , ونشأ أيضاً (افعالَّ) نحو : ادهامَّ واحمارَّ (٦).

وجاءت بعض أفعال الصفات بالجمال والقُبح , والعِلَل والأعراض على (فعُل) والقياس فيها (فعِل),و من هذه الأفعال : عجُف , وخرُق , وحمُق ,وكدُر , إذ جاءت بالضم والكسر . ومن ذلك أيضاً : خشُن , ورعُن وعجُم (٧).

يقرّر علماء العربية القدامى أن ما كان على(فعُل) فمستقبله (يفعُل) لا غير(٨). ولعلّ السبب في ذلك أن (فعُل) لا يدل على فِعْل بأتم معنى الكلمة , وإنما يدل على الاتصاف بصفة قارّة في الغالب , لذلك فهو قليل الاستعمال , و يثبت ذلك قلة عدد أفعاله , وهو قليل التصرف تلازم عين مضارعه حركة واحدة , هي حركة عين ماضيه(١) . ومن الأمثلة عليه في معاجم الأفعال : خلُق يخلُق وذمُوَ يذمو , ورعُف يرعُف في لغة , وقياسه (رعَفَ) , ورعُم رَعامُ الشاة يرعُم , وقياسه (رعَم) (٢),وقضُف يقضُف , و وَطُؤَ الفراش يَوْطُؤ , وظرُف يظرُف , وحسُن يحْسُن(٣).

---

(١) انظر: ابن جني , الخصائص : ١ /٣٧٧ والثمانيني , شرح التصريف : ٥٢٣ وابن عصفور , الممتع الكبير في التصريف : ١٢٤ و الاستراباذي , شرح شافية ابن الحاجب : ١ / ٦٧ ويرى الفيومي أنه (فعُل) إن ضُمّن معنى التعدي كُسِرت عينه , نحو : سَفِه زيدٌ رأيَه . والأصل سفِه رأيُ زيد (٢/ ٩٤٦) .

(٢) الفيومي , المصباح المنير : ٩٤٦/٢ والحملاوي شذا العرف : ٣٢.

(٣) الحملاوي , شذا العرف : ٣٢.

(٤) السرقسطي :٢١٧/٢.

(٥) ولك أن تحول كل فعل ثلاثي إلى هذا الباب , للدلالة على أن معناه صار كالغريزة في صاحبه , الحملاوي , شذا العرف : ٣١.

(٦) ابن القوطية: ٧ وابن القطاع : ١ / ٢١ , ٢٢ , وانظر: ابن فارس , الصاحبي : ٢٢٧ , وانظر : (افْعَلَّ) و (افعالَّ) في فصلي (المجرد و المزيد) و (تحوّلات الصيغ) من هذه الدراسة . ويخالف ابن القطاع ابن القوطية في أن " الصفات في الألوان تأتي أكثر أفعالها الثلاثية على فَعِل إلا أدُم ..." (معجمه : ١ / ٢١) وهذا هو رأي الأستراباذي في شرح الشافية (١ / ٧١ , ٧٢) ولكنه يقول في موضع آخر : " وقد يشاركه فعُل مضموم العين في الألوان والعيوب والحُلَى " (١ / ٧٣) ويذهب مذهب ابن القطاع السيوطي أيضاً في المزهر , ولكنه يرى أيضاً أن الصفات بالجمال والقبح والعلل والأعراض تأتي أفعالها على (فَعُل) (المزهر : ٢ / ٩٨ –٩٩) , ويرى الحملاوي أيضاً أن الألوان والعيوب تأتي من باب (فعِل) (شذا العرف :٣١).

(٧) ابن القوطية : ٧ – ٨ وانظر : ابن القطاع ٢٢،٢١ وابن فارس , الصاحبي : ٢٢٧ والسيوطي , المزهر : ٢ / ٩٨ – ٩٩, والحملاوي , شذ العرف : ٣١ .

(٨) منهم مثلاً : ابن قتيبة : ٣١٥ وابن القوطية : ٢.

ويجيءُ منه الصحيح السالم نحو: شرُفَ , والصحيح المهموز الأول , نحو :أسُلَ , والصحيح المهموز الوسط , نحو لَؤُم , والصحيح المهموز الآخر , نحو : جَرُؤَ , والمثال , نحو : وَسُمَ ويَمُنَ , والناقص , نحو سَرُوَ ولا يجيء منه : اللفيف المفروق واللفيف المقرون , والأجوف إلا شذوذاً في (طال يطول) (٤), فأصل الفعل طال هو (طَوُلَ) , فلتحرك الواو وانفتاح ما قبلها انقلبت ألفاً (طال), وأصل مستقبله : (يَطْوُل) " فَنَقلوا ضمّة الواو إلى الطاء فصارَ : " يَطُول " لِتُعِلَّ المستقبلَ كما أُعِلَّ الماضي , ليجري الفعلُ على وتيرة واحدة "(٥). ولم يرد منه يائي العين إلا ما شذّ من قولهم : هَيُؤَ , صار ذا هيئة , ولا يائي اللام إلا نُهُو(٦) , إذ أصله (نَهُيَ) , فانقلبت الياء واواً لضمّة ما قبلها.

ولا يجيء من المضاعف إلا فعلٌ واحد على الشذوذ , وهو (لَبُبْتَ تلُبّ) , ويفسر السرقسطي ذلك بأن " الضم يستثقل في الفعل الماضي من المضاعف , لثقل التضعيف , وثقل الضم , فلما اجتمعا فرّوا منهما" (٧)؛ لهذا يأتي المضاعف على وجهين فقط : (فعَل وفعِل) لا غير (٨).

ويضيف ابن القطاع إلى (لَبُبْتَ): ذَمُمْت تذُمّ ,وعزُزَتِ الشاة تعُزّ بمعنى قلّ لبنها(٩).

ويذكر السيوطي الأفعال: لَبُبْت تلُبّ,وعَزُزْت تعُزّ,وشرُرْت تَشُرّ,وحَبُبْتَ تحُبّ, وخَفُفْت تخُفّ , ودَمُمْت تدُمّ دمامة (١), ويقول الحملاوي : " شَرِرْتَ ولبِبْت والمضارع تلَبُّ بفتح العين لا غير "(٢), فهو يُنكر (تلُبّ) .

---

(١) الطيب البكوش , التصريف العربي : ٨٦ , ٩٧ , وانظر : هنري فليش , العربية الفصحى : ١٤٣ , وعبد القادر عبد الجليل , علم الصرف الصوتي : ٢٤٩

(٢) السرقسطي (خلق) ١ / ٤٦٥ وتعني املس و (ذمو) ٣ / ٦٠٨ , وذمُوُ : إذا تحامل ببقية نفسه حتى يموت في غير الموضع الذي رمي به , ووردَ أيضاً : ذمَى يذمو ويَذْمِي , و (رعف) ٣ / ٨٧ , و (رعم) ٣ /٨٨ , وتعني سال , وانظر : ابن منظور (رعم) ١٢ / ٢٤٥ .

(٣) السرقسطي (قضف) ٢ / ١١٩ , و (وَطُؤَ) ٤ / ٢٤٩ , أي صار وثيراً , و (ظرف) و (حسُن) ١ /٥٩ .

(٤) انظر الحملاوي : شذا العرف : ٣٣ / ٣٥.

(٥) الثمانيني , شرح التصريف : ٥٢٤ – ٥٢٥ وانظر : المصدر السابق : ٤٤٣.

(٦) الحملاوي , شذا العرف : ٣١ .

(٧) ابن القوطية : ١ , ويرى أن الأعم (لَبِبْتَ تَلَبّ) و السرقسطي : ١ / ٥٧ , ٥٩ وانظر : ابن القطاع : ١ / ٩ , ٣ / ١٤١ , وابن المؤدّب , دقائق التصريف : ١٨٥ .

(٨) ابن القوطية : ١, والسرقسطي : ١ / ٥٧ , وابن القطاع : ٩/١ .

(٩) ابن القطاع : ١ /٩ , ٣٩٢.

وقد أشرت سابقاً إلى أن: باب(فعُل)قليل التصرّف,تلازم عين مضارعه حركة واحدة ,هي حركة عين ماضية (فعُل يفعُل) ٠ وقد أكدت معاجم الأفعال قلة تصرفه ,فلم تسجل أمثلة على باب (فعُل يفعِل) كغيرها من مظانّ اللغة , وهذا يؤكد عدم استعماله في الواقع اللغوي, فهو باب افترضته القسمةُ العقلية .

أما باب (فعُل يفعَل) فجاء في فعل واحد من المعتل , لا خلاف فيه , رواه سيبويه:" وقد قال بعض العرب: كُدْتَ تكاد,فقال فَعُلْتَ تَفْعَل,كما قال فَعِلْتُ أفْعَل , وكما تركَ الكسرة كذلك تركَ الضمّة,وهذا قول الخليل وهو شاذ من بابه "(٣).

وذكرت معاجم الأفعال أن" كاد يكاد كوداً وكاداً:همَّ ,وأكثر العرب على كِدْتُ , ومنهم من يقول كُدْتُ وأجمعوا على يكاد في مستقبله"(٤),وقد جعل ابن جني هذا الشذوذ من باب تداخُل اللغات, وتبعه العيني(٥), وللفراء رأي في الفعل كاد (أي الماضي) إذْ يقول:" أما الذين ضموا كُدْنا فإنهم أرادوا أن يفرقوا بين فِعْل الكَيْد من المَكيدة في فَعَل وبين فعل الكَيْد في القُرْب فقالوا:كُدْنا نفعل ذلك" وقالوا" كِدْنا القومَ" من المكيدة,كما فرقوا بينهما في يَفْعَل (أي المضارع),فقالوا في الأول" يكادُ " وفي الثاني " يَكِيدُ (٦)" .

وأرى أن هذا الشذوذ لغة بعض العرب (٧), فالكسر (كِدْتُ) أيْسر من الضم (كُدْت) وهو لغة حضرية , أما الضم فهو لغة أهل البادية , وقد وردَ أن الفعل (كُدْت) لغة بني عديّ(٨).فيما يرى فوزي الشايب أن ثمّة أفعالاً جاءت على صورة المبني للمجهول من حيث الشكل , ولكنها مبنية للمعلوم وظيفةً ومعنىً , نحو كِيد وزِيل , ويرى أن هذا التضارب بين الشكل والوظيفة عائدٌ إلى" أن شكل الفعل وصورته هما المعوّل عليهما تقليدياً في تقرير فصيلة الفعل بغض النظر عن حقيقة المسند إليه ما إذا كان فاعلاً للفعل agent أو غير فاعل non agent " (١).

---

(١) السيوطي , المزهر : ٢ / ٣٧ , ٧٨.

(٢) الحملاوي , شذا العرف ٣١.

(٣) سيبويه , الكتاب : ٤/ ٤٠ وانظر : ابن قتيبة و أدب الكاتب : ٣١٥ وابن منظور (كيد) ٣ / ٣٨٣.

(٤) ابن القوطية : ٢٢٩ والسرقسطي : ٢ / ١٩٣ وانظر : ابن القطاع : ٣ /١٠٧ – ١٠٨ .

(٥) ابن جني , الخصائص : ١ / ٣٧٦ وانظر : العيني , شرح المراح : ٤١.

(٦) ابن قتيبة , أدب الكاتب : ٣١٦

(٧) ابن منظور (كود) ٣ / ٣٨٢ .

(٨) المصدر السابق (كود) ٣ / ٣٨٢ .

ومن الأمثلة التي سجلتها أيضاً معاجم الأفعال على باب (فعُل يفعَل) , وهي مختَلَفٌ فيها ما يأتي : لبُبْتَ تلَبّ , في لغة (٢), وجاء في لسان العرب " : وقد لَبُبْتُ ألَبّ ولَبِبْتَ تَلَبّ ,... وفي التهذيب : حكى لَبُبْتُ , بالضم , وهو نادر , لا نظير له في المضاعف " ولعل ذلك من باب التعدد اللهجي فورد لَبّ يلَبّ , لغة أهل الحجاز , ولبَّ يلِبّ بوزن فرَّ يفِرّ , لغة أهل نجد (٣) , وخطُب اللون خُطْبة وخطِب يخْطَب خطَباً لغتان , وهو حمْرة في كدرة كألوان القماري و حُمُر الوحش (٤), ودُمْتَ تدام , وجُدْتَ تجاد , ومُتَّ تمات (٥). ويرى ابن القوطية أن دُمت تدوم,ومُتّ تموت أجود, وذكر أيضاً دِمت تدام ومِتّ تَمات(٦), كما وردَ مِتَّ تموت عن (فعِل يفعُل), ويقول فيها الطيب البكوش : " ولا يوجد في ظاهر الأمر تعليل صوتي أو معنوي لهذه الظاهرة التي تبدو من قبيل الاعتباط اللغوي "(٧) , ويمكن تفسير ذلك بأنه من تركيب اللغات أو تداخلها (٨), فاللغة الأولى دِمْتُ أدام على باب (فعِل – يفعَل) والثانية : دُمْتُ أدوم على باب (فعُل يفعُل) , و بتداخلهما تنجم اللغتان : دِمْتَ تدوم ,على باب (فعِل يفعُل) أو دُمْتَ تدام على باب (فعُل – يفعَل) .

٤. فعِل – يفعَل , يفعُل , يفعِل :

(١) فوزي الشايب , المبني للمفعول ومظاهر التطور اللغوي : ٩٤.

(٢) ابن القطاع : ١ /٩ , ١٤١ وانظر: الحملاوي , شذا العرف: ٣١.

(٣) ابن منظور (لبب) ١ /٧٣٠.

(٤) السرقسطي : ١ / ٤٦٥ وانظر: ابن القوطية : ٣٥ , ولم يذكر ابن منظور إلا خطِب (خطب ١ / ٣٦٢) .

(٥) ابن القطاع : ١ /١٢.

(٦) ابن القوطية : ٣.

(٧) الطيب البكوش , التصريف العربي : ١٤٧.

(٨) الثمانيني , شرح التصريف : ٤٤١ .

تؤيد معاجم الأفعال ما ذهبت إليه مظانّ اللغة من أن أفعال باب (فعِل) تدل غالباً على الجمال أو القُبح , أو العلل , أو الأحـــزان , أو الأفـــراح , أو الألـــوان , أو الخلوّ , أو الامتلاء , نحو: هيِف , وعوِر , و حزِن , وفرِح , وسوِد , وعطِش , وروِيَ (١),كما يقع بعض هذه الأفعال في مستوى الحواس , نحو : طعِم وسمِع , أو في مستوى الذهن, نحو : حسِب وعَلِم, أو الجسم , نحو :ركِب وشرِب (٢), و وَدِه بمعنى صُدَّ (٣).

وتثبت معاجم الأفعال أيضاً أن باب (فعِل) يتفوق عدداً على باب (فعُل) , ولعل ذلك يرجع إلى أن معظم أفعال (فعِل) تدل على حالات متغيرة أكثر من الصفات الثابتة , التي تدل عليها معظم أفعال (فعُل) ؛ لهذا جاءت أفعال (فعِل) لازمة ومتعدية (٤) , وإن كان عدد اللازم منها أكثر من عدد المتعدي,وجاءت أفعال (فعُل) لازمة فقط؛فباب (فعِل) أقرب إلى الفعلية من باب(فعُل) (٥), فعددٌ من أفعاله يتعلق بفاعل ,وآخر ذو صفة (٦).

و تُظهر معاجم الأفعال أن أغلب باب (فعِل) مضارعة (يفعَل), وقد وردت فيها مجموعة مبدوءة بالواو , قياسُها (فعِل يفعَل), ولكنها نطقت على صورٍ عدّة , يمكن حملها على باب التعدد اللهجي , منها :

وَثِغت المرأة , فهي وَثِغة , وهي المُضَيّعة لنفسها في فرجها , والقياس في هذا الفعل (تَوْثَغ) ولكن وردَ أيضاً (تَيْثِغ) بإبدال الواو ياءً ؛ ليتحول من الواوية إلى اليائية , " وهي لغة فيما كان على هذا الوزن من الأفعال نحو: وَجِل يَوْجَل , وبعض العرب يقول : يَيْجل وليست في كل العرب ,ويُقال أيضاً : إنما هي في الياء وحدها , يُغَيّرون الواو إلى الياء مع الياء , فأما التاء والنون والألف , فلا يُقال إلا في لغة شاذة , وقد جاء بها على أقبح الشذوذ , وإنما حقه أن يكون وَثِغتْ تَوْثَغ " (٧).بمعنى أن الفعل (تَيْثِغ) جاء على أقبح الشذوذ , ولو جاء بالياء (يَيْثِغ) لكان على القياس , ويمكن تفسير هذا التغير من الواو إلى الياء في الأفعال المبدوءة بياء بأنه نزوع إلى التماثل ؛إذ تماثل الواو الياء التي قبلها,وبهذا

---

(١) ابن القطاع : ١ / ٢١ ,٢٢ , و الاستراباذي , شرح شافية ابن الحاجب : ١ / ٧١ , ٧٢ , والحملاوي , شذا العرف : ٣١ وعبد الصبور شاهين , المنهج الصـــوتي للبنية العربية : ٦٦.

(٢) الطيب البكوش , التصريف العربي : ٩٧.

(٣) السرقسطي: ٤ / ٢٨٢.

(٤) انظر: الاستراباذي , شرح شافية ابن الحاجب : ١ / ٧٢.

(٥) الطيب البكوش , التصريف العربي : ٨٧.

(٦) هنري فليش , العربية الفُصحى : ١٤٣ .

(٧) السرقسطي : ٤/٢٧٤ – ٢٧٥ .

يمكن تفسير شذوذه مع التاء والنون والألف,مع أنه يمكننا القول بأن الناطق لـــ(تَيْتَغ) طرد الباب على وتيرة واحدة,فحمل ما بُدِئَ بتاء أو نون أو همزة على ما بُدئ بياء .

ونُطِقَ مضارع الفعل(وَجِل), بمعنى خاف, على صور عدّة هـــي: يَوْجَل,على القياس,وهذه لغة قيْس (١), ووردَ أيضاً (يَوْجِل) (٢) من باب (فعِل يفعِل)أو(فعَل يفعِل) (٣). ويَيْجَل؛ بإبدال الواو ياءً,وهذا الفعل تطور إلى صورتين : الأولى هي (ياجل),وهي مرحلة الفتح الخالص,وذلك بسقوط الياء الثانية,وإشباع الفتحة التي تسبقها ؛ تعويضاً عنها , ولأن العربية تكره توالي ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة, وهذه لغة بني قُشَير و بني عُقَيْل (٤)ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي :

yaw/ğa/Lu > yay/ğa/Lu > ya*/ğa/Lu > yā/ğa/Lu

مرحلة الواوية — مرحلة اليائية — سقوط الياء الثانية — التعويض عنها بإطالة الفتحة

والثانية هي (يِيْجَل) بكسر ياء المضارعة في (يَيْجَل) ,وهذا من لغة بني تميم (٥), وهي الظاهرة المعروفة بالتلتلة,وطرداً للباب على وتيرة واحدة قيل: أنتَ تِيجَل , ونحن نِيجَل (٦).

ويُقال في (وَحِمت المرأة تَوْحَم وتِيْحَم وتاحَم) (٧) ما قيل في (وَجِل),وكذلك الأمر في (وَسِخ الثوب) يَوْسَخ ويَيْسَخ وياسخ (٨), وفي (وَجِع) يَوْجَع ويَيْجَع ويِيْجَع وياجَع (٩). ومن الأفعال التي أُبدلت فيها الواو ياءً أيضاً ؛ سعياً للمماثلة الصوتية للاقتصاد في الجهد المبذول في أثناء النطق به (وَجِيَ)؛ بمعنى توجَّع من الحفا, إذ جاءَ مضارعه على (يَوْجَى) و (يَيْجَى) (١٠).

---

(١) السرقسطي : ٤ /٢٧١, وذكر ابن المؤدّب في (دقائق التصريف : ٢٢٤) أنها لغة حجازية فصيحة .

(٢) الفيومي , المصباح المنير :٢/ ٩٤٦.

(٣) أي وجِل – يوْجِل أو وَجَل – يوجِل , وفيهما شذوذ لبقاء الواو , فالقياس حذفها مع (يفعِل) .

(٤) السرقسطي : ٤ / ٢٧٠.

(٥) المصدر السابق : ٤ / ٢٧١ وانظر : ابن المؤدّب , دقائق التصريف : ٢٢٥.

(٦) السرقسطي : ٤ /٢٧١.

(٧) ابن القوطية : ٣٠٣ والسرقسطي : ٤/٢٨٠ وذكر ابن القطاع أيضاً : تَيْحَم (٣ / ٣١٦)

(٨) السرقسطي : ٤ / ٢٤٧ .

(٩) ابن القوطية : ٣٠٤ و السرقسطي : ٤ / ٢٢٥ وابن القطاع : ٣ / ٣٢٢.

(١٠) السرقسطي : ٤ / ٢٤٦ –٢٤٧.

وتسجل معاجم الأفعال أيضاً أمثلة جاءت على (فعِل يفعُل) و منها :حضِر يحْضُر , " يُقال : حضَرْتُ , وحضِرْتُ لُغتان , وحضَرَت الصلاة , وحضِرتْ . قال : ولغة أهل المدينة , حَضِرتْ وكلهم يقولون : يحضُر " (١) وهذا تنوع لهجي يعود إلى ميل أهل المدينة إلى الكسر . ودِمْت تدوم وتدام , ومِتّ تموت وتمات , و الأجود دُمت تدوم , ومُتّ تموت , وكِدْتُ تكود وتكاد, وكُدْت تكاد أيضاً (٢),وجِدْت تجود وتجاد (٣).وذهب سيبويه إلى أن مُتُّ تموت أقيس(٤) , ورَكِن يركُن , وقنِط يقنُط (٥), وفضَل الشيءُ وفضِل يَفْضُل فيهما (٦), يقول ابن القوطية : " فإنه لما كان الأجود فَضَل استغنوا بمستقبله عن مستقبل فَضِل"(٧), ونعِمَ ينعُم في بعض اللغات , ويذكر ابن القوطية أنه ليس في السالم غير (نعِم ينعُم) و(فضِل يفضُل) (٨).ويضيف عليهما ابن القطاع أربعة أفعال , هي : حضِرَ يحضُر, وقنِط يقنُط,وركِن يركُن , ولَبِبْتَ تلُبّ (٩).

ومما جاء على هذا الباب أيضاً : روِع يروعُك بجماله (١٠), وكبِرَ الرجل يكْبُر , إذا طعن في السن,ونظِف الفصيل ما في ضَرع أمِّه ينظُفُه ,ونَظَفْته أنظُفُه (١١)ورَخِمْتُه أرْخُمُهُ لغة في رَحَمْتُه,ورَوِح الرجل يرُوح رَوَاحاً فهو أرْوَح : إذا كان في صدر قدميه انبساط(١٢).

وقد يكون السبب في (فعِل يفعُل) التداخل بين (فعِل يفعَل) و (فَعَل يفعُل) في معظم الأفعال السابقة , وبين (فعِل يفعَل) و (فعُل يفعُل) في نعِمَ ينعُم (١٣).

وسجلت أيضاً معاجم الأفعال أمثلة على (فعِل يفعِل) في الصحيح , ويجوز فيها كذلك (يفعَل) , منها : حسِب يحسَب , ونعِم

---

(١) السرقسطي : ١ / ٣٥٢ وانظر : نفسه : ١ /٦١ وابن القطاع : ١ / ١٢ , ٢١٤.

(٢) السرقسطي : ١ /٦١ وابن القطاع : ١ /١٤.

(٣) ابن القطاع : ١ / ١٤.

(٤) سيبويه , الكتاب : ٤ / ٤٠.

(٥) ابن القطاع (ركن) و (قنط) ١ /١٢.

(٦) ابن القوطية :١٤٤, و السرقسطي :٢٢/٤ وابن القطاع :٢ /٤٦٤.

(٧) ابن القوطية :٣.

(٨) المصدر السابق : ٢ – ٣.

(٩) ابن القطاع : ١ /١٢ وانظر أيضاً المصدر السابق (لبب) ١ / ٩ والسيوطي , المزهر : ٢ / ٣٧.

(١٠) ابن القوطية : ١٠٤.

(١١) السرقسطي (كبر) ٢ / ١٥٦ , و (نظف) ٣ / ٢٢٥ , ٢٢٦

(١٢) السرقسطي : (رخم) ٣ / ٤١ , (روح) ٣ / ٥٢ .

(١٣) انظر: ابن جني , الخصائص : ١ / ٣٧٦ , ٣٧٩ والثمانيني , شرح التصريف : ٤٣١.

ينعَم (١),وبئس يبأس ويبئس, "والفتح فيها جيد وهو أقيس "(٢) وفضِل يفضَل وقنِط يقنَط,وعرِض يعرَض, وقدِر يقدَر(٣), وفات الحملاوي أن يذكر:(نعِم , و فضِل وقنِط وعرِض وقدِر) (٤) .

ومن أمثلة (فعِل يفعِل) أيضاً :" صَرِفَ الخمْرَ يصْرِفُها صرْفاً:إذا شربها صِرْفاً بغير مِزاج ",ونَحِل ينحِل,وورد أيضاً(نَحَل ينحُل) فهما لغتان (٥),الأولى على باب (فعِل يفعِل) وهي نادرة ,والثانية على باب (فعَل يفعُل) والقياس (يفعَل)لأن عين الفعل من أصوات الحلق,ومن الأمثلة أيضاً :وصِب يصِب بمعنى أحسن القيام عـــلى حاله وهي لغة تميم (٦) .

ومن أمثلة (فعِل يفعِل) في المضاعف:حرَّ النّهارُ يَحِرّ (٧), وقد جاء في لسان العرب: "وحرِرْتَ تحِرُّ بالكسر, وتَحَرُّ "(٨).وضل يَضِلُّ بمعنى جار عن دين أوطريق ",وهذه لغة نجد. وأهل العالية يقولون ضَلِلْتُ أضَلّ ... و(ضَلِلت) أضَلّ لغة تميم"(٩).وجاء في لسان العرب : " ضَلَلْتَ تضِلّ هذه اللغة الفصيحة,وضَلِلْت تضَلّ ... وقال كراع: وبنو تميم يقولون ضَلِلْتُ أضَلّ وضَلِلْتُ أضِلّ ؛وقال اللحياني: أهل الحجاز يقولون ضلِلت أضَلّ,وأهل نجد يقولون ضَلَلْتُ أضِلّ..."(١٠).وحَبِبْتُه أحِبّه,وضَنِنْتُ بالميزان أضِنّ (١١).والغة العالية : ضَنِنْتُ بالشيء أَضَنّ (١٢), وجاء أيضاً: ضَنَنْتُ أضِنّ (١٣) ويمكن حمل هذه الأفعال على أنها لغات لبعض الأقوام .

---

(١) ابن القوطية : ٣ , وانظر : ابن قتيبة , أدب الكاتب : ٣١٥ , إذ يذكر أن " عُلْيا مضر تكسر وسُفلاها تفتح " وانظر السرقسطي : ١ /٦٠ وابن القطـــاع : ١ /١٢ والفيومي , المصباح المنير :٢/ ٩٤٦ وابن عصفور , الممتع الكبير في التصريف : ١٢١ والسيوطي , المزهر : ٢ / ٣٧ وبحرق اليمني , فتح الأقفال وحل الإشكال : ٦١ , وفيه يذكر أن الكسر أفصح لأنه لغة أهل الحجاز .

(٢) السرقسطي : ١/٦٠.

(٣) ابن القطاع : ١ /١٢ , ٣ / ٤٠ , وفيه يذكر أن (قدِر يقدِر) لغة بعض ربيعة .

(٤) الحملاوي : شذا العرف : ٣٥.

(٥) السرقسطي (صرف) ٣ / ٤٠٥ , و (نحل) ٣ / ٢٠٨.

(٦) ابن القطاع : ٣ / ٢٩١.

(٧) المصدر السابق : ١ / ٣٢٨.

(٨) ابن منظور (حرر) ٤ / ١٧٨.

(٩) ابن القطاع : ٢ /٢٧٩ –٢٨٠ , وذكر في موضع آخر (١٤/١) : " ضَلِلْتُ أَضِل والمستعمل ضَلِلت أضَلُّ و ضلَلت أضِلّ ".

(١٠) ابن منظور (ضلل) ١١ / ٣٩٠.

(١١) السرقسطي (حبب)١/ ٥٧ و (ضنن) ٢ /٢٢٢.

(١٢) ابن منظور (ضنن) ١٣ / ٢٦١ , وانظر : ابن القوطية : ٢٤٥ وابن القطاع : ٢ / ٢٨١.

(١٣) ابن منظور (ضنن) ١٣ / ٢٦١.

ووردَ في معاجم الأفعال أيضاً أمثلة على باب (فعِل) في غير الصحيح,ويجوز في عين مضارع كل منها الفتح والكسر,وعددها كثير مقارنة بعدد الصحيح,منها:يئِس ييئِس ويَيْأس,ويبِس ييبِس ويَيْبَس (١), وولِغ الكلب يلَغ و الأجود يَوْلَغ ؛ بمعنى شرب (٢), ووزِع يَزِع ويَزَع ,وولَعَ يلِع و وَلِع يَوْلَع ,و وَغِر يغِر, ووحِر يَحِر, والأجود يوغَر ويوحَر , ووهِنَ يهِن ويَوْهَن , و وَبِق يَبِق ويَوْبَق (٣), وَ وَصِب الرجل في ماله وعلى ماله يَصِب : إذا أحسن القيام عليه , ووصِب يوصَب , ووَلِه يله , ووَهِل يهِل , والمستعمل يَوْلَه ويوهَل , وطاح يطيح , وتاه يتيه عن الخليل , وهما كحَسِبَ يحسِب (٤).

ويرى سيبويه وابن خالويه أن (فعِل يفعَل) مقصور على : (حسِب وبئِس ويَبِس ونعِم) ويذكر سيبويه أن الفتح فيها جيد , وهو أقيس (٥). وقد حصَرَ الحملاوي الأفعال التي من باب (فعِل) , ويجوز الكسر والفتح في عين مضارعها , بأحَدَ عشرَ فعلاً , هي : بَئِس وحسِب ووبِق , بمعنى هلك , ووَحِمت الحبلى ووحِر صدره , ووَغِر بمعنى اغتاظ وولِغ ووله ووهِل ويَئِس ويَبِس (٦).

وتبين لي أن معاجم الأفعال سجلت ضعف هذا العدد تقريباً , كما أن سماع الشذوذ والقياس في هذه الأفعال يؤيد أنهما لغتان متداخلتان . ومما يجب كسر عينه في الماضي والمضارع في معاجم الأفعال : ورِم يَرِم , وولِيَ يَلي , وورِث يرِث ,ووثِق يَثِق ,

---

(١) ابن القوطية : ٣ والسرقسطي : ١ /٦٠ وابن القطاع : ١ / ١٢ وانظر : الفيومي , المصباح المنير :٢/ ٩٤٦ , والسيوطي , المزهر : ٢ / ٣٧ وبحرق اليمني , فتح الأقفال : ٦١.

(٢) السرقسطي:٤/ ٢٧٤ و ابن القطاع : ١ / ١٣ , وبعض العرب يقول : يالَغ (السرقسطي : ٤ / ٢٧٤) بسقوط الواو في (يَوْلَغ) وإشباع الفتحة التي تسبقها ؛ تعويضاً عنها . ووردَ أيضاً أن بعض العرب أسكن عين الفعل الماضي (وَلْغَ) (السرقسطي : ٤ / ٢٧٤) ولعل في ذلك ميلاً إلى التخلص من المقاطع القصيرة المفتوحة المتتالية (ص ح) : wα/Lα/ġα. ومن أمثلة ذلك أيضاً : (وَأَلَ) و (وَأَلَ) إذ جاء : " ولا وألَ من كذا : أي نجا "(ابن القوطية : ١٦٠) وكذلك : حَسْنَ الشيءُ وحَسُنَ (السرقسطي: ١/ ٣٦٦) ويرى الرّضي أن " جميع هذه التفريعات في كلام بني تميم , وأما أهل الحجاز فلا يغيرون البناء ولا يفرعون " (الاستراباذي , شرح شافية ابن الحاجب : ١ /٤٠), .ويرى ابن القطاع (١ /١٤) أن الواو حذفت من (يَلَغ) و (يدَع) " لأن الأصل عند الخليل يَوْلِغ ويَوْدِع فحذفت الواو لذلك تم فتح المضارع لأن فيهن حرفاً من حروف الحلق " هو الغين في (يَلَغ) والعين في (يَدَع) . وذكر الفيومي (٢/ ٩٤٦) وَلَغ يَوْلَغ ويَوْلِغ , وورد أيضاً عند ابن القطاع (١٤/١) : وَلَغَ يَلَغ , ويعلل سقوط الواو في (يَلِغ) وما هو نحوها بوقوعها بين ياء مفتوحة وصامت متلوّ بكسرة , ثم امتد ذلك الى الصيغ الأخرى للمضارع طرداً للباب على وتيرة واحدة ؛ فقالوا : تلِغ , ونَلِغ وألِغ .

(٣) وقالوا فيه (وَبَقَ يبِق) (انظر : السرقسطي : ٤ / ٢٧٦ وابن القطاع:١/١٣والمصدر السابق : ٣/ ٣١٩) فالأصل يَوْبِق ثم حذفت الواو لأنه من باب (فعَل – يفعِل) , وورد أيضاً وَبَقْتُ إبِقُ بكسر الهمزة , (السرقسطي : ٤ / ٢٧٦) ويمكن تفسير هذا بأنه من باب تداخل اللغات بين (وَبَقَ – يبِق) و (وَبِق – يَوْبَق) فأخذ ماضي اللغة الأولى , ومضارع اللغة الثانية ، فنجم (وَبَقَ يَوْبَقَ) ثم ماثلت الواو ياء المضارعة , مماثلة مقبلة كلية منفصلة , فنجم (يَيْبَق) وطرداً للباب على وتيرة واحدة قيل : نَيْبَقَ , وتَيْبَق , و أيْبَقَ , ثم كُسر حرف المضارعة بتأثير ظاهرة التلتلة ؛ فنجم (إيبَقَ) بكسر الهمزة .

(٤) وقد ذكر ابن القطاع جميع هذه الأفعال (١ / ١٣) ويضيف عليها الفيومي (المصباح المنير : ٢/ ٩٤٦) وحِل يوحَل ويوحِل .

(٥) سيبويه , الكتاب : ٤/ ٣٨ –٣٩ , وابن خالويه , ليس في كلام العرب :٤٥.

(٦) الحملاوي , شذا العرف : ٣٥.

وومِق يمِق ؛ بمعنى أحبّ (١), وورِع يرِع (٢), ووفِق أمرُه يفِق (٣), ووَرِيَ الزَّنْد يَرِي (٤), ويقال فيه ورِي ووَرَي ففيه خلاف , أما ورِي المُخّ يَرِي إذا اكتـــنـــز بالكسر (٥) فلا خلاف فيه .

ويذكر ابن القوطية أيضاً : " وسِع يسَع , ووَطِئَ يَطَأ , وكان الأصل يَوْسِع ويَوْطِئ فطُرحت الواو لمجيئها بين ياء وكسرة ثم فتحوا عين الفعل لمجيء حرف الحلق بعدها وهي الهمزة في يطأ والعين في يسع ثم لم يأتِ غيرهما " . وتبعه في ذلك ابن عصفور , فهما عنده على باب يفعِل) (٦). ونجد ابن القوطية في موضع آخر يقول :"وسِعَ الشيءُ يسَع – مثل وطِئَ يطَأ شاذ ليس في هذه البنية غيرهما مما تسقط الواو في مستقبله وهو مفتوح العين " , وتبعه في ذلك السرقسطي وابن القطاع(٧) .

ومما فات معاجمَ الأفعال ذكرُه: وغِم يغِمُ بمعنى حقد(٨), ووَعِم يعِم بمعنى نَعِم (٩). وقد حصر الحملاوي هذه الأفعال بثلاثة عشر فعلاً, وهي:وثِق به, ووَجِد عليه : بمعنى حزِن, وورِث وورِع, وورِك ؛ بمعنى اضطجع , وورِم, وورِي المُخّ ,ووَعِق عليه : أي عَجِل, ووَفِق,ووقِه له بمعنى سمِع, ووكِم :أي اغتّم , ووَلِي, وومِق (١٠).فأضاف على معاجم الأفعال:وجِد عليه, وورِك,ووعِق, ووقِه,ووكِم .وفاته الفعلان اللذان ذكرهما ابن القوطية : وسِع ووطِئَ .

---

(١) ابن القوطية : ٣ وابن القطاع : ١/ ١٣ وانظر : ابن قتيبة , أدب الكاتب : ٣١٥ , وبحرق اليمني , فتح الأقفال : ٦٢ .

(٢) ابن القوطية : ٣ , والسرقسطي : ٢٤٤/٤ , وحكى سيبويه ورِع يورَع (انظر : ابن القطاع : ١٤/١) .

(٣) ابن القوطية : ٣ وابن القطاع : ١ /١٣ وانظر: ابن قتيبة , أدب الكاتب : ٣١٥ , وبحرق اليمني , فتح الأقفال : ٦٢.

(٤) ابن القوطية : ٣.

(٥) ابن القطاع : ١/ ١٣ وانظر : الفيومي , المصباح المنير : ٢/ ٩٤٦.

(٦) ابن القوطية : ٣ وانظر : ابن عصفور , الممتع الكبير في التصريف : ١٢١ – ١٢٢.

(٧) ابن القوطية : ١٥٩ وانظر : السرقسطي : ٤ / ٢٤٤ وابن القطاع : ٣ /٢٨٧.

(٨) ابن عصفور : الممتع الكبير في التصريف : ١٢١.

(٩) المصدر السابق : ١٢١ والفيومي , المصباح المنير :٢/ ٩٤٦ والسيوطي , المزهر : ٣٧/٢.

(١٠) الحملاوي , شذا العرف : ٣٥.

– رأي إبراهيم أنيس في أبنية الأفعال(١) :

يرى إبراهيم أنيس أن أبنية الأفعال تخضع لقانون المغايرة بين حركة عين الفعل الماضي وحركة عين الفعل المضارع (٢), فنلاحظ الأبواب:(فعَل – يفعُل,وفعَل- يفعِل , وفعِل – يفعَل) ولكننا نلاحظ أيضاً عدم ظهور تأثيره في الأبواب : (فعَل – يفعَل , وفعُل – يفعُل , وفعِل – يفعِل) غير أن أفعال هذه الأبواب قليلة جداً مقارنة بأفعال الأبواب التي خضعت لهذا القانون , ويمكن تفسير عدم ظهور تأثيره في تلك الأبواب على النحو الآتي:

١. **فعَل– يفعَل:** ويمكن تفسيرها صوتياً , إذْ يَقتصر هذا الباب غالباً على الأفعال التي عينُها أو لامها صوت حلقي , لميل الصوت الحلقي إلى أن يجاور الفتحة , ووجود بعض الأفعال التي عينها أو لامها صوت حلقي على باب آخر يدلل على أنها غلبت عليها قاعدة المغايرة , وربما كانت تنتمي في صيغتها للهجة أخرى غير اللهجة المشتركة (الفصحى) "وليس معنى هذا استعارة هذه الأفعال بصيغتها الشائعة في مصدرها الأصلي , وربما كان يُعَـــبَّر عن معاني هذه الأفعال في اللهجة القرشية بأفعال أخرى ".

٢. **فعُل – يفعُل** :وربما كانت أفعال هذا الباب " في الأصل مفتوحة العين في الماضي , ثم لقصد المبالغة في معناها حولت إلى صيغة أخرى وذلك بضم العين " ويدعم ذلك ما ذكره النحاة من " إمكان تحويل (فعَل) إلى (فعُل)حين يراد الدلالة على أن معناه صار كالغريزة في صاحبه أو للتعجب فينسلخ حينئذٍ عن الحدث " ,وربما نشأ هذا الباب عن طريق القياس الخاطئ الذي وقعت فيه الأجيال الناشئة , ثم شاع بعد ذلك, وهو أيضاً ما قد يُفسَّـــر به نشوء (فعِل يفعِل) (٣) .

---

(١) انظر : إبراهيم أنيس , مِنْ أسرار اللغة : ٤٦ – ٥٦.

(٢) وقد ذكر أنيس أنه توصل إليه من الفكرة التي جاء بها ابن جني , وهي وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع (انظر : ابن جني , الخصـــائص : ١ /٣٧٦ – ٣٧٧)

(٣) غالب المطلبي , في الأصوات اللغوية , دراسة في أصوات المد العربية : ٢٥٢.

وبعد , فقد حمل معظم اللغويين القدامى و المحدثين الشذوذ في الصيغ الفعلية السابقة على تداخل اللغات,الذي ينتج من كثرة اللقاء بين العرب, واختلاطهم , وسماع بعضهم من بعض (١),أو على المظاهر اللهجية بسبب العادات النطقية الصوتية لبعض قبائل الجزيرة العربية التي تختلف في درجة ميلها نحو السهولة , وفي نسب تسارعها , فلعل ما عُدَّ شاذّاً من صيغ الأفعال كان قياسياً في منظومة التصريف اللغوي لكل قبيلة من تلك القبائل , التي نطقت به قبل تشكل اللغة المشتركة (الفصحى) . وبعد أن تشكلت اختارت ظواهر لهجية معينة من مجموعة تلك اللهجات – وإن كان معظم ما اختارته من لهجة قريش – وابتعدت عن أخرى , لعلها تسربت إليها فيما بعد, مما أدى إلى بروز ظاهرة الشذوذ وضعف القياس .

وبعضهم حمله على التراكم اللغوي الذي أشار إليه إبراهيم السامرائي, يقول : " لعل خير ما يقال في هذا : إنَّ هذا الفعل ونظيره فضِل يَفْضُل وزن قديم لعله كان شائعاً في العربية قبل أن تتجه هذه اللغة إلى القياسية والضبط والتصنيف فثبت الشائع الكثير,وهجر القليل , ولكن هذا الهجران للقليل لم يأتِ على كل شيء , فقد تبقى بقية , وهذا الأمر يعرض لجميع الأمور التي تزول لسبب ما , فلا يعني أنها زالت دون أن يكون لها مخلّفات و " رواسب" كما يقال في عصرنا "(٢).

وأرى أنه ربما خرج العرب على القواعد القياسية لمنع الالتباس بين دلالات البنى المتماثلة (٣) , فمثلاً : دقّت المسألة تدِقّ , ودقَّ الرجلُ الشيءَ يَدُقُّه , فأدّى اختلاف حركة عين مضارع كل منهما إلى اختلاف الدلالة , وحسِبَ يحسُب تعني عدّ المال وتدبّر الأمر , وحسِب يحْسَب , ويَحْسِب , تعني اعتبر وظنّ .

---

(١) ابن جني , الخصائص : ١٧/٢ – ١٨ .

(٢) إبراهيم السامرائي : قطوف ونوادر: ٨٥ .

(٣) انظر : تأكيداً لذلك رأي الفراء في مضارع الفعل (كاد) , ابن قتيبة , أدب الكاتب : ٣١٦ .

٢. شواذ المشتقات:

يركّز هذا الجزء من الدراسة على شواذّ اسم المفعول، واسم الفاعل والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، وأفعل التفضيل، واسمي المكان والزمان، والمصدر الميمي؛ بسبب توافر أمثلة عليها، أودعها أصحاب المعاجم المدروسة مصنّفاتهم، أمّا شواذّ اسم الآلة ، فلم تُدْرس لخلو تلك المعاجم منها, كما تبين لنا بعد الفحص الدقيق .

أ–شواذّ اسم المفْعول:

معلوم أنّ اسم المفعول يُصاغ من الفعل الثلاثي على زنة (مَفْعول) ومن غير الثلاثي بإبدال حرف المضارعة فيه ميماً مضمومة ، وفتح ما قبل الآخر، ولا يُصاغ من اللازم إلاّ مع الظرف أو الجار و المجرور[١].

ولكن وردَ في معاجم الأفعال أمثلة جرت على غير القياس ؛ فعُدّت شاذّة، وتنحصر في ثلاث مجموعات، هي:

١–ما صيغ من الفعل الأجوف تامّا، أو مبدلاً ، نحو : باع– مبيع ومبيوع، وصان– مصون ومصْوون، وشاب– مشيب ، وقالوا: مشوب، وهاب– مهيب، وقالوا: مهوب[٢]، إلاّ أنّ الشذوذ في تلك المجموعة لا يعتمد على تغيّر بنى الأفعال، التي صيغت منها؛ لذا لم أتعرّض لهذه المجموعة في دراستي.

٢–ما صيغ من (أفعل) على (فاعل) وقياسه (مُفْعَل) ، نحو قولهم: " أسَمْتُ الماشية في المرعى فهي سائمة ، و لم يقولوا: مُسامة ، وهذا نادر، وأحسبهم أرادوا: أسَمْتُها أنا فسامت هي، فهي سائمة..." [٣].

---

(١) انظر: الحملاوي ، شذا العرف: ٧٥.

(٢) انظر: حسين، رفايعة، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي: ١٧٤–١٨٠، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة، ١٩٩٥م.

(٣) ابن خالويه، ليس في كلام العرب: ٢٢٦، وانظر: الفيومي، المصباح المنير: ٩٥١/٢.

ويذكر السيوطي في المزهر أنه " لم يأتِ اسم المفعول من أفعل على فاعل إلا حرف واحد، وهو قول العرب: أَسَمْتُ الماشية في المرعى فهي سائمة... [١]، بيد أنّي وجدت في معاجم الأفعال ما يعارض كلامه ، فقد وردَ فيها أمثلة أخرى من هذا القبيل، هي:

قولهم: أبْهَلْت الناقة فهي باهِلٌ ، على الشذوذ ، ومُبْهَلَة على القياس: إذا تركتها بلا صِرار ، ولا سِمَة " وقد قيل: إن قولهم ناقة باهل لم يعرفوا له فعلا"[٢]. وربّما أرادوا أيضاً: أبْهَلْتها أنا فَبَهَلت هي، فهي باهل، ويدعم ذلك ما جاء في معجم السرقسطي : " وبَهَلتِ الناقةُ بهولاً، وأبهلت: لم يكن عليها صِرار..." [٣]، وربّما قاد استواء صيغتي (فعل) و (أفْعَل) أحياناً في أداء المعنى- إلى تطوّر لغويّ ، نشأ عنه صيغ جديدة تتصارع في مستوى الأداء اللغوي.

و" أوْبقَني غَيْري ، فأنا وابقٍ ، ومُوبقٍ"[٤] بمعنى أهلكني، فالصورتان شاذّتان؛ لأنّ اسم المفعول من (أوْبق) هو (موبَق) . ويُقال فيه ما قيل في سابقه.

وقد فات محمد بهجة الأثري وحسين الرفايعة وسيف الدين الفقراء أن يذكروا هذين المثالين مع شواذ اسم المفعول[٥].

---

(١) السيوطي، المزهر: ٢/ ٨٨ .

(٢) السرقسطي: ٤/٦٨.

(٣) المصدر السابق: ٤/٦٨.

(٤) نفسه : ٤/٢٧٦.

(٥)انظر: محمد بهجة الأثري، تحرير المشتقات من مزاعم الشذوذ ص ٧٥٦-٧٥٧ ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الثاني، المجلد التاسع والأربعون، ١٩٧٤م , وحسين الرفايعة ، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي:١٧٩-١٨٠ ، وسيف الدين الفقراء، المشتقات الدالّة على الفاعليّة والمفعولية ، دراسة صرفيّة إحصائيّة ، ص ٧٤, رسالة دكتوراه، إشراف إسماعيل عمايرة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢م.

٣–ما صيغ من (أفعل) على (مفعول) وقياسه (مُفْعَل) :

فقد ذكرت مظانّ اللغة أمثلة عدّة على هذه المجموعة، نحو: أجنّ فهو مجنون، وأحبّ فهو محبوب ، وأحزن فهو محزون... [١] ومن الأمثلة التي أودعها أصحاب المعاجم المدروسة مصنّفاتهم على هذه المجموعة، ما يأتي:

أبرّ اللهُ حَجَّكَ فهو مبرور[٢]، وينفي محمد بهجة الأثري الشذوذ فيه، ويرى أن (مبرور) من الفعل (بُرَّ) ، فأبرَّ الله حجَّكَ لغة في برَّ اللهُ حَجَّك[٣] ، وهو بذلك يفترض وجود فعلٍ ثلاثيّ له , صيغ (مفعول) منه . وأبرز فهو مبروز، وحكى السرقسطي : " وأبْرَزْته أنا، فهو مبروز، ولا يُقال : بَرَزْتُهُ ، وهو نادر، وأنشد للبيد :

أوْ مُذْهَبٌ جَدَدٌ على أَلْواحِهِ ... نَّ الناطقُ المَبْروزُ والمخْتومُ

وأنكر ذلك الأصمعي، وقال: أظنُّه قال: المزبور، أي المكتوب" [٤]، وذكر في موضع آخر: " هو مَفْعول من أبْرزْت شاذّ"[٥]، وإذا أحسنا الظّن برواية البيت على (مبروز) فإنّ وجه الشذوذ في (مبروز) أنّ الفعل (بَرَزَ) بمعنى ظهر، فعلٌ لازم لا يُصاغ منه اسم المفعول إلا مع الظرف أو الجار والمجرور ، إلاّ أنّ ابن القطاع ذكر: بَرَزْت الكتاب ، بمعنى نشرته فهو مبروز[٦]. ويرى محقق كتاب ابن القطاع أنه " سقوط بعد –ع وأبرزتُ فهو مبروز؛ لأن(بَرَز) فعل لازم[٧]، غير متنبه إلى أن (برزَ) في (برزْتُ الكتابَ بمعنى نشرته) فعلٌ متعدٍ ، وعليه فلا شذوذ في كلام ابن القطاع.

---

(١)انظر:سيبويه،الكتاب:٦٧/٤، وابن قتيبة ، أدب الكاتب: ٤١٠، وابن خالويه، ليس في كلام العرب: ١٢١, وابن المؤدّب، دقائق التّصريف: ٣٦٤ والفيومي ، المصباح المنير : ٢/ ٩٥١ .

(٢)ابن القوطيّة: ١٢٧، والسرقسطي: ٦٥/٤ وابن القطاع: ٩٣/١-٩٤.

(٣) محمد بهجة الأثري، تحرير المشتقات: ٧٤١-٧٤٢ .

(٤) السرقسطي: ١١٨/٤. جعل محقق كتاب السرقسطي صدر بيت لبيد المذكور ينتهي عند (ألوا) والصحيح أنه ينتهي عند (الواحِهِ) وهذا ما جاء في الديوان أيضاً (ديوان لبيد بن ربيعة , دار صادر – بيروت , ص ١٥١) .

(٥) المصدر السابق: ١٩٤/٣.

(٦) ابن القطاع: ٩١/١.

(٧)انظر المصدر السابق: هامش (٩١/١).

وينفي أيضا الأثري الشذوذ فيه، فيقول: " وقد قالوا: برزه وأبرزه ، لزم أنْ يكـــون المبروز من الأوّل وهو لغة عامر قوم لبيد، وأن يكون المُبرَزُ من الثـــاني وهـــو لغـــة قبيلـــة أخرى..." [(١)] فهو يفترض وجود فعل ثلاثي، أُخذ منه اسم المفعول.

وقد تنبّه سيبويه على أن أفعال هذه المجموعة جاءت على زنة (فُعِل) ، نحو: جُنَّ ، وعلى ذلك قالوا: مجنون، وحُمِل عليها (فَعَلْتُه) ، نحو: جَنَنْته، وإنْ لم يُسْتعمل في الكلام، ثم استغنوا عنه بأفعلت[(٢)].

وعلى ذلك وجّه فوزي الشايب مجيء مفعول من (فُعِل) في الأفعال غير الإراديّة، " لأنّ فاعلها معروف غير مجهول، بيد أنه لم يُستعمل؛ لأن من المعلوم في غالب العادة أنه هو الله سبحانه، فطوى ذكره للعلم به"[(٣)]. وأرى أنه يمكن تفسيرها بما أورد الفيّومي: " أعلّه الله فَعُلّ فهو عليل ،وربّما جاء مَعْلول"[(٤)]، فمعلول من الفعل (عُلَّ) ثم استخـــدم في المزيـــد (أُعِلَّ).

ومما صيغ شذوذاً من (أفعل) على مفعول أيضاً: أقرنْتُ الرّمح فهو مقرون، ومُقْـــرَن ؛ بمعنى رفعته، " وهذا أحد ما جاء على مفعول من أفْعَلَ"[(٥)]. وقد فات الأثـــري وحســـين الرفايعة وسيف الدين الفقراء ذكره[(٦)].

ب–شواذ اسم الفاعل:

---

(١)محمد بهجة الأثري، تحرير المشتقات: ٧٤٢.

(٢) سيبويه، الكتاب: ٦٧/٤.

(٣) فوزي الشايب، المبني للمفعول ومظاهر التطوّر اللغوي: ٨٩، المجلّة العربيّة للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت، العدد الواحد والثلاثون، المجلد الثامن، ١٩٨٨م.

(٤)الفيّومي، المصباح المنير : ٩٥١/٢.

(٥) السرقسطي: ٦٩/٢-٧٠.

(٦) انظر: الأثري، تحرير المشتقات: ٧٤١-٧٥٦ ، وحسين الرفايعة، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي: ١٧٦، وسيف الدين الفقراء، المشتقات الدالّة على الفاعلية والمفعولية: ٧٠-٧١.

يُصاغ اسم الفاعل من الفعل الثلاثي على زنة (فاعل) ، ومن غير الثلاثي على زنة مضارعه بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة، وكسر ما قبل الآخر.

وقد وردَ في معاجم الأفعال أمثلة خرجت على هذه القاعدة ، يمكن دراستها في المجموعات الآتية:

١- ما جاء على زنة (أفعل) فهو (فاعل) ، وقياسه (مُفْعِل).

٢- ما جاء على زنة (أفعل) فهو (مُفْعَل) وقياسه (مُفْعِل).

٣-ما جاء على زنة (فَعَل) فهو (مَفْعول) ؛ وقياسه (فاعل).

٤-ما جاء على (أفعل) فهو (مَفْعول) وقياسه (مُفْعِل).

٥- ما جاء على (فعَل) فهو (مُفْعِل) ، وقياسه (فاعل).

١- ما جاء على زنة (أفعل) فهو (فاعل) ، وقياسه (مُفْعِل):

سجّلت معاجم الأفعال أمثلة على هذه المجموعة ، منها: أبْقَلَ الرِّمْثُ: إذا مُطِرَ، فظهر أول نَبْتِه ، فهو باقِل ، ولا يُقال : مُبْقِل . وقال غيره: أبقَلَتِ الأرضُ فهي مُبْقِلَة ، وبقيلة ، وبَقِلة. وقال الأصمعي : أبقل الموضعُ، فهو باقل من البَقل[١]".

وقد ورد أنّ الأصل الثلاثي (بقل) مستخدم أيضاً بهذا المعنى[٢]، فيكون (باقل) اسم الفاعل القياسي من (بَقَلَ) ، و (مُبْقِل) اسم الفاعل القياسي من (أَبْقَل) . أمّا (أبْقَل) فهو (باقل) فقد يُحْمل على تداخل اللغات، وقد يُحمل على الصيرورة ؛ بمعنى أصبح باقلاً، أو هو " نسبة إضافيّة بمعنى ذو الشيء"[٣]. ويرى حسين الرفايعة أن (أبقل مُبْقِل) مُقْتصر على الشعر؛ لذا رجّح أن يكون من باب الضرورة الشعريّة[٤]، ويمكن الردّ عليه بأنّ

(١) السرقسطي: ٧٦/٤.

(٢) انظر المصدر السابق: ٧٦/٤ وابن القطاع: ٧٠/١ والزبيدي، تاج العروس: ٢٣١/٧ والفيروز أبادي ، القاموس المحيط: ٣٤٦/٣.

(٣) الفيّومي، المصباح المنير: ٩٥٠/٢.

(٤) حسين رفايعة، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي: ١٦٦.

السرقسطي أورد قول بعضهم : " أبقلت الأرض فهي مُبْقِلة"[١] و لم يحدّد مجيئه بالشعر دون النثر. كما أنّ من يُنْعم النظر في البيت الذي ذكره لدواد بن أبي دواد، وهو :

أعاشَني بعدَك وادٍ مُبْقِلُ آكُلُ مِنْ حَوْذانِهِ [٦]وأنْسُلُ

الذي ظهرت فيه الصورة القياسيّة لاسم الفاعل من أبْقل- يجدُ أنّه لا وجود للضرورة الشعريّة فيه، فلو استخدم الشاعر (باقل) ما انكسر الوزن الشعري.

ومن هذه الأمثلة أيضاً: أحنط الرِّمثُ فهو حانط؛ أي ابْيضَّ[٢]، وأعْشَبَ فهو عاشب، وذكر السرقسطي : " وقالوا: بلدٌ عاشِب ومُعْشِب ، و لم يأتوا فيه بالفعل الثلاثي"[٣] إلاّ أنه ذكر في موضع آخر: " عَشِبَتِ الأرضُ [عَشباً] وأعشَبَتْ : أنبتت العُشْب"[٤]. وقد أشار ابن القوطيّة وابن القطاع، أيضاً، إلى استخدام المجرد والمزيد منه بالمعنى نفسه[٥]، وهذا يعني أنه ربّما قالت العرب: عَشِب فهو عاشب ، وأعْشَبَ فهو مُعْشِب، ثم تداخلت اللغات ؛ فنتج : أعشب فهو عاشب[٦] ، ويدعم ذلك ورود الصورة القياسيّة (مُعْشِب) في الشعر جاهليّه وإسلاميّه ، كما يذكر الأثري[٧].

ولعلّ كثرة استعمال النمط الشاذّ (عاشِب) وقلّة استعمال النمط القياسي (مُعْشِب) مما يُظهر صراعاً بين نمطين من أنماط الاستخدام اللغوي، " وقد يكون النمط الشاذّ وسيلة لأداء معانٍ جديدة"[٨] منها النسب ؛ أي ذو عشب[٩]، أو على الصيرورة ؛ أي صار عاشباً، وربّما شجّع استواء الصيغة المجرّدة (فعل) مع الصيغة المزيدة (أفعل) في أداء المعنى أحياناً- على التطوّر اللغوي والاستغناء عن مُعْشب بصيغة عاشب[١٠].

---

(١) السرقسطي: ٤/٧٦.

(٦) الحوذان : اسم نبت , وأنسل : أسمنُ حتى يسقط الشعر.

(٢)السرقسطي : ١/٣٣٢.

(٣)نفسه: ١/٢٣٨.

(٤) نفسه: ١/٢٠١.

(٥) انظر: ابن القوطيّة: ١٦ وابن القطاع: ٢/٣٣٥.

(٦) انظر: الفيومي، المصباح المنير : ٢/٩٥٠.

(٧) انظر: الأثري، تحرير المشتقات: ٧٢٩-٧٣٠.

(٨) انظر: سيف الدين الفقراء، المشتقات الدالّة على الفاعليّة والمفعوليّة: ٧٥.

(٩) الفيومي: المصباح المنير: ٢/٩٥٠.

(١٠) انظر: سيف الدين الفقراء، المشتقات الدالّة على الفاعلية والمفعوليّة: ٧٦.

وذكر السرقسطي : " وأقرب القوم: إذا كانت إبلُهُم قوارب في طلب الماء، فهم قاربون ، ولا يُقال مقربون، وهذا الحرف شاذّ"[١]، ويخرَّج هذا الشذوذ على النسب أيضاً، أي ذو قرب[٢]. وذكر السرقسطي أيضا: " وأمحل البلد: أجْدَبَ ، وبلدٌ ماحلٌ ذو مَحْل ، مثل لابن ، وتامر ... وأمحل القوم: صاروا في المَحْل"[٣]، ففسّر بذلك أصحاب معاجم الأفعال هذا الشذوذ على النسب؛ أي ذو مَحْلٍ، مثل: لابن وتامر، وجاء السرقسطي أيضاً بمعنى آخر، وهو الصيرورة ؛ أي صاروا في المحل.

" وأورقَ الشجرُ: نبتَ ورقُهُ ، وشجرةٌ وارِقة ، وشجر وارِق ، ولا فعل ثلاثيّ له"[٤]. ويرى ابن القوطيّة أنه على النسب ؛ أيْ ذو وَرَق ، وليس له فعل ثلاثي[٥], فكل ما جاءَ على النسب، مثل لابن ، وتامر... ليس من المشتقات كما قرّر علماء اللغة"[٦]. أمّا (وارق) عندما تكون من المشتقات ، فإنها عندئذٍ من الفعل الثلاثي (ورق) ، وقد أكد ذلك قول ابن القطاع أنّ ورق الشجرُ وأورق بمعنى خرج ورقه ونبت[٧].

وبعد فيحمل ما جاءَ على (فاعل) من (أفعل) على تداخل اللغات أو النسب أو الصيرورة، أو التطّور اللغوي، الذي شجّع عليه استواء صيغتي (فعل) و (أفعل) أحياناً في أداء المعنى، فاستواء المجرّد والمزيد قد يقود إلى التطوّر اللغوي ونشوء صيغ جديدة ، تتصارع في الأداء اللغوي.

٢–ما جاءَ على (أفعل) فهو (مُفْعَل) وقياسه (مُفْعِل):

ومن الأمثلة على ذلك في معاجم الأفعال: أحصن فهو مُحْصَن ، وجاءَ أيضاً بالكسر مُحْصِن[٨]، وأذهبُ مذهب الأثري في نفي الشذوذ عنه [٩]، معتمدةً على ما ذكره ابن

---

(١) السرقسطي: ٨٣/٢ وانظر: ابن القطاع: ٢٧/٣.

(٢) انظر: الفيومي، المصباح المنير: ٩٥٠/٢.

(٣) السرقسطي: ١٤٩/٤ وانظر: ابن القوطيّة : ١٥٠ وابن القطاع: ١٦٧/٣.

(٤)السرقسطي : ٢٤٣/٤.

(٥) ابن القوطيّة: ١٥٩.

(٦) الأثري، تحرير المشتقات: ٧٣٢.

(٧) ابن القطّاع: ٢٩٤/٣-٢٩٥.

(٨) ابن القطاع: ٢٢١/١.

(٩) انظر: الأثري، تحرير المشتقات: ٧٣٦.

القطّاع، والفيومي[١]؛ فأحصن الرجلُ فهو مُحْصِن بالكسر على القياس للزوم الفعل، وأحْصَنَتْهُ امرأتُه فهو مُحْصَن بالفتح على القياس أيضاً لتعدّي الفعل.

وأسهب فهو مُسْهَب ، وقد ذكر السرقسطي : " وأسْهبَ في الكلام: أكثر، فهو مُسْهَب: سماعٌ من العرب... وروى أبو زيد عن الكلابيّين : المُسْهَب: الذي لا تنتهي نفسُه عن الطعام والشراب، ولا عن الطمع ، ولا عن شيء، وأنشد: فماتَ شبعانَ وعاش مُسْهَبا . وأسهب العطاء: أكثر منه. يقُال : فرس سِهْب، ومُسْهَب: جواد كثير العطاء..." [٢]، ويمكن توجيه ذلك " بأنّ في الكلام مضافاً محذوفاً استَتَر الضميرُ بعد حذفه، والتقدير: مُسْهَبٌ كلامُهُ"[٣] وكذلك مُسْهَبٌ عطاؤُه وطعامُهُ. وأمّا أُسْهِبَ الرجل بمعنى تغيّر وجهه فهو مُسْهَب، فعلى القياس، وكذلك الأمر في (رجل مسهَب) للذاهب عقله من لدغ الحيّة[٤]،وفرّق بعضهم بين (مُسْهَب) بالفتح، و (مُسْهِب) بالكسر؛ فالرجل إذا أَسْهَبَ في الفصيح من الكلام؛ فاسم الفاعل على أصله (مُسْهِب) ، وإذا أسهب في الخطأ فهو بالفتح (مُسْهَب) لأنه كالعيب فيه[٥].

والقول في (أسهم الرجلُ فهو مُسْهَم بمعنى أكثر) [٦] كالقول في سابقه، فهو يدلّ على المعنى نفسه، كما أن الميم والباء تتعاقبان للقرب المخرجي بينهما، وأَلْفَجَ الرجل فهو مُلْفَج: إذا رقّت حاله، " وهذا أحدُ ما جاءَ على أفعل فهو مُفْعَل"[٧]، وسُمِع أيضا (أُلفِجَ) فهو (مُلْفَج) على القياس؛ بمعنى أفلس وذهب ماله[٨]، وأَلْفَجَتْهُ إليك الحاجّه بمعنى اضطرّته فهو مُلْفَج[٩]، لا شذوذ فيه كذلك .

---

(١) انظر: ابن القطّاع: ٢٢١/١ والفيّومي ، المصباح المنير: ٩٥١/٢.

(٢) السرقسطي: ٥٦٨/٣ وانظر: ابن القوطيّة: ١٦٦.

(٣) عبد الفتاح الحموز، مواضع اللبس في العربية وأمن لبسها: ٢٩، مجلّة مؤتة للبحوث والدراسات ، المجلد الثاني، العدد الأول ، حزيران ١٩٨٧.

(٤) ابن القطّاع: ١٣٦/٢.

(٥) الفيّومي: المصباح المنير: ٩٥١/٢ وانظر: الزبيدي، تاج العروس: ٣٠٣/١.

(٦) ابن القطّاع: ١٣١/٢.

(٧) السرقسطي: ٤٧٣/٢.

(٨) ابن القطاع: ١٣٨/٣، والفيّومي، المصباح المنير: ٩٥٠/٢ –٩٥١.

(٩) ابن القطّاع: ١٣٨/٣.

ولعلّ استعمال الصيغة الشاذّة إلى جانب الصيغة القياسّية يعكس مظهراً من مظـــاهر صراع الأنماط اللغويّة ، وربّما كانت الغلبة فيه للنمط الشاذ الأكثر استخداماً [١].

٣- ما جاءَ على (فعَل) فهو مَفْعول ، وقياسه (فاعل).

وردَ عن العرب، خلافاً للقياس، أنّهم صاغوا من (فَعَل) الـــلازم مفعـــولاً، دون أن يتعلق بظرف أو جار ومجرور ، ومن الأمثلة على ذلك: " أدِرَ أدَراً: عَرضت له الأُدْرة . قال أبو عثمان: فهو آدِر ومأْدور..." [٢] فآدِر على القياس؛ لأنّ الفعل (أدِر) لازم، ومأْدور على الشذوذ ؛ لأن مَفْعول لا يُصاغ إلا من الثلاثي المتعدّي، وقد ردَّ الأثري هذا الشذوذ بـــأن فِعْلَ مأدور هو (أَدَرَ) المتعدّي بفتح عين الفعل، فالفاعل معروف هو الله عـــز وجـــل، إذْ يقول: " فلنا أن نقول: أدَرَ الله فلاناً ، إذا أصابه بالأُدْرة ، أو أُدِرَ فلان، فهو مـــأدْور "[٣], وأورد الأثري أيضاً: " وقالوا في " محرور" وهو مَنْ تداخلته الحرارة، ما قالوه في " مسقوطة" و " مضعوف" : إنّه لم يأتِ منه فعل متعدٍ" إلاّ أنّه أثبت صوغه من فعل متعدٍ أيضا اعتماداً على ما في المعاجم اللغويَّة[٤].

وقد ذكر السرقسطي: " وَحُرَّ حَرّاً: أخذته الحرارة، فهو محرور"[٥]، وعليه فلا شذوذ فيه، فهو كجُنَّ وسُلَّ، فهو مجنون ومسلول.

ومن ذلك أيضاً: " بعير مَأْروط، إذا اشتكى عن أكل الأرْطى ، قال أبو عثمان: هذا نادر خارج عن الباب"[٦]؛ لأنه من (فَعِل) اللازمة ، " فالقياس المطّرد أن يكون على البنـــاء

(١) سيف الدين الفقراء، المشتقّات الدالّة على الفاعليّة والمفعوليّة: ٧٦.
(٢) السرقسطي: ١/١١٣.
(٣) الأثري، تحرير المشتقات: ٧٢٦.
(٤) المرجع السابق: ٧٢٦.
(٥) السرقسطي: ١/٣٣٦.
(٦) المصدر السابق: ١/٧١-٧٢.

الذي يأتي في الأدواء، وجميع هذا الباب يأتي على " فَعِلَ فَعَلاً" نحو: رَمِثت الإبل رَمثـاً: إذا اشتكت من أكل الرِّمث..." [١].

٤- ما جاءَ على (أفعل) فهو (مَفْعول) ، وقياسه (مُفْعِل):

ومن ذلك قول السرقسطي: " ويُقال أرْوَحَ الشيء فهو مَروحٌ، وأراح فهو مُرِيحٌ، إذا أَنْتَن "[٢] فمرُيح على القياس، أمّا مروح فتخالفه لأمرين: الأوّل: أن الفعل (أروح) فعـلٌ لازم ، ولا يُصاغ اسم المفعول من اللازم غير المتعلق بظرف أو جار ومجرور، والأخـير أنّ فعلها غير ثلاثيّ، وهو (أرْوح) ، فقياس اسم فاعله(مُريح) وليس (مَروح) ، ومن ذلـك أيضاً أصافت الناقة فهي مَصِيف : إذا نُتِجت في الصيف[٣].

٥- ما جاءَ على (فعَل) فهو (مُفْعِل)، وقياسه (فاعل):

ذكر السرقسطي: " وتاهت الأرض، فهي مُتيهَة"[٤]، وذكر أيضاً: " وخشف الدليل خَشفاناً: أسرع ، قال أبو عثمان : يقال: دليل مُخْشِف وخشوفٌ: إذا كان يخشِف بالقوم، وهو الجريء على الليل..." [٥]، ولعلّ ذلك مما يُظهر صراع الأنماط اللغويّة، الـذي ربّمـا كانت الغلبة فيه للنمط الشاذ الأكثر شيوعاً بين ناطقي العربيّة ، وهو صراع نـاجم عـن استواء (فعل) و (أفعل) في الدلالة على معنى واحد في أحيان كثيرة.

جـ- شواذّ الصّفة المشبهة:

لا تُصاغ الصّفة المشبهة إلا من الفعل اللازم[٦]، ولكن سجّلت معاجم الأفعال أمثلة عليها تجانب القياس، إذْ صيغت من الفعل المتعدي ، منها: حنيك؛ لقويّ الرأي، فهو مـن

---

(١) نفسه: ٧٢/١.

(٢) نفسه: ٥٥/٣.

(٣) نفسه: ٤٠٠/٣.

(٤) السرقسطي : ٣٧٠/٣.

(٥) نفسه:٤٦١/١.

(٦) الصبّان، الحاشية : ٣/٣.

الفعل المتعدّي: حَنَكَتْه السنّ[١]، وخطيب من "خَطَبْتُ القومَ، وعليهم خُطبة"[٢]، وفقيه من فَقِه وفَقُه[٣]، وعريف من عَرَف وعَرُف[٤]، وأيضاً: ضريبُ قداح، وصريمٌ للصارم[٥].

وقد فسّر سيبويه ذلك بأنّهم " حين لم يريدوا به الفعل، شبّهوه بظريف ونحـــوه"[٦] وتبعه ابن جنّي ، فعدّه من قبيل النقل من بابي (فَعِل وفَعَل) إلى باب (فَعُل) عند إرادة لزوم الصفة وثباتها فيقول " لمّا كان العلم قد يكون الوصف بعد المزاولة له، وطول الملابســة، صار كأنّه غريزة، و لم يكن على أول دخول فيه، ولو كان كذلك لكان متعلماً لا عالمــاً ، فلمّا خرج بالغريزة إلى باب (فَعُلَ) صار (عالم) في المعنى كعليم"[٧].

وتبع السرقسطي سيبويه في تفسير ذلك، بقوله: كأنّهم أرادوا الصّفة اللازمة، لما فيه من معنى التكثير، والنسب، شبهوه بظريف ونحوه"[٨].

وبناءً على ما سبق ،يمكن أن نخلص إلى أنّ ما هو نحو: حنيــك وخطيــب وفقيــه وعريف وضريب وصريم- جاء على فعيل للدلالة على ثبوت الوصف، وأنه صار سجيّةً في صاحبه بعد أن غُيّرت أفعالها من بابي (فعَل) أو (فعِل) إلى باب (فعُل)؛ وتباعاً لذلك أفادت معنى اللزوم في الفعل، وهذا يسوّغ بناء الصفة المشبّهة منها، ويدعم ذلك مجيء بعضها على صورة (فَعُل) أيضا في معاجم الأفعال، نحو: فقُه وعَرُف ، فكلُّ فعل ثلاثي يمكن تحويلــه إلى (فَعُل) للدلالة على ثبوت الصفة , وأنها صارت سجيّة في صاحبها ,أو بقصد المدح أو الذم أو التعجّب ، وهذا يؤيّد ما ذهب إليه الصبّان من أنّ ما هو نحو هذه الصفات، لا يُبْنى " إلاّ إذا أُريد اللزوم أصالة فقط"[٩]؛ أي بتحويله إلى (فَعُل) ؛ وهذا يعني أنّ باب (فَعُل) فــرع لباب(نَصَرَ) بعد أن صار معنى باب (فَعَل) كالغريزة في صاحبه أو التعجب[١٠].

---

(١) السرقسطي: ٣٢٩/١.

(٢) ابن القطّاع:٢٩٣/١.

(٣) السرقسطي: ٤٨/٤ وابن القطاع: ٤٧٥/٢.

(٤) السرقسطي: ٦٣/١، ٢٣٦ وابن القطاع: ٣٣٨/٢

(٥) السرقسطي: ٦٣/١.

(٦) سيبويه، الكتاب: ٧/٤.

(٧) الزبيدي، تاج العروس: ٤٠٥/٨.

(٨) السرقسطي: ٦٢/١-٦٣.

(٩)الصبّان، الحاشية: ٣/٣.

(١٠)انظر: إبراهيم أنيس، منهج الإحصاء في البحث اللغوي: ٢١, مجلة كلية الآداب , الجامعة الأردنية , المجلد الأول , العدد الثاني , ١٩٦٩ .

كما أن وجود ما هو نحو : فَقُه وفَقِه ، وعَرُف وعَرَف في الواقع الاستعمالي الفعلي للغة العربيّة يدلّ على صراع ظاهر بين البنيتين العميقتين (فَعِل) و (فَعَـل) وبـين البنيـة السطحيّة (فَعُل) ، ويؤكّد ذلك تعايشهما معا في الأداء الفعلي للغة[١].

د–أفعل التفضيل:

يُصاغ اسم التفضيل القياسي على زنة (أفعل) ، ويُراد بـه الوصـف بالزيـادة ، ويشترك مع التعجب في المعنى واللفظ؛ لذا اشتركا في شروط صوغهما، وهذه الشروط هي: أن يكون لهما فعـل وأن يكون هذا الفعل ثلاثياً، وتامّاً ، ومتصرّفاً ، وقـابلاً للتفـاوت ، ومثبتاً ، ومبنيًّا للمعلوم، وليس الوصف منه على أفعل الذي مؤنثه فعلاء، ولا فَعْلان الـذي مؤنثه فَعْلى[٢].

ومما عُدّ شاذّاً ما صيغ مما ليس له فعل، نحو: هو أَقْمَنُ بكذا ؛ أي أحقّ بـه[٣]، و لم تسجّل معاجم الأفعال هذا الشذوذ إلاّ أنها أكّدته لعدم وجود الفعل (قمن) فيها، ونحـو: ألصُّ من شِظاظ بَنَوْه [٤]. وقد أظهرت معاجم الأفعال أنّ له فعلاً، وهو (لَصَّ) بمعنى استتر،

وحينئذٍ لا شذوذ فيه ، فقد جاءَ: " ولَصَصْتُ الشيء لصّاً: فعلتـه في سـتْر، منـه اللِصُّ..." [٥].

ومما عُدّ شاذّاً أيضاً ما صيغ من غير الثلاثي، نحو: هذا الكلامُ أخصر من غيره، من الفعل اخْتُصِرَ[٦]، و لم تسجّل معاجم الأفعال هذا الشذوذ إلاّ أنها أكّدته لعدم احتوائها على فعله الثلاثي، الدالّ على المعنى نفسـه، وربّما استغنت العربيّة عن المجـرّد بالمزيـد فأقيـم (اختصر) مقام (خَصَرَ) ؛ فيكون عندئذٍ الفعل (اختصر) من الأفعال المزيدة التي ليس لهـا مجرد.

---

(١)انظر: سيف الدين الفقراء، المشتقّات الدالة على الفاعليّة والمفعوليّة:٦٨.

(٢)انظر: الحملاوي ، شذا العرف: ٧٨ , ٧٩ , ٨١ وعبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربيّـة: ١١٨-١١٩.

(٣)الحملاوي، شذا العرف: ٧٨.

(٤)المرجع السابق: ٧٨.

(٥)ابن القوطية : ٢٤٧ والسرقسطي: ٤٤٤/٢ وابن القطاع: ١٤٤/٣.

(٦) الحملاوي، شذا العرف: ٧٨، وفيه شذوذ آخر، وهو أنه من الفعل المبني للمجهول.

وعدّ بعضهم (أعطى) من الشذوذ ؛ لأنّ العربيّة استغنت بالفعل (أعطى) عن الفعل (عطي)[١]. إلاّ أنّ معاجم الأفعال ذكرت له فعلاً ثلاثياً، إذْ وردَ فيها: " عَطَوْتُ الشيء عطواً : تناولته، وأعطيتك الشيء: ناولتُكه"[٢]، وهذا يدعم ما قاله الحملاوي: " وسُمِع هو أعطاهم بالدراهم، وأولاهم للمعروف، وهذا المكان أقفر من غيره، وبعضهم جوَّز بناءَه من أفعل مطلقاً، وبعضهم جوّزه إنْ كانت الهمزة لغير النقل"[٣].

وعدّ صاحب الخزانة (أبغض) " اسم تفضيل على غير قياس، لأنه بمعنى اسم المفعول من أبغضْته إبغاضاً فهو مبغَض ، أي مقتّه وكرهته، ولأنه من غير الثلاثي"[٤]، إلاّ أنه يقول أيضاً في الموضع نفسه: " أو هو من بَغُض الشيء بغاضة صار بغيضاً فلا شذوذ"، وقد أكّد عدم شذوذه سيبويه[٥] وأصحاب معاجم الأفعال ؛ لوجود فعل ثلاثيّ له، إذْ ذكروا: " بَغُضَ الشيء بغاضة : صار بغيضاً، وأبغضته : كرهته"[٦].

وذكر ابن القطّاع : " و (أفقره) الله تعالى من الفقر وفقُر الإنسان وفقِر فَقَراً فهو فقير ، ومن كلام العرب " ما أفقره وما أغناه" وهو شاذّ لأنه يقال فيهما افتقر واستغنى"[٧]، وهما صيغتا تعجب، والتعجب يشترك مع التفضيل في اللفظ والمعنى، ويبدو من كلام ابن القطاع أن الجذرين (فَقُر) و (غني) وإنْ كانا موجودين ، فإنهما غير مستخدمين في الواقع اللغوي، إذْ استُغني عنهما بـ (افتقر) و (استغنى).

وعدّ شاذّاً أيضاً ما صيغ من المبني للمفعول ، نحو: أَخْصَر من غيره ،و " أشْغَل من ذات النحيَيْن" و " أزهى من ديك" من اختُصِرَ ، وشُغِل ، وزُهي[٨]، وما أجنّه من جُنَّ[٩]. وأرى أنّ الشذوذ في (أخْصر) مما لا خلاف فيه، أمّا شذوذ (أزْهى وأشْغَل وأجنّ) ففيه

---

(١) حسين الرفايعة، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي: ١٨٣.

(٢) ابن القوطيّة: ٢٤-٢٥ وانظر: السرقسطي: ٢٤٨/١ وابن القطاع: ٣٩٦/٢-٣٩٧.

(٣) الحملاوي، شذا العرف: ٧٨-٧٩.

(٤) البغدادي، خزانة الأدب : ٣٦/١.

(٥) سيبويه، الكتاب: ١٠٠/٤.

(٦) ابن القوطيّة: ١٣١ والسرقسطي: ٨٨/٤ وابن القطاع: ٧٧/١.

(٧) ابن القطّاع: ٤٦١/٢.

(٨) الحملاوي، شذا العرف: ٧٩.

(٩) سيبويه، الكتاب: ٩٩/٤.

نظر؛ لأن معاجم الأفعال ذكرت لها أيضاً أفعالاً مبنيّة للمعلوم[١]؛ فتكون بذلك مبنيّة من الفعل المبني للمعلوم، وقد ذكر ابن القطّاع : " و (زَها) أيضاً عن ابن دريد، ومنه قولهم في التعجّب: ما أزهاه"[٢]؛ لهذا السبب ينفي الحملاوي الشذوذ عن (ما أزهاه).

هـ- صيغ المبالغة:

تُبنى صيغة المبالغة من فعل ثلاثي، إلاّ أنّ ابن القوطيّة أورد في معجمه ما يُظهر بناءَها من الرباعي، نحو: سلوب، إذْ يقول: " وأسلبت الناقة وغيرها ألقت ولدَها فهي سَلُوب"[٣]، ونحو: زَمُوع، إذْ يقول: " وزمَعَتِ الأرنب زُمُوعاً وأزمعت: أسرعت ، فهي زَمُوع "[٤]، ويمكن تفسير ما هو نحوها بأنّه لغة[٥]،ويدعم ذلك استخدام فعل وأفعل بمعنى واحد، نحو: زَمَعَت وأزمَعَت بمعنى أسرعت.

و- اسما الزمان والمكان:

يُصاغ اسما الزمان والمكان من الثلاثي على زنة (مَفْعَل) إذا كان المضارع مضموم العين أو مفتوحها ، أو كان الفعل معتل اللام مطلقاً ، كَمَنْصَر ومَذْهَب ومَرْمَى ومَسْعَى، وعلى زنة (مَفْعِل) إذا كان المضارع مكسور العين، أو كان الفعل مثالاً مطلقاً في غير معتل اللام ، نحو: مجلِس ومَوْعِد[٦].

وشذّ من هذا الباب في معاجم الأفعال: مَسْقِط الرأس[٧]، وقد يُحمل هذا الشذوذ على "تحقيق أمْن اللبس بين الدلالة الخاصّة، والدلالة العامّة المطلقة، وكأنَّ العرب جنحت

(١) انظر: ابن القوطية (زها) ١٣٨، و (شغل) ٧٦، والسرقسطي (زها) ٤٨٢/٣، و(شغل) ٣٢٥/٢، و(جُنّ) ٢٨٤/٢ وابن القطاع (شغل) ١٧٧/٢، و (زها) ١٠٦/٢.

(٢) ابن القطاع: ١٠٦/٢.

(٣) ابن القوطيّة: ٧٢ وانظر: ابن القطّاع: ١٢٨/٢.

(٤) ابن القوطيّة: ١٣٨ وانظر: ابن القطاع: ٨٤/٢.

(٥) الزبيدي، تاج العروس: ٣٧١/٥.

(٦) انظر: الفيومي، المصباح المنير: ٩٦١/٢-٩٦٥ والحملاوي : شذا العرف ٨٢.

(٧) السرقسطي: ٥١٥/٣.

نحو الكسر في هذه الألفاظ ، لإصابة الدلالة الخاصّة، فقولهم: البصرة مُسْقِط رأسي، والقياس مَسْقَط بالفتح انحراف نحو تحقيق أمْن اللبس بين الدلالة الخاصّة (مَسْقِط) بالكسر، والدلالة العامّة (مَسْقَط) بالفتح على القياس، إذْ لا يعقل أن تكون البصرة كلها موضعاً لمولده، فلمّا أُريد التخصيص قيل: (مَسْقِط) بالكسر، ولو أراد العموم لقال: مَسْقَط بالفتح) "[١], ويُعزّز ذلك أنّ مَسْقَط النجم والسوط بالفتح، بينما مَسْقِط الرأس والرمل بالكسر[٢].

وقد أشار الحملاوي إلى دور المعنى في تحديد (مَفْعِل) أو (مَفْعَل) عند حديثه عن مَسْجِد ومَسْجَد ، فَمَسْجِد للمكان الذي بُني للعبادة، وإنْ لم يُسْجد فيه ، ومَسْجَد لموضع السجود[٣].

ومَنْقِع الماء من (نَقَع يَنْقَع) [٤]، فالقياس فيه (مَنْقَع) . وأيضاً يذكر ابن القوطيّة أنّ مما جاء بالكسر وقياسه الفتح: " المَشْرِق والمَغْرِب والمَسْجِد اسم البيت ، والمَجْزِر موضع الجِزارة"[٥]. ومما جاءَ باللغتين (الفتح والكسر) : المطلَع ، والمَنْسَك ، والمَسْكَن ، ومَفْرَق الرأس والطريق، والمَحْشَر ، والمَنْبَت، والمَذَمَّة، والمَحَلّ، ومَأْوِي الإبل بالكسر، والمَأْوَى لغير الإبل بالفتح على القياس[٦]، وهذا الأخير يؤيّد أنّ تغيير الحركة في (المفعل) يُسهم في تحقيق أمن اللبس بين الدلالة الخاصّة (مَفْعِل) والدلالة العامّة المطلقة (مَفْعَل)، مع أنَّ بعضهم يقول: مأْوَى الإبل بالفتح أيضاً[٧].

وشذّ أيضاً ألفاظ جاءت على زنة (مَفْعَل) وقياسُها (مَفْعِل) ؛ لأن مضارعها مكسور العين، منها: " أرض مَهْلَكَة ومَهْلِكة... ومن المضاعَف، مَدِبّ النمل ومَدَبُّه حيث يدِبّ، والمَزَلّة موضع الزَلل والمَزِلّة، وعِلْقُ مَضنةٍ ومَضَنَّة"[٨] فجاءت بالفتح والكسر، وشذّ أيضا : مَوْحَل لموضع الوَحل , وجاءت أيضاً على القياس (مَوْحِل)؛ لأنّ فاء الفعل واو[٩].

---

(١) حسين الرفايعة ، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي: ١٨٦.

(٢) انظر: السرقسطي: ٥١٥/٣ وحسين الرفايعة ، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي: ١٨٦-١٨٧.

(٣) الحملاوي، شذا العرف: ٨٣.

(٤) السرقسطي: ١٣٠/٣.

(٥) ابن القوطيّة: ٤.

(٦) المصدر السابق: ٤.

(٧) الفيومي، المصباح المنير: ٩٦٣/٢.

(٨) ابن القوطيّة: ٤.

(٩) المصدر السابق: ٥.

ويرى عبد الصبور شاهين أن خروج هذه الألفاظ على القاعدة يعود إلى " أنها لم يقصد بها التعبير عن اسم الزمان أو المكان، بالمعنى النحوي، بل هي أسماء لأماكن معيّنة، فهي إطلاقات خاصة، لا تندرج تحت شروط الصيغة"(١).

ز- المصدر الميمي

يُصاغ المصدر الميمي من الثلاثي على زنة (مَفْعَل) ، نحو: مَنْصَر ومَضْرَب، إذا لم يكن مثالاً صحيح اللام ، تحذف فاءه في المضارع كوعَدَ ، فاؤه حينئذٍ يكون على زنة مَفْعِل(٢).

وشذّ من ذلك في معاجم الأفعال: مَرْجِع، بمعنى الرجوع(٣)، ومَعْذِرَة ومَعْرِفة، والقياس فيها بالفتح(٤). وقالوا أيضاً بالفتح والكسر: " المَعْجِزُ والمَعْجَزُ في العجز..."، وكذلك قالوا في المَعْجِزَة والمَعْجَزَة والمَعْتِبَة والمَعْتَبَة"(٥)، ومما شذَّ أيضا : المَكْبِر بمعنى الكِبَر، والمَحْمِدَة بمعنى الحمد، والمَعْصِيَة(٦)، فالقياس فيها الفتح.

وقد يُحْمَلُ هذا الشذوذ على أنّه فصل بين الاسم والمصدر، لاحتمال حدوث اللبس بينهما، إنْ تَجَرَّدَ البناء عن السياق، إذْ يلتقي اسما المكان والزمان مع المصدر الميمي في (مَفْعَل) القياسيّ، فجعلوا (مَفْعِل) للمصدر الميمي في هذه الألفاظ ، و(مَفْعَل) لاسمي المكان والزمان، وقد أشار إلى ذلك ابن القوطيّة، بقوله: " ومنها أسماء مبنيّة بالزيادة تُشبهُ المصادر في وزنها وتخالفها في بعض حركاتها للفصل بين الاسم والمصدر"(٧).

٣- الأفعال المماثة:

---

(١) عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية: ١٢٠.

(٢) الحملاوي، شذا العرف: ٧٣.

(٣) ابن القوطيّة: ٣ والسرقسطي: ٢٣/٣ وانظر: الفيومي، المصباح المنير: ٩٦٢/٢.

(٤) ابن القوطيّة:٣ وانظر: الفيومي ، المصباح المنير: ٩٦٢/٢.

(٥) ابن القوطيّة: ٣.

(٦) المصدر السابق: ٤ وانظر: الفيومي، المصباح المنير: ٩٦٣/٢.

(٧) ابن القوطيّة: ٣.

أُميتت بعض الأفعال من الواقع الاستعمالي للغة، ومن هذه الأفعال ما ذكره السرقسطي: " ويُقال: حَتَد بالمكان يحْتِد حَتْداً: [إذا أقام به] قال: وهي لغة مرغوب عنها، وقد أُميتت "[١]، وذكر ابن القطاع هذا الفعل ومصدره (حُتُود) دون أن يشير إلى موته[٢]، أمّا ابن القوطيّة فلم يذكره في معجمه ، وهذا يؤكّد موته من الواقع اللغوي.

ويمكن تفسير موت هذا الفعل اعتماداً على صفات الأصوات، فالتّاء والدّال صوتان يخرجان من مخرج واحد، ولا يختلفان إلا في أن الدال هي النظير المجهور للتّاء ، وتجاورهما يشكّل صعوبة نطقيّة ، فمن شروط فصاحة الكلمة ألا يتجاور فيها صوتان من مخرج واحد؛ لهذا أُهمل الفعل (حتد) ، فأُميت.

ومما أُميت أيضاً : بعض تصريفات الفعل (هاط) ، فقد وردَ في معاجم الأفعال: " وما زال (يَهيط) مرّة ويَهيط أخرى- لا ماضي ليهيط- والهياط الصياح منه والمياط الدفاع"[٣]. وجاءَ في لسان العرب: " الهياط اجتماع الناس للصلح، والمياط التفرّق عن ذلك، وقد أُميت فِعْل الهياط"[٤]، فأُميت الفعل (هاط) ؛ إذْ لم يرد عن العرب استخدامهم إيّاه ، ولم يرد أيضاً أنهم استغنوا عنه بفعل آخر، ومما يجْدرُ ذكره أنّ المحدثين لم يتنبّهوا على هذا التصريف الممات.

و أُميت أيضاً بعض تصريفات الفعل (وَذَرَ) ؛ بمعنى ترك، وقد صرّح السرقسطي بذلك، فقال: " والعربُ قد أماتت الفعل الماضي من يَذَر، والمصدر، فإذا أرادوا المصدر قالوا: ذَرْه تَرْكاً ، قاله صاحب العين"[٥]. أمّا ابن القوطيّة وابن القطّاع فلم يذكرا هذا الفعل بهذا المعنى في معجميها. ومثلُ (وذر) الفعل (وَدَعَ) إلاّ أنّ معاجم الأفعال ذكرته، فجاء فيها: " وَدَعْتُ الشيء وَدْعاً: تركته"[٦]، وقد ذكر السرقسطي في معجمه بيتين يؤكّدان استخدام ماضيه : الأوّل لأبي الأسود الدؤلي ، وهو:

---

(١) السرقسطي: ٣٩٤/١.

(٢) ابن القطّاع: ٢٢٧/١.

(٣) ابن القوطيّة: ١٨٦، وانظر: السرقسطي: ١٨٢/١، وابن القطّاع: ٣٦٦/٣.

(٤) ابن منظور (هيط) ٤٢٤/٧.

(٥) السرقسطي: ٢٦٧/٤.

(٦) ابن القوطية: ١٦٠ وانظر: السرقسطي: ٢٤٣/٤ وابن القطّاع: ٣٠٦/٣.

لَيْتَ شِعْري عن خَليلي ما الذي غالَهُ في الوُدِّ حتّى وَدَعَهْ

والثاني لسويد بن أبي كاهل، وهو:

فسَعى مَسْعاتَهُمْ في قَوْمِهِم ثُمَّ لم يَظْفَرْ ولا عَجْزاً وَدَعْ[١]

وقد وردَ عن بعضهم أنه قرأ: " ما وَدَعك ربّك وما قَلى" بالتخفيف ، بمعنى: ما تركك[٢]. وروى ابن عباس – رضي الله عنهما- عن النبيّ , صلى الله عليه وسلم, أنّه قال: " لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عن وَدْعِهم الجُمُعاتِ أو لَيُخْتَمَنَّ على قلوبهم"[٣] .

وبذلك فقد عُدّ استعمال الماضي من هذين الفعلين شذوذاً ، مع أنّهما يطّردان في القياس؛لذا وضعت العرب بديلاً لهما، يحمل معنييْهما ، هو الفعل (ترك)،وإلى ذلك نبّه سيبويه بقوله : " وأمّا استغناؤهم بالشيء عن الشيء، فإنهم يقولون: يدع ، ولا يقولون: وَدَعَ ، استغنوا عنها بـ (ترك)" [٤]، فإهمال ماضي (وذر) و (ودع) عنده ضرب من الاستغناء ، وتبعه في ذلك ابن جنّي ، وعدّ ما جاء من شواهد شعريّة على (وَدَع) من باب الضرورة الشعريّة[٥].

ومن ينعم النظر في تلك الشواهد، لا يجد وجهاً للضرورة فيها، أمّا ابن الأثير فقد رفض ما ذهب إليه العلماء من أنّ الفعل (وَدَعَ) ومصدره قد استُغني عنهما. ويرى أنّهما قلاّ في الاستعمال، وإنْ كانا صحيحين في القياس[٦].

وليست ظاهرة الاستغناء مقتصرة على اللغة العربيّة فحسب، بل تشركها في ذلك بعض اللغات الساميّة الأخرى، مثل السريانيّة[٧].

---

(١) السرقسطي: ٢٤٣/٤.

(٢) ابن جنّي، الخصائص: ٣٩٧/١ وابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن: ١٧٥، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: ٤٨٥/٨ وابن منظور (ودع) ٣٨٤/٨ ، والزبيدي، تاج العروس: ٥٣٦/٥.

(٣) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٦٥/٥، وابن منظور (ودع) ٣٨٤/٨، والزبيدي ، تاج العروس : ٥٣٦/٥.

(٤) سيبويه، الكتاب: ٢٥/١.

(٥) ابن جني، الخصائص: ٣٩٢/١, ٣٩٧ وانظر: الزبيدي ، تاج العروس: ٥٣٦/٥.

(٦) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٦٥/٥-١٦٦.

(٧) انظر: آمنة الزعبي، مصادر الأفعال الثلاثيّة في اللغة العربية، دراسة وصفية تاريخيّة: ١٨٧.

ومهما يكن من أمر ،فإنّ بقاء شواهد عدّة ، تظهر استعمال الممات من تصـــريفات الفعلين (ودع) و (وذر) ، يُخْرجها من الشذوذ إلى القلّة، وما هي إلاّ بعض الرّكام اللغوي الذي يدلّ عليها[١]، كما أنّ في استعمال هذه التصريفات المستغنى عنها مراجعة أصلٍ وعوداً إلى القياس[٢].

(١) انظر: يحيى عبابنة ، منهج أبي حيّان الأندلسي في اختياراته من القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة المعاصر: ٢٦٠، (رسالة دكتوراه) إشراف رمضان عبد التواب ، جامعة عين شمس، ١٩٨٩م.

(٢) الزبيدي، تاج العروس: ٥٣٧/٥.

الخاتمة

لقد خرجت الدراسة بالنتائج التالية :

١. أكدت الدراسة ما جاء به بعض المحدثين من أن بعض التحوّلات التاريخية الصوتية والصرفية , التي قادت الى تعدد أنماط الفعل الواحد , هي تحولات ناجمة عن تدخل عدد من قوانين التطور اللغوي , نحو: الإبدال الصوتي التاريخي , والقلب المكاني والمخالفة الصوتية , وقانون السهولة والتيسير , وقانون الحذلقة والمبالغة في التصويب أو القياس الخاطئ . وقد أسهمت هذه القوانين في إغناء المعجم العربي بمداخل جديدة , كما أسهمت عوامل أخرى في تعدد أنماط الفعل الواحد , منها : الميل إلى تحقيق الوضوح السمعي , و منها أيضاً الخطأ في السمع أو النطق وقد يكون للتصحيف أو التحريف الذي ابتليت به العربية دورٌ في ذلك أيضاً .

كما أنه قد يكون للتباين اللهجي , دورٌ في تعدد أنماط الفعل الواحد , وبسبب تقصير المعجميين – عندما جمعوا اللغة , ووضعوا مفرداتها في معاجمهم – في نسبة كل نمط إلى القبيلة التي كانت تستعمله ؛ تداخلت اللغات واختلطت في معاجمنا ثم في استعمالاتنا اللغوية . وقد تؤدي تلك التحولات الصوتية والصرفية , التي قادت إلى تعدد أنماط الفعل الواحد – إلى حدوث صراع بين هذه الأنماط الاستعمالية , تكون الغلبة فيه للأكثر شيوعاً في الأداء الفعلي للغة .

٢. أيدت الدراسة بعض القائلين بأن ظاهرة المخالفة الصوتية لا تقوم على إبدال أحد الصوتين المتماثلين صوتاً من الأصوات المائعة أو من أصوات اللين , كما ذهب الى ذلك معظم المحدثين ؛ لأن الإبدال نوع من المماثلة , والمماثلة لا تحدث إلا بين الأصوات المتقاربة في المخرج والصفة – بل تقوم على حذف أحد الصوتين المتجاورين , والتعويض عنه في بعض أمثلتها , كما في تقضّضْتُ , التي خولفت إلى تقضّيْتُ بسقوط الضاد الثالثة والتعويض عنها بالياء , وقد تقوم

في أمثلة أخرى على حذف أحد الصوتين المتجاورين دون التعويض عنه , كما في : ظَلِلْتُ التي خولف فيها بين اللامين بسقوط إحداهما لتصبح ظَلْتُ .كما تظهر الدراسة أن المخالفة الصوتية لا تقوم على التعويض عن أحد الصوتين المتماثلين بصوت من الأصوات المائعة أو أصوات اللين فقط , بل قد يعوَّض عن المحذوف من غير هذه الأصوات , وذلك نحو : فلَّ و فَلَذَ بمعنى قطع , وبجَّ وبَعَجَ بمعنى شقَّ ...

٣. تعرضت الدراسة أيضاً لبعض التغيرات غير القياسية في أحرف العلة والهمزة, فالصرفيون يفرقون بين التغير القياسي فيها, وغير القياسي , ويذكرون لغير القياسي أمثلة محدودة , يتناقلونها , وتُظْهر الدراسة أن مجال التغيرات غير القياسية أوسع بكثير مما هو مذكور عند الصرفيين , وتفسّرها تفسيراتٍ صوتيةً جديدة .

٤. حاولت الدراسة الدفاع عن البنية العميقة للفعل في اللغة العربية دفاعاً تاريخياً بالاستناد إلى ما سجلته معاجم الأفعال ؛ فقد ورد مثلاً استعمال الفعل (خار) بإزاء أصله المفترض (خَوِر), إذ ورد : خار الشيء وخَوِرَ بمعنى ضَعُفَ ... وبهذا قدمت الدراسة مسوغاً إضافياً للأصل المفترض .

٥. أيدت الدراسة بأن عدداً لا يستهان به من الأفعال الثلاثية يمكن رده إلى أصل ثنائي , وأن عدداً من الأفعال الرباعية , لا يستهان به أيضاً , يعود إلى أصل ثلاثي يشترك معه في المعنى العام .

٦. سجلت الدراسة عدداً من الأفعال المزيده, التي ليس لها أفعال مجردة , وهذا له تأثير كبير في شروط الأبواب الصرفية , مثل اسم التفضيل الذي منع بعض الصرفيين صياغته من غير الثلاثي محتجين بعدم ورود المجرد منه , وقد وُجد بالاستقراء أن بعض هذه الأفعال المزيده قد وردَ لها مجرد ؛ ولذلك لا يُعدّ صوغ اسم التفضيل منها شاذاً . كما سجلت عدداً من الأفعال المزيدة التي ربما فقدت الزيادة فيها مع مرور الزمن دلالتها المعنوية , فصار معنى المجرد والمزيد واحداً , نحو خَمَّ اللبن وأخمَّ بمعنى تغير , وخَلَس الشعر وأَخْلَسَ بمعنى اختلط

بياضه بسواده , و ربما فُسِّر هذا الاتفاق بأنه من باب اللهجات , أو الـــوهم والقياس الخاطئ والمبالغة في التصحيح .

٧. أظهرت الدراسة أيضاً أنه قد يحدث انزياح لإحدى الصيغ ؛ لتقـــوم بوظيفـــة صيغة أخرى , وربما فسر بأنه من باب التوسع اللغوي الناجم عن التطـــور اللغوي , وذلك نحو: قشعت الريحُ السحاب فأقْشَعَ , إذ أصبح الفعل (أقشع) لازماً , فيما أصبح الفعل (قَشَعَ) متعدياً . أو ربما حدث ذلك مطاوعةً لـــ (فعل) فلم تُفد بذلك الهمزة التعدية , بل صارت الصيغة كلها (أفعل) تفيـــد المطاوعـــة للفعل المجرد .

٨. فسرت الدراسة , معتمدةً على آراء بعض القدماء والمحدثين , صيغ الأفعال:(افعالَّ) و(افْعَلَّ) و (افْعَأَلَّ) و (افْعَعَلَّ) و (افْعَهَلَّ) في ضوء القوانين الصوتية , إذ إنّ ثمّة صلة قوية بين افْعَلَّ , وافْعالَّ , فأحـــدهما ممطول الآخـــر أو مقصوره , كمـــا أظهرت الدراسة نوعين من أبنيـــة (افْعَأَلَّ): الأول متطوّر عن افْعـــالَّ لأســـباب صوتية عامّة ولأسباب عروضيّة في الشعر خاصة . و الآخر غير متطور عن افْعـــالَّ اعتماداً على اختلاف حقول المعنى لكليهما , وقد يتطوّر النوع الثاني إلى (افْعَعَلَّ) أو (افْعَهَلَّ) .

٩. أكدت الدراسة أنه يمكن حمل الشذوذ في أبنية الفعل الثلاثي على أنـــه مـــن التباين اللهجي , أو من باب تداخل اللغات أو اللهجات , كمـــا يمكـــن أن يكون بعضه من البقايا اللغوية لظواهر لغوية اندثرت , وقد يكون في ذلـــك الشذوذ ميلٌ إلى تحقيق أمن اللبس بين دلالات البنى المتماثلة كما في (دقَّتِ المسألةُ تَدِقُّ , ودقَّ الرجلُ الشيءَ يَدُقُّه) , فأدى اختلاف حركة عين المضارع في كل منهما إلى اختلاف دلالتيهما .

المصادر والمراجع بالعربية

أ. الكتب :

*** القرآن الكريم**

- إبراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ط٥, مكتبة الأنجلو المصرية , القاهرة , ١٩٧٩م.
- إبراهيم أنيس, في اللهجات العربية , ط٦ , مكتبة الأنجلو المصرية , القاهرة , د. ت.
- إبراهيم أنيس, من أسرار اللغة , ط ٥ , مكتبة الأنجلو المصرية , القاهرة , ١٩٧٥م.
- إبراهيم السامرائي , الفعل زمانه وأبنيته , ط٣ , مؤسسة الرسالة , بيروت , ١٩٧٨م.
- إبراهيم السامرائي, فقه اللغة المقارنة , ط ٢ , دار العلم للملايين , بيروت , ١٩٧٨م.
- إبراهيم السامرائي, قطوف ونوادر , دار الجليل , بيروت , ١٩٨٥م.
- إبراهيم محمد نجا , فقه اللغة العربية , دار العهد الجديدة , بور سعيد , ١٩٧٥م.
- ابن الأثير , مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦هـ) النهاية في غريب الحديث و الأثر , تحقيق محمود محمد الطناحي , دار إحياء الكتب العربية , بيروت , (د. ت) .
- أحمد الحملاوي , شذا العرف في فن الصرف , المكتبة الثقافية , بيروت .
- أحمد عبد المجيد هريدي , نشوء الفعل الرباعي في اللغة العربية , مكتبة الزهراء القاهرة , ١٩٨٨م.
- أحمد علم الدين الجندي , اللهجات العربية في التراث , الدار العربية للكتاب , ١٩٨٣.
- أحمد فارس الشدياق , سرّ الليال في القلب والإبدال , المطبعة السلطانية بالآستانة , ١٢٨٤هـ .

- أحمد مختار عمر , دراسة الصوت اللغوي , عالم الكتب , القاهرة , ١٩٩١م.
- أحمد مختار عمر, معاجم الأبنية في اللغة العربية , ط١, عالم الكتب القاهرة , ١٩٩٥م.
- الأزهري , أبو منصور محمد بن أحمد (٣٧٠هـ) تهذيب اللغة , إشراف محمد مرعب , تعليق عمر سلامة وعبد الكريم حامد , تقديم فاطمة أصلان , ط ١, دار إحياء التراث العربي , بيروت , ٢٠٠١م.
- الأستراباذي , رضي الدين محمد بن الحسن (٦٨٦هـ) , شرح شافية ابن الحاجب , تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد , دار الكتب العلمية , بيوت , ١٩٨٢م.
- إسماعيل عمايرة , بحوث في الاستشراق واللغة , ط ١ , مؤسسة الرسالة , بيروت و دار البشير في عمان , ١٩٩٦م.
- إسماعيل عمايرة, تطبيقات في المناهج اللغوية,ط ١, دار وائل , عمان , ٢٠٠٠م.
- إسماعيل عمايرة, خصائص العربية في الأفعال والأسماء , ط١ , دار الملاحي , إربد – الأردن , ١٩٨٧م.
- إسماعيل عمايرة, معالم دارسة في الصرف,الأقيسة الفعلية المهجورة , ط ٢ , دار حُنين , عمان , ١٩٩٣م.
- الألوسي , محمود شكري , النحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده , تحقيق بهجت الأثري , مطبعة مجمع العراق , ١٩٨٨م.
- أمين السيد , في علم الصرف , ط ٣ , دار المعارف , مصر , ١٩٨٥م.
- أمين فاخر , ثنائية الألفاظ في المعاجم العربية وعلاقتها بالأصوات الثلاثية, ط١, مكتبة الكليات الأزهرية , القاهرة , ١٩٧٨م.
- الأنباري , أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (٥٧٧هـ), الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين , تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد , دار الفكر , (د. ت) .
- أنستانس ماري الكرملي, نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها, مكتبة الثقافة الدينية , (د, ت) .

- بحرق , جمال الدين محمد بن عمر (٩٣٠هـ) , فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال , المشهور بالشرح الكبير , تحقيق مصطفى النحاس , جامعة الكويت , ١٩٩٣م.
- برجشتراسر , التطور النحوي للغة العربية , أخرجه وصححه رمضان عبد التواب , مكتبة الخانجي بالقاهرة , دار الرفاعي بالرياض , ١٩٨٢م.
- ابن بشكوال , أبو القاسم خلف بن عبد الملك (٥٧٨ هـ) , الصلة , تحقيق إبراهيم الأبياري , ط ١ , دار الكتاب المصري بالقاهرة , دار الكتاب اللبناني , بيروت , ١٩٨٩م.
- البطليوسي , أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد (٥٢١ هـ) , الفرق بين الحروف الخمسة , تحقيق عبد الله الناصر , ط ١, دار المأمون للتراث , دمشق , ١٩٨٤م.
- البغدادي , عبد القادر بن عمر (١٠٩٣ هـ) , خزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب , تحقيق وشرح عبد السلام هارون , ط ٣ , مكتبة الخانجي , القاهرة , ١٩٨٩م.
- تمام حسّان , مناهج البحث في اللغة , دار الثقافة ,مطبعة النجاح الجديدة , الدار البيضاء , ١٩٧٩م.
- الثعالبي , أبو منصور عبد الملك بن محمد (٤٣٠هـ) , فقه اللغة وأسرار العربية , منشورات دار مكتبة الحياة , بيروت , (د. ت) .
- الثعالبي , أبو منصور عبد الملك بن محمد (٤٣٠هـ) , يتيمة الدهر , تحقيق مفيد قميحة , ط ١ , دار الكتب العلمية , بيروت , ١٩٨٣م.
- الثمانيني ,شرح التصريف , عمر بن ثابت(٤٤٢هـ), تحقيق إبراهيم بن سليمان البعيمي , ط١, مكتبة الرشيد , الرياض , ١٩٩٩م.
- جان كانتينو , دروس في علم أصوات العربية , ترجمة صالح القرمادي , تونس , ١٩٦٦م.
- جرجي زيدان , الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية , ط ١ , دار الحداثة , بيروت , ١٩٨٧.

- ابن الجزري , الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (٨٣٣هـ) , النشر في القراءات العشر , تصحيح ومراجعة علي محمد الضياع , دار الكتب العلمية , بيروت , (د. ت) .
- ابن جني , أبو الفتح عثمان (٣٩٢ هـ) ,الخصائص, تحقيق محمد علي النجار , ط٤ , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ١٩٩٠م.
- ابن جني , أبو الفتح عثمان (٣٩٢ هـ), سر صناعة الأعراب , تحقيق حسن هنداوي , ط ٢, دار القلم , دمشق , ١٩٩٣م.
- ابن جني , أبو الفتح عثمان (٣٩٢ هـ), المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها , تحقيق على النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي , لجنة إحياء التراث الإسلامي , القاهرة , ١٩٦٩.
- ابن جني , أبو الفتح عثمان (٣٩٢ هـ),المنصف , تحقيق إبراهيم مصطفى و عبد الله أمين , ط ١, شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي , مصر , ١٩٥٤ م.
- الجواليقي , أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الخضر (٥٤٠هـ) ما جاء على فعلْتُ وأفْعلت بمعنى واحد , تحقيق وشرح وتعليق ماجد الذهبي , دار الفكر , دمشق , ١٩٨٢م .
- ابن الجوزي , أبو الفرج عبد الرحمن (٥٩٧ هـ) , تقويم اللسان , تحقيق عبد العزيز مطر , ط ٢ , دار المعارف , (د. ت) .
- الجوهري , إسماعيل بن حماد (٤٠٠ هـ) الصحاح , تحقيق أحمد عبد الغفور عطار , ط ٤ , دار العلم للملايين , بيروت , ١٩٩٠م.
- أبو حاتم السجستاني (٢٥٥ هـ) , فعلت وأفعلت , تحقيق خليل إبراهيم العطية , جامعة البصرة , العراق , ١٩٧٩م.
- حاجي خليفة , مصطفى بن عبد الله القسطنطيني , (١٠٦٧ هـ) , كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون , دار إحياء التراث , بيروت (د. ت) .
- حسام النعيمي , الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني , دار الرشيد , العراق , ١٩٨٠م.
- حسن ظاظا , كلام العرب من قضايا اللغة العربية ,دار النهضة, بيروت , ١٩٧٦ م.

- حسين الكنتوري , مقدمة فقه اللسان , ١٩١٥ م.
- حسين نصار , المعجم العربي , نشأته وتطوره , ط ٤ , دار مصر للطباعة , ١٩٨٨ .
- أبو حيان الأندلسي , محمد بن يوسف (٧٥٤ هـ) , البحر المحيط , ط ٢ , دار إحياء التراث العربي , بيروت , ١٩٩٠م.
- ابن خالويه , الحسين بن أحمد (٣٧٠ هـ) , ليس في كلام العرب , تحقيق أحمد عبد الغفور عطار , ط ٢, مكة المكرمة , ١٩٧٩ م.
- ابن خالويه , الحسين بن أحمد (٣٧٠ هـ), مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع , نشره : ج . برجشتراسر , دار الهجرة (د. ت) .
- ابن خلكان , أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (٦٨١ هـ) وفيات الأعيان , تحقيق إحسان عباس , دار صادر , بيروت .
- داود سلوم , المعجم الكامل في لهجات الفصحى , ط ١ , عالم الكتب , مكتبة النهضة العربية , بيروت , ١٩٨٧ م.
- داود عبده , أبحاث في اللغة العربية , مكتبة لبنان , بيروت , ١٩٧٣.
- داود عبده, دراسات في علم اللغة النفسي, ط ١ , جامعة الكويت , ١٩٨٤ .
- ابن درستويه , عبد الله بن جعفر (٣٤٧هـ) , تصحيح الفصيح وشرحه , تحقيق محمد بدوي المختون , مراجعة رمضان عبد التواب , وزارة الأوقاف , المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية , القاهرة , ١٩٩٨ م.
- ابن دريد , أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (٣٢١ هـ) , جمهرة اللغة , ط ١, مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية , حيدر أباد الدكن , ١٣٤٥هـ.
- الرازي , محمد بن أبي بكر (بعد ٦٦٦ هـ),مختار الصحاح , ط ١ , دار الحديث , القاهرة , ٢٠٠٠م.
- الراغب الأصفهاني , أبو القاسم الحسين بن محمد (٥٠٢هـ) , المفردات في غريب القرآن , تحقيق محمد سيد كيلاني , الطبعة الأخيرة , مطبعة مصطفى البابي الحلبي , مصر , ١٩٦١ م.

- رانيا الصرايرة , صراع الأنماط اللغوية , دراسة في بنية الكلمة العربية , ط١, دار الشروق , عمان , ٢٠٠٢ م.
- رمضان عبد التواب , بحوث ومقالات في اللغة , ط ١, مكتبة الخانجي بالقاهرة , و دار الرفاعي بالرياض , ١٩٨٢.
- رمضان عبد التواب, التطور اللغوي , مظاهره وعلله وقوانينه , مكتبة الخانجي , القاهرة , ١٩٨١ م.
- رمضان عبد التواب, فصول في فقه العربية , ط٣ , مكتبة الخانجي , القاهرة , ١٩٨٧م.
- رمضان عبد التواب, لحن العامة والتطور اللغوي , ط ١ , القاهرة , ١٩٦٧م.
- رمضان عبد التواب, المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي , ط٢ , مكتبة الخانجي , القاهرة , ١٩٨٥م.
- رمضان عبد التواب, مشكلة الهمزة العربية , مكتبة الخانجي , القاهرة , (د.ت) .
- رياض قاسم,المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق , دار المعرفة , بيروت .
- الزُّبَيدي , أبو بكر محمد بن الحسن (٣٧٩هـ) , لحن العامة , تحقيق عبد العزيز مطر , دار المعارف , القاهرة , ١٩٨١م.
- الزَّبيدي , محمد مُرتضى الحسيني (١٢٠٥هـ) , تاج العروس , دار الفكر .
- الزجاجي , أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق (٣٣٧هـ) , الإبدال والمعاقبة والنظائر , تحقيق عز الدين التنوخي , ط ٢, دار صادر , بيروت , ١٩٩٣م.
- الزركشي , بدر الدين محمد بن عبد الله (٧٩٤هـ) , البرهان في علوم القرآن , تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم , ط ٢ , دار المعرفة , بيروت , (د. ت) .
- الزركلي , خير الدين , الأعلام , قاموس تراجم , ط ١١ , دار العلم للملايين , بيروت , ١٩٩٥م.
- الزمخشري , أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي , (٥٣٨هـ) , الكشاف , دار المعرفة , بيروت .

- السرقسطي , أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري , (بعد ٤٠٠هـ) , الأفعال , تحقيق حسين محمد محمد شرف , مراجعة محمد مهدي علام , الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ,القاهرة , ١٩٩٢م.
- ابن السكيت , أبو يوسف يعقوب (٢٤٤هـ) , الإبدال , تحقيق حسين محمد محمد شرف , مراجعة علي النجدي ناصف , مجمع اللغة العربية , الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية , القاهرة, ١٩٧٨م.
- ابن السكيت , أبو يوسف يعقوب (٢٤٤هـ), إصلاح المنطق , تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون , ط ٤, دار المعارف , القاهرة (د. ت) .
- سيبويه , أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر (١٨٠هـ) , الكتاب , تحقيق عبد السلام هارون , ط ١, دار الجيل , بيروت , (د.ت).
- ابن سيده , أبو الحسن علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ) , المخصص , تحقيق لحنة إحياء التراث العربي , دار إحياء التراث العربي , بيروت , لبنان (د. ت) .
- السيوطي, عبد الرحمن جلال الدين (٩١١هـ) , بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة, تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم , ط ٢ , دار الفكر , ١٩٧٩م.
- السيوطي, عبد الرحمن جلال الدين (٩١١هـ), المزهر في علوم اللغة وأنواعها , شرح وضبط محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي , المكتبة العصرية , بيروت , ١٩٩٢م.
- صابر أبو سليمان , التيسير في القراءات السبع المشهورة وتوجيهها , ط ١, دار عالم الكتب , الرياض , ١٩٩٤م.
- صالحة آل غنيم , اللهجات في الكتاب لسيبويه , أصواتاً وبنية , ط ١ , دار المدني , جدة , ١٩٨٥م.
- الصبان , محمد بن علي (١٢٠٦هـ) , حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك , دار إحياء الكتب العربية , (د. ت) .
- صبحي الصالح , دراسات في فقه اللغة , ط ١ , دار العلم للملايين , بيروت , ١٩٨٣ .

- الصفدي , ابن أيبك , صلاح الدين خليل (٧٦٤هـ) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف , تحقيق وتعليق السيد الشرقاوي , مراجعة رمضان عبد التواب , ط١ , مكتبة الخانجي , القاهرة , ١٩٨٧م.
- صلاح الدين حسنين , دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن , ط١, دار العلوم , الرياض , ١٩٨٤م.
- صلاح الدين حسنين, المدخل إلى علم الأصوات , دراسة مقارنة , ط ١, دار الاتحاد العربي للطباعة , القاهرة , ١٩٨١م.
- ضاحي عبد الباقي , لغة تميم , دراسة تاريخية وصفية , الهيئة الهامة لشؤون المطابع الأميرية , القاهرة , ١٩٨٥م.
- الطيب البكوش , التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث , ط ٢ , ١٩٨٧ .
- أبو الطيب اللغوي , عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (٣٥١هـ) ,الإبدال, تحقيق عز الدين التنوخي , دمشق , ١٩٦٠م.
- عبد الرحمن أيوب , أصوات اللغة , مكتبة الشباب , القاهرة (د. ت) .
- عبد الرحمن أيوب, محاضرات في اللغة , مطبعة المعارف , بغداد , ١٩٦٦م.
- عبد الصبور شاهين , القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث , دار القلم القاهرة , ١٩٦٦م.
- عبد الصبور شاهين, المنهج الصوتي للبنية العربية , رؤية جديدة في الصرف العربي , مؤسسة الرسالة , ١٩٨٠م.
- عبد العزيز مطر , لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة , الدار القومية للطباعة والنشر , القاهرة , ١٩٦٦م.
- عبد الفتاح الحموز , ظاهرة التغليب في العربية , ظاهرة لغوية اجتماعية ,ط١, منشورات جامعة مؤتة , عمادة البحث العلمي والدراسات العليا , ١٩٩٣م.
- عبد الفتاح الحموز , ظاهرة القلب المكاني في العربية , ط ١ , دار عمار , عمان , ١٩٨٦م.

- عبد الفتاح الزين,بين الأصالة والحداثة , قسمات لغوية في مرآة الألسنية , ط١, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع , بيروت , ١٩٩٩م.
- عبد الفتاح الزين, قضايا لغوية في ضوء الألسنية , ط ١ , الشركة العالمية للكتاب , ١٩٨٧ م.
- عبد القادر عبد الجليل , الأصوات اللغوية , ط ١ ,دار صفاء , عمان , ١٩٩٨م.
- عبد القادر عبد الجليل, علم الصرف الصوتي , ط ١, دار أزمنة , عمان , الأردن , ١٩٩٨م.
- عبد الله أمين , الاشتقاق , ط ١, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر , القاهرة , ١٩٥٦م.
- عبد الله ربيع محمود وعبد العزيز أحمد علام , علم الصوتيات , ط ٢ , مكتبة الطالب الجامعي , مكة المكرمة , ١٩٨٨م.
- عبد الله العلايلي, مقدمة لدرس لغة العرب , المطبعة العصرية , مصر , (د.ت) .
- عبد الله الكناعنة , أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية , دراسة لغوية , ط١, وزارة الثقافة , عمان , ١٩٩٧م.
- عبده الراجحي , التطبيق الصرفي , دار المعرفة الجامعية , الإسكندرية , ١٩٩٠م.
- ابن عصفور , أبو الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي (٦٦٩هـ) , الممتع في التصريف , تحقيق فخر الدين قباوة , ط ١ , دار المعرفة , بيروت , ١٩٨٧م.
- ابن عصفور , أبو الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي (٦٦٩هـ), الممتع الكبير في التصريف , تحقيق فخر الدين قباوة , ط ١ , مكتبة لبنان ناشرون , بيروت , ١٩٩٦م.
- العكبري , أبو البقاء عبد الله بن الحسن , إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن , تحقيق إبراهيم عطوة عوض , دار الحديث القاهرة , (د. ت) .
- علي عبد الواحد وافي , علم اللغة , ط ٩ , دار نهضة مصر , القاهرة (د.ت) .
- علي عبد الواحد وافي , فقه اللغة , ط٦ , دار نهضة مصر , القاهرة , (د. ت) .

- أبو علي الفارسي , الحسن بن أحمد (٣٧٧هـ) , التكملة , تحقيق كاظم بحر المرجان , إشراف حسين نصار , مديرية دار الكتب للطباعة والنشر , جامعة الموصل , العراق , ١٩٨١.
- أبو علي القالي , إسماعيل بن القاسم البغدادي (٣٥٦ هـ) , الأمالي , دار الكتب المصرية , القاهرة .
- العيني , بدر الدين محمود بن أحمد (٨٥٥هـ) , شرح المراح في التصريف , تحقيق عبد الستار جواد , (د. ت) .
- غالب المطلبي , في الأصوات للغوية , دراسة في أصوات المد العربية , دار الحرية , بغداد , ١٩٨٤م.
- غالب المطلبي, لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة , منشورات وزارة الثقافة والفنون , العراق , ١٩٧٨م.
- ابن فارس , أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (٣٩٥هـ) , الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسُنن العرب في كلامها , تحقيق عمر فاروق الطباع , ط ١ , مكتبة المعارف , بيروت , ١٩٩٣م.
- ابن فارس , أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (٣٩٥هـ) , مجمل اللغة , تحقيق زهير عبد المحسن سلطان , ط ٢ , مؤسسة الرسالة , بيروت , ١٩٨٦م.
- ابن فارس , أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (٣٩٥هـ),مقاييس اللغة,تحقيق عبد السلام هارون , ط ١ , دار الجيل , بيروت , ١٩٩١م.
- الفراء , أبو زكريا يحيى (٢٠٧هـ) , معاني القرآن , تحقيق عبد الفتاح شلبي , مراجعة علي النجدي ناصف , الهيئة المصرية العامة للكتاب , ١٩٧٢م.
- الفراهيدي , الخليل بن أحمد (١٧٥هـ) , العين , تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي , ط ٢ , مؤسسة دار الهجرة .
- فندريس , اللغة , ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص , مكتبة الأنجلو المصرية , القاهرة , ١٩٥٠م.

- الفيروزأبادي , مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ) , تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين , تحقيق محمد خير البقاعي , دار قتيبة , دمشق , ١٩٨٣م.
- الفيروزأبادي , مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ), القاموس المحيط , دار الجيل , بيروت , (د. ت) .
- الفيومي , أحمد بن محمد بن علي المقّري (٧٧٠هـ) , المصباح المنير في غريب الشرح الكبير , ط ٧ , المطبعة الأميرية , القاهرة , ١٩٢٨م.
- ابن قتيبة , أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ) أدب الكاتب , تحقيق علي فاعور , ط ١, دار الكتب , العلمية , بيروت , ١٩٨٨م.
- ابن القطاع , أبو القاسم علي بن جعفر السعدي (٥١٥هـ) الأفعال , ط ١, عالم الكتب , بيروت , ١٩٨٣م.
- ابن القوطية , أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (٣٦٧هـ) , الأفعال , إشراف وتوجيه السيد علي الراتب , تحقيق علي فودة , ط ١ , مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية , ١٩٥٢ م.
- كارل بروكلمان , تاريخ الأدب العربي , أشرف على ترجمته محمود فهمي حجازي , الهيئة المصرية العامة للكتاب , ١٩٩٣م.
- كارل بروكلمان, فقه اللغات السامية , ترجمة رمضان عبد التواب , جامعة الرياض , ١٩٧٧م.
- الكسائي , أبو الحسن علي بن حمزة (١٨٩هـ) , ما تلحن فيه العامة , تحقيق وتقديم رمضان عبد التواب , ط ١ , مكتبة الخانجي بالقاهرة ,دار الرفاعي بالرياض , ١٩٨٢م.
- كمال بشر , علم اللغة العام , الأصوات , دار المعارف , مصر , ١٩٧٥.
- اللَبْلي , أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري (٦٩١هـ) , بُغية الآمال في معرفة النطق بجميع مستقبلات الأفعال , تحقيق سليمان بن إبراهيم العايد , جامعة أم القرى , ١٩٩١م.

- ابن المؤدب , القاسم بن محمد بن سعيد (ق ٤ هـ) , دقائق التصريف , تحقيق أحمد القيسي وحاتم الضامن وحسين تورال , مطبعة المجمع العلمي العراقي , بغداد , ١٩٨٧م.
- ماريوباي , أسس علم اللغة , ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر , ط ٢ , عالم الكتب , القاهرة , ١٩٨٣ م.
- المبرد , أبو العباس محمد بن يزيد (٢٨٥هـ) , المقتضب , تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة , عالم الكتب , بيروت , (د. ت) .
- محمد الأنطاكي , المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها , ط ٣, دار الشرق العربي , بيروت , (د. ت) .
- محمد الأنطاكي, الوجيز في فقه اللغة , ط ٣ , دار الشروق (د. ت) .
- محمد الخولي , الأصوات اللغوية , دار الفلاح للنشر , ١٩٩٠م.
- محمد المبارك , فقه اللغة وخصائص العربية , ط ٧ , دار الفكر , ١٩٨١م.
- محمود السعران , علم اللغة , مقدمة للقارئ العربي , دار الفكر العربي , ١٩٩٢م.
- محيي الدين رمضان, في صوتيات العربية ,مكتبة الرسالة الحديثة, عمان , (د.ت) .
- مراد كامل , نشأة الفعل الرباعي في اللغات السامية الحية , مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية , القاهرة , ١٩٦٣م.
- مرمرجي الدومنكي , هل العربية منطقية ؟ أبحاث ثنائية ألسنية , مطبعة المرسلين اللبنانيين , لبنان , ١٩٤٧م.
- مزيد إسماعيل نعيم , الصيغ الرباعية والخماسية اشتقاقاً ودلالة , مطبعة الحجاز , دمشق (د. ت) .
- مصطفى النحاس , مدخل إلى دراسة الصرف العربي على ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة , ط ١ , مكتبة الفلاح , الكويت , ١٩٨١ م.
- ابن مكي الصقلي (٥٠١هـ) , تثقيف اللسان وتلقيح الجنان , تحقيق عبد العزيز مطر , دار المعارف , القاهرة (د.ت) .

- مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) ,الرعاية , تحقيق أحمد حسن فرحات , ط٢, دار عمار , عمان , ١٩٨٤م.
- ابن منظور , أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ) لسان العرب , ط ٣, دار صادر , بيروت , ١٩٩٤م.
- الميداني , أحمد بن محمد (٥١٨هـ) , نزهة الطرف في علم الصرف ,ط ١ , منشورات دار الآفاق الجديدة , بيروت , ١٩٨١ م.
- النحاس , أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (٣٣٨هـ) , إعراب القرآن , تحقيق زهير غازي زاهد , ط ٣ , عالم الكتب , مكتبة النهضة العربية, بيروت , ١٩٨٨م.
- نهاد الموسى , النحت في اللغة العربية , ط ١, دار العلوم للطباعة والنشر , الرياض , ١٩٨٤ .
- هنري فليش , العربية الفصحى , نحو بناء لغوي جديد , تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين , ط ١ , المطبعة الكاثوليكية , بيروت , ١٩٦٦ م.
- ولفنسون , تاريخ اللغات السامية , دار القلم , بيروت , (د. ت) .
- يحيى عبابنة , دراسات في فقه اللغة العربية والفنولوجيا العربية , ط ١, دار الشروق , عمان , ٢٠٠٠م.
- يحيى عبابنة, اللغة المؤابية في نقش ميشع دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة في ضوء الفصحى واللغات السامية , منشورات جامعة مؤتة , عمادة البحث العلمي والدراسات العليا , ٢٠٠٠م.
- يحيى عبابنة, النظام اللغوي للهجة الصفاوية في ضوء الفصحى واللغات السامية , منشورات جامعة مؤتة , عمادة البحث العلمي والدراسات العليا , ١٩٩٧م.
- ابن يعيش , موفق الدين يعيش بن علي النحوي (٦٤٣هـ) , شرح المفصل , دار صادر , (د. ت) .
- ابن يعيش , موفق الدين يعيش بن علي النحوي (٦٤٣هـ), شرح الملوكي في التصريف , تحقيق فخر الدين قباوة , ط١, المكتبة العربية , حلب , ١٩٧٣م.

ب. الرسائل الجامعية :

- آمنة الزعبي , التغير التاريخي للأصوات في العربية واللغات السامية , دراسة مقارنة , رسالة دكتوراه , الجامعة الأردنية , عمان , ٢٠٠١م.
- حسين الرفايعة , ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي , رسالة ماجستير , جامعة مؤتة , الكرك , ١٩٩٥م.
- سيف الدين الفقراء , المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية , دراسة صرفية إحصائية , رسالة دكتوراه , الجامعة الأردنية , عمان , ٢٠٠٢م.
- عمر يوسف عكاشة , الفعل الرباعي في لسان العرب , دراسة تأصيلية , رسالة ماجستير , الجامعة الأردنية , عمان , ١٩٩٥م.
- فوزي الشايب , أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية , رسالة دكتوراه , جامعة عين شمس , ١٩٨٣م.
- فوزي الشايب, الإلحاق في اللغة العربية , رسالة ماجستير , جامعة عين شمس ١٩٧٨م.
- مالك ياسين , معاجم الأبنية في التراث العربي , نشأة وتطوراً , رسالة ماجستير , جامعة حلب , ١٩٩٣م.
- محمد سليم عبد الفتاح , ظاهرة القلب المكاني في اللغة العربية , رسالة ماجستير , جامعة الإسكندرية , ١٩٨٠م.
- يحيى عبابنة , منهج أبي حيان الأندلسي في اختياراته من القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة المعاصر , رسالة دكتوراه , جامعة عين شمس , ١٩٨٩م.

ج. الدوريات :

- إبراهيم أنيس , تطور البنية في الكلمات العربية , مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة , الجزء الحادي عشر , ١٩٥٩م.
- إبراهيم أنيس , مسطرة اللغوي , مجلة مجمع اللغة العربية , القاهرة , الجزء ٢٩, ١٩٧٢م.
- إبراهيم أنيس, "ملك ملائك , ملائكة ", مجلة مجمع اللغة العربية , القاهرة , الجزء ٣١, ١٩٧٣م.
- إبراهيم أنيس ,منهج الإحصاء في البحث اللغوي , مجلة كلية الآداب , الجامعة الأردنية , المجلد الأول , العدد الثاني , ١٩٦٩م.
- إبراهيم السامرائي , بناء الرباعي ومعانيه في العربية , مجلة المورد , المجلد الأول, العددان ٣ — ٤ , ١٩٧٢ م.
- أحمد علم الدين الجندي , دراسة في صيغتي (فعل) و (أفعل) ,مجلة مجمع اللغة العربية , القاهرة , الجزء ٣٢, ١٩٧٣م.
- أحمد مختار عمر , معاجم الأبنية في اللغة العربية , اللسان العربي , المجلد الثامن , الجزء الثالث , ١٩٧١م.
- أديب عباسي , أصول الفعل الرباعي , مجلة المقتطف , المجلد السابع والتسعون , الجزء الأول , ١٩٤٠م.
- باكزة حلمي , الثنائية والميزان الصرفي في اللغات العربية في الجزيرة العربية , مجلة مجمع اللغة العربية الأردني , المجلد الأول , العدد الثاني , ١٩٧٨م.
- تغريد عنبر , الفعل الماضي مسنداً إلى ضمائر الرفع المتصلة , دراسة صرفصوتية , المجلة العربية للدراسات اللغوية , المجلد الرابع , العدد الثاني , ١٩٨٦م.

- ت.م . جونستون , تغير الجيم إلى ياء في لهجات شبه الجزيرة العربية , ترجمة سعد مصلوح , مجلة مجمع اللغة العربية , القاهرة , الجزء السادس والعشرون , ١٩٧٠.
- جعفر عبابنة , أصل الاشتقاق أم آليته , المجلة الثقافية , الجامعة الأردنية , العدد التاسع والأربعون , ٢٠٠٠م.
- جعفر عبابنة, في حقيقة الإدغام , أبحاث اليرموك , المجلد الثالث , العدد الثاني , ١٩٨٦ .
- جعفر عبابنة, نظرة في بعض الأوزان الصرفية , مجلة مجمع اللغة العربية الأردني , العددان (٢١ – ٢٢) , ١٩٨٣ م.
- حامد عبد القادر , ثنائية الأصول اللغوية , مجلة اللغة العربية , القاهرة , الجزء الحادي عشر , ١٩٥٩م.
- حسن الشاعر , الأصول اللغوية المرفوضة – تأصيل وتعليل , أبحاث اليرموك , المجلد العشرون , العدد الثاني , ٢٠٠٢ م .
- داود عبده , دفاع عن الأصل المقدر , المجلة العربية للعلوم الإنسانية , جامعة الكويت , المجلد الأول , العدد الأول , ١٩٨١م.
- سمير استيتية , معالم جديدة للمنهج المقارن بين اللغات السامية , جوانب أنثروبولوجية ونفسية واجتماعية , مجلة مجمع اللغة العربية الأردني , المجلد العاشر العدد الثلاثون , ١٩٨٦م.
- السيد يعقوب بكر , دراسات مقارنة في المعجم العربي , مجلة مجمع اللغة العربية , القاهرة , الجزء السادس والعشرون , ١٩٧٠م.
- صلاح الدين حسنين , إعلال الواو والياء في اللغة العربية , مجلة مجمع اللغة العربية , القاهرة , الجزء السابع والأربعون , ١٩٨١م.
- عبد الحليم النجار , من مباحث الهمزة في العربية , مجلة كلية الآداب , جامعة القاهرة , المجلد الحادي والعشرون , الجزء الأول , ١٩٥٩م.
- عبد الحميد الأقطش , القلب المكاني بين الأصوات الصحاح في بنية الكلمة العربية , أبحاث اليرموك , المجلد الخامس عشر , العدد الثاني , ١٩٩٧م.

- عبد الفتاح الحموز , مواضع اللبس في اللغة العربية وأمن لبسها , مجلة مؤتة للبحوث والدراسات , المجلد الثاني , العدد الأول , ١٩٨٧م.
- عبد الكريم الأسعد , في القلب المكاني , مجلة كلية الآداب , جامعة الملك سعود المجلد العاشر , ١٩٨٣م.
- عبد الوهاب الكحلة , ظاهرة القلب في اللغة العربية , المجلة الثقافية , الجامعة الأردنية , العدد الثالث والخمسون , ٢٠٠١م.
- فوزي الشايب , المبني للمفعول ومظاهر التطور اللغوي , المجلة العربية للعلوم الإنسانية , جامعة الكويت , المجلد الثامن , العدد الواحد والثلاثون , ١٩٨٨م.
- محمد بدوي المختون , ظاهرة القلب المكاني في العربية , مجلة كلية اللغة العربية جامعة الإمام محمد بن سعود , العدد الحادي عشر , ١٩٨١.
- محمد بهجة الأثري , تحرير المشتقات من مزاعم الشذوذ , مجلة مجمع اللغة العربية , دمشق , المجلد التاسع والأربعون , الجزء الثاني , ١٩٧٤م.
- محمد شيت الحياوي , ما رأي المجامع والمختصين في مزج الضاد بالظاء ؟! مجلة اللسان العربي , العدد الحادي والثلاثون , ١٩٨٨م.
- مراد كامل , تربيع الفعل الثلاثي في العربية وأخواتها من اللغات السامية , مجلة مجمع اللغة العربية , القاهرة , الجزء الحادي والثلاثون , ١٩٧٣م.
- مرمرجي الدومنكي , الثنائية والألسنية السامية , مجلة مجمع اللغة العربية , الجزء الثامن , ١٩٥٥م.
- مرمرجي الدومنكي, طلائع الثنائية في القديم , مجلة المجمع العلمي العربي , دمشق , المجلد السابع والعشرون , الجزء الثاني , ١٩٥٢م.
- ممدوح محمد خسارة , الاشتقاق التقليبي وأثره في وضع المصطلحات , مجلة مجمع اللغة العربية , دمشق , المجلد الثاني والسبعون , الجزء الرابع , ١٩٩٧م.
- يحيى جبر , الصوت لفظاً ومعنىً , اللسان العربي , العدد السابع والثلاثون , ١٩٩٣م.

مراجع الدراسة الأجنبية

- Wright, W.A., Grammar Of the Arabic language , Third Edition , Cambridge , university press , 1955 .

- Jespersen, O., Language , Its Nature , Development and Origin , George Al Len & Unwin Ltd , London , 1964.

- Al Anies, M., Arabic phonology, Accoustical and physiological Investigation , Indiana university , 1970.

Abstract

A Morphophonemic Study of Arabic Verbs
(Based on Three Major Verb Collections)

By

Reem Farhan Al- Ma'aitah

Supervisor

Dr. Ja'far A . Ababneh

This study deals with the structure of verbs as found in the following Dictionaries :Verbs by Ibn Al–Qutiyah (367 A-H), Verbs by Saraqusṭi (After 400 A-H) , and Verbs by Ibn Al – Qatta (515 A- H) . The study traces the morphological and phonetic changes happening to these verbs with reference to what has been mentioned by lisānul - arab and ancient as well as modern references on morphology and linguistics . It may be worth mentioning that the study adopts in its analysis both descriptive and historical approaches .

The study consists of an Introduction , ten chapters and a conclusion .

The introduction deals with the Books of verbs showing their importance alongside a brief introduction to its authors .

Chapter One deals with historical phonetic substitution as found in the Books of verbs . Chapter Two deals with phonetic contrasts while chapter Three deals with metathesis in these Dictionaries . Chapter Four deals with irregular changes following the Harza and vowels . Chapter Five deals with the possible origin of hollow and defective verbs .

As for chapter Six , it deals with utterance duality in Books of verbs . Chapter Seven deals with the evolution of quadrilateral verb in the Dictionaries of As – Saraqusṭi and Ibn al – Qatta .

Chapter Eight deals with the " bare and augmented" , while chapter Nine deals with the transformations belonging to same forms in the Dictionaries of verbs . Last chapter deals with the morphological irregularity .

The conclusion comes upon the most important findings.